الكتاب الوضوي في الحجج الباهرة والدلايل القاهرة في الإعجاز

تصنيف الشيخ الإمام
مجد الإسلام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني

مج
١٠٤٩

. . . الكتاب المرسوم بتاج التراجم

. والدلائل القاهرة في الاعجاز تصنيف الشيخ الامام

. عبد الاسلام ابي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن

. الجرجاني رحمه الله ورحمه واسعة

. امين والحمد لله

. وحده .

بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم لا سهل الا ما جعلته سهلا ،

الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين ، احمده على عظيم نعمائه وعلى جزيل
بلائه ، واستكفيه نوائب الزمان ، وموارد الحدثان ، وارغب اليه في
التوفيق والعصمة ، وابتهل اليه من الحول والقوة ، وأسأله بيسار لا الصعب
ويعسر الطلب ، ويسهل على النفس حتى يكنها اذا ابرعت ، وبرذها اذا
تطلعت ، ونفعة بأنه عز وجل الوزر والكالي ، والواعي والحافظ ، وان
الخير والتوفيد ، وان النعم كلها من عنده ، وان لا سلطان لاحد مع سلطانه
وان يوجه رغبتنا اليه ، ويخلص نياتنا في التوكل عليه ، وان يصدقنا من
هديه الصدق ، ويغيثه الحق ، ويعرضه الصواب ، ويلهمه العقول
وتعمله الالباب ، وأعوذ به من أن ادعى العلم بغير الا أعلمه ، وان أستبق
قولا لا أفهمه ، وان أكون ممن تطبعه الكاذب من الناس وتخدع للغرور نفسه
الاطراء ، ان يكون سبيلي سبيل من يجاهد لا لباطل ويموه على
السامع ، ولا يبالي اذا راح عنه القول ان يكون قد خلط فيه ، ولم يسدده
في معانيه وأسانيد الرغبة اليه عونا منه في الصلاة على خير خلقه المصطفى
من بريته محمد سيد المرسلين ، وعلى اصحابه الخلفاء الراشدين ، وعلى آله
الاخيار اجمعين ، وبعد ، فانا اذا تقصينا الفضائل نتعرف سائرها
في الشرف ونتبين مواقعها من العظمة ونعلم أي شيء احق بالتقديم واسبق
في استحقاق التعظيم ، وجدنا العلم أولاها بذلك ، وأولاها هنالك اذ لا شرف
الا وهو السبيل اليه ، ولا خير الا وهو الدليل عليه ، ولا سعادة الا هو يوفق
وبيانها ، ولا مضرة الا وهو حكمها وتبانها ، ولا حسنة الا وهو بيناتها ولا
عقوبة الا وهو يتقدد مصابيحها ، ولو لم نعلم اذا حال كل صاحب ، والنعم اذا
لم نوق بناصح ، لوجدنا الانسان من سائر الحيوان الا تخليط صورته
وهيئة جسمه وبنيته ، لا ولا وجدنا الى اكتساب الفضل طريقا ، ولا وجدنا شيئا من
المحاسن خليقا ، لكنا وان كنا لا نصل الى اكتساب نفسه الا بالفضل
كان لا يكون فضل الا بالقدرة ، فانا لم نر فضلا ان فاعله واجب الفضل له
حتى يكون عن العلم صدر ، وحتى يتبين بمبينه عليه واتمه ، ولم نر قدرة قط
كسبت صاحبها حمدا ، وافادته محمدة ، دون ان يكون العلم رائدها ومنها نطلت

وتكون

وقايدها حيث تؤم وتذهب ، ويكون المعرف لمناقبها ، والمغلب لطالبها سببا
فهي اذا مفتقرة الى ان يكون فضله اليه ، وعيال في استحقاق هذا الاسم
عليه ، واذا هي جلت من العلم او ابت ان تمثل اسره وتعطى رسنه
ولاشيء احسد الدين على صاحبها منها ، ولا شيء اشين من اهماله فلهذا
في فضل العلم ، لا اجد عاذلا احاف فيه ولا ارى احدا يدفعه او ينفيه فاما
المعاصلة بين بعضه وبعض ، وتقديم فن منه على فن فانك ترى الناس
فيه على اربع اصناف ، واهوا ستعاده ، ترى كلا منهم يحب نفسه واثاره ان
يدفع النقص عنها ، يقدم ما يحسن من انواع العلوم على ما لا يحسن ويحاول
الوزابة على الذي لم يحط به والطعن على اهله ، والبعض منهم لم يشعر ومن
احوالهم في ذلك فن مغمور قد استهلكه هواه ، وبعد في الغور مداه ، ومن
متسخ فيه بين الانصاف والظلم ، يجور تارة ويعدل اخرى في الحكم ، فاما
من يخلص في هذا المعنى من الحيف حتى لا يقضي الا بالعدل ، وحتى يصدر
في كل امر عن العقل فانى المتنع وجوده ، ولم يكن ذلك كذلك الا لشرف
العلم وجليل محله ، وان محبته مركوزة في الطباع ومركبة في النفوس وان
الغرض عليه لازمة لجبلة ، موضوعة في الفطرة ، وانه لاحب اليه عند
الجميع من عدمه ، ولا نعمة اوضع من الجاهل عنه ، ولم يعاد الا الشرط
الحمية ، ولم يسخ به الا لغرط الضن ، ثم انك لا ترى علما هو ارسخ اصلا واسبق
فرعا واحلى جنا واعذب وردا واكرم نتاجا وانور سراجا من علم السان
الذي لولاه لم تر لسانا حوك الوشي ، ونبوغ الخطيب ، ولقط الدر ، ونفث السحر
وفري الشعر ، وبرمك بدائع من الزهر ، وهتك الحجب الدائع من الفرج
والذي لولا عصمه بالعلوم وعنايته بها وتصوره اياها لبقيت كاسية عورة
ولما استتب لها بيد الدهر صوغ ولا استمر المرار باهلها واستولى الخماء
على جملتها الى ما بعد ولكنا الاحسنا ومحاسن لا تحصر ها الاستقصاء الا
انك لن ترى على ذلك نوعا من العلم قد لقي من التصريف ما لقيه ومنى من
الحيف بما منى به ودخل عليه الناس من الغلط في معناه ما دخل عليهم فيه
فقد سبقت الى قلوبهم اعتقادات فاسدة ، وظنون رديه ، وكم في ذلك
جهل عظيم ، وخطأ فاحش ، ترى كثيرا منهم لا يرى له معنى اكثر مما يرى الاسماء

بالراس والعين وما عداه لفظ والمعنى يقول انما هو خبر واستخبار وامر
ونهي ولكل من ذلك لفظ قد وضع له وجعل دليلا عليه فكل من عرف اوضاع
لغة من اللغات عربية كانت او فارسية وعرف المعنى من كل لفظه يشعر
ساعده اللسان على النطق بها وعلى ما دبه اجراءها وحررها فهو بين في تلك
اللغة كامل الاداء بالغ من البيان المبلغ الذي لا مزيد عليه سببه الى الغاية
التي لا يذهب بعدها مع الفصاحة والبلاغة والبراعة فلا يعرف لفظا معنى
سوي لاضطراب في القول وان يكون المتكلم في ذلك جمهر الصوت جاري اللسان
لا بعترضه لكنة ولا تتعقد به حبسة وان يستعمل اللفظ الغريب والكلام الوحشي
فان استظهر للامر وبالغ في النظر كان لا يجمن تربع في موضع النصب او الكسر
فعبى باللفظة على غير ما هي عليه في الوضع اللغوي وعلى خلاف ما ثبت به
الرواية عن العرب وحملة الامر انه لا يرى النقص يدخل على صاحبه في
ذلك الامر جملة نقصه في علم اللغة لانه يعلم ان ههنا دقائق واسرارا لا يعرف
العلم بها الا دربه والفكر ولطايف مستقاها العقل وخصائص معان
يغرد بها قوم قد هدوا اليها ودلوا عليها وكشف لهم عنها ورفع الحجب بينهم
وبينها وانما السبب في ان عرضت المزية في الكلام ووجب ان يفضل بعضه
بعضا وان يبعد الشاوي في ذلك ويمتد الغاية ويعلو المرتقى ويعز المطلب
حتى يرى الامر الى الاعجاز والى ان يصرح من طوق البشر ولم يعرف هذه
الطائفة هذه الدقائق وهذه الخواص واللطائف لم يعرض لها ولم يطلبها ثم
عن لها بتوالي الانفاق راى صار بحارا بينها وبين العلم بها وسدادا دون ان
تتصل اليها وهو ان سا احتفاده ها في الشعر الذي هو معدنها وعليه المعول
فيها وفي علم الاعراب الذي هو طها كالسبب الذي جرها الى اصولها وبين
فاصلها من معقولها فجعلت تظهر الزهد في كل واحد من النوعين وتطرح
كلا من الصنعتين وتزكي الشاغل عنها اولى من الاشتغال بها والاعراض
عن بذ بهما اصوب من الاقبال على تعلمها اما النحو فحسبك ان الله لبس
فيه كبير طايل وان ابي الانفة وفكاهة اوكما سرك او وسعك طائل الا ست
ناقه او جمل او استراحة وقول في مدح او هجا وانه ليس بني تمس الحاجة اليه
في بلوغ دين او دنيا وانما النحو طبيب صرباس التكلف وبابا س التعسف

وشيا لا يستبد الى اصيل ولا تعتمد عليه على حال وان ما زاد منه على معرفة
الرفع والنصب وما يتصل بذلك مما عدده في المبادي فهو فضل لا احتدي
نفعا ولا احصل منه على فايدة وضربوا له المثل بالملح كما عرفت الى اشياء
لهذه الطبقة في القبيلين وانا لو علمنا مغبتها وما يعود اليه دعوة وابا سه
منها ولا نعوا الا نتهم من الرضا بها ذاك لانهم بايسنا وهم الجهبذ بذاك على العلم
في معنى الصادة عن سبيل الله والمبتغي طفا نورا سه وذاك انا اذا كنا نعلم ان
الجهة التي منها قامت الحجة بالقران وظهرت وبانت وبهرت هي ان كان على
حد من الفصاحة يقصر عنه قوى البشر ويستهيا الى غاية لا يطمح اليها
بالفكر وكان محالا ان يعرف كونه كذلك الا من عرف الشعر الذي هو ديوان
العرب وعنوان الادب والذي لا يشك انه سيد ان القوم اذا تفاوروا
في الفصاحة والبيان وتنازعوا فيها فضب الرهان ثم بحث عن العلل التي
بها كان التباين في الفضل وزاد بعض الشعر على بعض كان السبيل عن ذلك
صادا عن ان يعرف حجة الله وكان مثله مثل من يتصدي لاناس فيمنعهم
عن ان يحفظوا كتاب الله ويتلوه ويقوموا به ويقرؤه ويبصنع في الجملة
مسيعيا يودي الى ان يقل حفاظه والقائمون به والمقرئون له ذاك ان هاتم
تتعبد بتلاوته وحفظه والقيام باداء لفظه على الوجه الذي انزل عليه
وحراسته من ان يغير بدل الا تكون الحجة به قائمة على وجه الدهر يعرف
في كل زمان ويتوصل الها في كل اوان وتكون سبيلها سبيل سايرالعلوم التي
جرى ونها الخلف عن السلف وبائرها الناقي عن الاول فمن حال بيننا وبين
سالة كان حفظنا اياه واجتهادنا في ان نؤديه ونرعاه كان كمن رام ان
يبنا جملة ويذهب من ولوبنا دفعة فسواء من منعكه التي الذي يتاثر
منه الشاهد والدليل ومن منعكه السبيل الى انواع ذلك الدلالة والاخلا
على ذلك الشهادة ولا فرق بين من اعدمك الدوا الذي يستشفي به من دائك
ويستبقي به حياتك ونفسك وبين من اعدمك العلم فان ذلك منه شفا
وان ذلك فيه استبقا فان قال منهم قايل انك قد افضلت فيما ذكرت فان لنا
طريقا الى معرفة اعجاز القران غير ما ذكرت وهو علمنا بتحير العرب عن
ان ياتوا بمثله وتركهم ان يعارضوه مع تكرار التحدي عليهم وطول التنازع لهم

بالحجر عنده ولولا ان الله تعالى اكرمك بما خصك به من الحجة على العجم فيما فهمها على العرب واستوى الناس فاطبة فلم يخرج الجاهل بلسان العرب من ان يكون محجوجا بالقرآن ﴿ فصل ﴾ فاما الذي اتفق عليه المسلمون من اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم بان كانت معجزته باقية على وجه الدهر يعرف له بعض عيان لا يزال البرهان منه لاحا معترضا لكل من اراد العلم به وطلب الوصول اليه والحجة فيه وبه ظاهر لمن اراد ها والعلم بها ممكنا من نفسه فاذا كنت لا تشك في ان لا معنى لبقاء المعجزة بالقرآن الا ان الوصف الذي له كان معجزا قائم فيه ابدا وان الطريق الى العلم به موجود والوصول اليه ممكن فانظر اي رجل يكون اذا انت زهدت في ان تعرض نفسه لله وانزلت فيها الجهل على العلم وعدم الاستبانة على وجودها وكان التقليد فيها احب اليك والتعويل على علم غيرك ! تؤلديك وبخ الهوى عنك وراجع عقلك واسدد نفسك بين تلك فحتى الغلط فيما رايت وقبح الخطاء الذي توهمت وهل رايت رايا اضعف منها واقبح ممن كره ان يعرف حجة الله من الجهة التي اذا عرفت منها كانت انور وابهر واقوى واقهر واعلم ان لا يقوى سلطانها على الترك كل القوة ولا تعلو على الكفر كل العلو والله المستعان ﴿ فصل ﴾ [illegible]

[illegible] لا يجلو من هذا رايه من امور احدها ان يكون رفضه له وذمه اياه من اجل ما يجده فيه من هزل وسخف وهجاء وسب وكذب وباطل على الجملة والثاني ان يذمه لانه موزون مقفى ويرى هذا المعنى عيبا يقتضي الزهد فيه والتنزه عنه والثالث ان يعلق باحوال الشعراء وانها غير جميلة في الاكثر ومقول قد ذموا في التنزيل واي كان من هذه رايا لم يعذر في ذلك على خطا ظاهر وغلط فاحش وعلى جلالة ما يوجبه القياس والنظر وبالصنعة ما حابه الاثر وصح به الخبر اما ان زعم ان ذمه له من اجل ما يجده فيه من هزل وسخف وكذب وباطل فينبغي له ان يذم الكلام كله وان يفضل الخرس على النطق والعي على البيان فسئور كلام الناس على كل حال اكثر من منظومه والذي زعم انه ذم الشعر من اجله وعاداه بسبب فيه اكثر

لان الشعر في كل عصر وزمان سعد ودون والعامة ومن لا يقول الشعر من الخاصة عديد الرمل ونحن نعلم ان لو كان منثور الكلام يجمع كما يجمع المنظوم ثم عمد عامد فجمع ما قيل من جنس الهزل والسخف نثرا في عصر واحد لاربى على جميع ما قاله الشعراء في الازمان الكثيرة والعمر حتى لا يظهر فيه ثم انك لو لم تر هذا الضرب شائعا ولم يحفظ الا الجيد المحبر والامثال الحسان عليك في روايتها وفي المحاضرة به وفي محفظة وتدوينه لكان ذلك فيه ذلك شفى وسدد وجهه ولوجدت ظلمتك وغلت سوادك وحصل لك ما نحن بدعوك اليه من علم الفصاحة فاختر لنفسك ودع ما نكره الى ما تحب هذا او راوي الشعر جاك وليس على الحاكي عيب ولا عليه تبعه اذا هو لم يقصد بحكايته ان ينصر باطلا او يتوسلنا وقد حكى الله تعالى كلام الكفار فانظر الى الغرض الذي له يروي الشعر ومن اجله اريد وله دون تعلم انك قد زهدت عن المنع وانك شفى في هذه العداوة وهذه العصبية منك على الشعر وقد استشهد اهلها لغريب القرآن واعرابه بالابيات فيها الفحش وفيها ذكر الخمر فالقبيح ثم لم يعبهم بذلك اذ كانوا لم يقصدوا الى ذلك الفحش ولم يريدوه ولم يروا الشعر من اجله ﴿ قالوا وكان الحسن البصري يتمثل بمواعظه وكان من اوجرها عنده ﴿ اللوم عندك فطاء وحبه بناء وعذا الغرك كفها واصمم ﴿ وفي الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذكره المرزباني في كتابه باسناد عن عبد الملك بن عمير انه قال ان عمر رضي الله عنه عدل من اليمن فاربعة من حضرموت ابي طالب ومحمد بن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ومحمد بن طلحة بن عبيد الله ومحمد بن حاطب فدخل عليه زيد بن ثابت فقال يا امير المؤمنين هؤلاء المحمدون بالباب يطلبون الكسوة فقال ائذن لهم يا غلام فدعا لهم فلما دخلوا رايا جودها حلة وكان محمد بن حاطب اصغرهم فلبسها ثم اقبل يمشي بين يدي عمر فقال عمر ما يهات ايهات وتمثل ببيت عمارة بن الوليد ﴿ اشرك لما صرع العوم فشوة ... خر وجي منها سالما غير غارم ﴿ بريا كافي قبل كراك منهم ... وليس الخداع من فعال الاكارم ﴿ ورد عليه ثوبه فالقاه على هذا الخلق فقال ادخل يدك فيه فدخل حلة وانت لا تراها فاعظم ذلك عبد الملك فلم ار مسئلة اعدل منها ولا عمائم هذا

بن عمارة بن الوليد بن المغيرة خطب امراة من قومه فقالت لا اتزوجك او
تترك الشراب فابى ثم اشتد وجده بها فحلف لها ان لا يشرب ثم مر بخمار عنده
شرب يشربون قد حل عليهم وقد انفد واما عندهم فخرج لم ناقته وسامهم
يرد به ومكث اياما ثم خرج فاتى اهله فلما راته امراته قالت الم تحلف الا
تشرب فقال ــــ ولسنا بشرب ام عمرو اذا انتشوا بمنزلة الريان

ولسنا بشرب ام عمرو اذا انتشوا ، ثياب الندامى عندهم كالغنائم ،
ولكننا يا ام عمرو نديمنا ، بمنزلة الريان ليس بعائم ،

اسرك البيتين فاذا رب هزل صار جدا ، ورب كلام جرى في باطل استعين
به على حق كما انه رب شي خسيس توصل به الى شريف بان ضرب مثلا لمن وجعل
مثالا عنه كما قال ابو تمام ،

والله قد ضرب الاقل لنوره ، مثلا من المشكاة والنبراس ،

وعلى العكس ورب كلمة حق اريد بها باطل فاستحق عليها الذم كما عرفت
في خبر الخارجي مع علي رضي الله عنه ورب قول حسن لم يحسن من قايله
حين تسبب به الى قبيح كالذي حكى الجاحظ قال رجع طاوس يوما عن مجلس
محمد بن يوسف وهو يومئذ والي اليمن فقال ما ظننت ان قول سبحان الله
يكون معصية لله حتى كان اليوم سمعت رجلا ابلغ بن يوسف عن رجل كلاما
فقال رجل من اهل المجلس سبحان الله كالمستعظم لذلك الكلام ليغضب ابن
يوسف فيهدا ونحوه فاعتمدوا جملة حكما منك وبين الشعر وبعد وكيف
وضع من الشعر عندك وكسبه المقت منك انك وجدت فيه الباطل والكذب
وبعض ما لا يحسن ولم ترفعه في نفسك ولم توجب له المحبة من قبلك ان
كان فيه الحق والصدق والحكمة وفصل الخطاب وان كان مجنى ثمر العقول
ومجتمع فرق الاداب والذي قيد على الناس المعاني الشريفة وافادهم الفوايد
الجليلة وترسل بين الماضي والغابر ينقل مكارم الاخلاق الى الولد عن الوالد
ويودي ودايع الشرف عن الغايب الى الشاهد حتى ترى به اثار الماضين مخلدة
في الباقين وعقول الاولين مردودة في الاخرين وترى لكل من رام الادب وابتغى
الشرف وطلب محاسن القول والفعل منارا مرفوعا وعلما منصوبا وهاديا
مرشدا ومعلما مسددا وتجد فيه للناي عن طلب المآثر والزاهد في اكتساب

الجامد

الجامد داعيا ومحرضا وباعثا ومحضضا ومذكرا ومعرفا وواعظا ومثقفا
فلو كنت ممن ينصف كان في بعض ذلك ما يغير هذا الراي منك وما يحدوك
على رواية الشعر وطلبه ويمنعك ان تعيبه او تعيب به ولكنك ابيت الا
سبق الىك والاباء راي عن ذلك فاثقلت عليه فلك وسددت عما سواه
وسمعك فنحي الناصح بك وعمي على الصدق والخلط شبهك نعم وكيف رويت
لان يمتلى جوف احدكم قيحا فيريه خير له من ان يمتلي شعرا وتحيت به وتركت
قوله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكما وان من البيان لسحرا وكيف
نسيت امره صلى الله عليه وسلم بقول الشعر ووعده عليه الجنة وقوله
لحسان قل وروح القدس معك وسماعه له واستنشاده له وارتياحه
عند سماعه اما امره صلى الله عليه وسلم به فمن العلوم ضرورة ولذلك
اياه فقد كان حسان وعبد الله بن رواحة وكعب بن زهير يمدحونه ويسمع
منهم ويصغي اليهم ويامرهم بالرد على المشركين فيقولون في ذلك ويعرضون
عليه وكان عليه السلام يذكر بعض ذلك كالذي روي من انه صلى الله عليه
وسلم قال لكعب ما نسي ربك وما كان نسيا شعرا قلته قال وما هو يا رسول
الله قال انشده يا ابا بكر فانشد ابو بكر رضي الله عنه هجو

زعمت سخينة ان ستغلب ربها ، وليغلبن مغالب الغلاب ،

واما استنشاده اياه فكثير من ذلك الخبر المعروف في استنشاده حين استسقى
فسقى قول ابي طالب

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ، ثمال اليتامى عصمة للارامل ،
تطيف به الهلاك من ال هاشم ، فهم عنده في نعمة وفواضل ،

وعن الشعبي عن مسروق عن عبد الله قال لما نظر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى القتلى يوم بدر مصرعين قال صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله
عنه لو ان ابا طالب حي لعلم ان اسيافنا قد اخذت بالاناامل قال وذلك
كقول ابي طالب

كذبتم وبيت الله ان جد ما ارى ، لتلتبسن اسيافنا بالاناامل ،
وينهض قوم في الدروع اليهم ، نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل ،

ومن المشهور في ذلك حديث محمد بن مسلمة الانصاري عن ابي حدرد

الاصلي الطريق قال فتذاكرنا الشكر والمعروف قال فقال محمد كنا يوما
عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لحسان بن ثابت انشدني قصيدة
عائشة من شعرك الحماسة فان الله تعالى قد وضع آثارها في شعرها وروايته فانشد
قصيدة للاعشى يمدحها ما فيها من علامة ، ه ،

، علقتها انت الى عامر ، الناقض الاوتار والواتر ،

فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا حسان لا تقذ تنشدني هذه القصيدة
بعد صلتك هذا فقال يا رسول الله ترى في عن رجل مشرك مقيم عندنا تعبر
فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا حسان اشكر الناس للناس اشكرهم لربه
وان قيس بن ابا سفيان بن حرب عني فتناول مني وفي خبر اخر تشعب
مني وانه سالك هذا عني فاحسن القول فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ذلك ، وروي من وجه اخر ان حسان قال يا رسول الله من ان لك به
وجب علينا شكره ومن المعروف في ذلك خبر عائشة رضي الله عنها انها
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول ايا ك فانك
، ارفع ضعيفك لا يحرك به ضعفه ، يوما فتدركه العواقب وقد عي ،
، يحرك او يبني عليك وان من ، اثنى عليك بما فعلت فقد حزك ،
قالت فيقول عليه السلام يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عبيده
صنع اليك عبدي معروفا فهل شكرته عليه فيقول يا رب علمت انه
منك فشكرتك عليه قال فيقول الله عز وجل لم تشكرني اذ لم تشكر من
اجريته على يديه ، واما علمه عليه السلام بالشعر فهو ما رواه الزبير
من حكاية قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع ابو بكر رضي الله عنه
وهو يقول في بعض ازقة مكة ، ه ،

، يا ايها الرجل المحول رحله ، هلا سالت بآل عبد الدار ،

فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر هكذا قال الشاعر قال لا يا رسول
الله ولكنه قال

، يا ايها الرجل المحول رحله ، هلا سالت بآل عبد مناف ،

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا اكاشعها وانا اريا حبيبي
صلى الله عليه وسلم الشعر واستحسانه له فقد جاء فيه الخبر من وجوه من

ذلك حديث النابغة الجعدي قال انشدت رسول الله صلى الله عليه
وسلم قولي ، ه ،

، بلغنا السما مجدنا وسناؤنا ، وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا ،

فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابن المظهر يا ابا ليلى فقلت الجنة يا رسول
الله قال اجل ان شاء الله ثم قال انشدني فانشدته ، ه ،

، ولا خير في حلم اذا لم يكن له ، بوادر تحمي صفوه ان يكدرا ،

، ولا خير في جهل اذا لم يكن له ، حليم اذا ما اورد الامر اصدرا ،

فقال صلى الله عليه وسلم اجدت لا يفضض الله فاك قال الراوي فعدت
اليه فكانه ما سقطت له سن ولا انفلت ، وقد عزى به وفي
ذلك حديث كعب بن زهير روى ان كعبا واخاه بجيرا خرجا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغا ابرق العزاف فقال كعب لبجير انطلق
الرجل وانا مقيم هربنا فانظر ما يقول وقدم بجير على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فعرض عليه الاسلام فاسلم وبلغ ذلك كعبا فقال في ذلك شعرا
فاهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه فكتب اليه بجير يامره بان يسلم ويقبل
الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول ان من يهده ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله قبل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم واسقط ما كان قبل ذلك
قال فقدم كعب وانشد النبي صلى الله عليه وسلم قصيدته المشهورة ، ه ،

، بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ، متيم اثرها لم يفد مكبول ،

، وما سعاد غداة البين اذ رحلت ، الا اغن غضيض الطرف مكحول ،

، تجلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت ، كانه منهل بالراح معلول ،

، شجت السقاة عليه ما تحيته ، من ماء اطيب اخي هو مشمول ،

، ولم اخله لوانها صدقت ، موعودها ولو ان النصح مقبول ،

حتى اتى على اخرها فلما بلغ مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ه ،

، ان الرسول لسيف يستضاء به ، مهند من سيوف الله مسلول ،

، في فتية من قريش قال قائلهم ، ببطن مكة لما اسلموا زولوا ،

، زالوا فما زال انكاس ولا كشف ، عند اللقاء ولا ميل معازيل ،

، لا يوقع الطعن الا في نحورهم ، وما لهم عن حياض الموت تهليل ،

ثم العرانين اطال لبومهم . من نسج داود في الهجا سرابيل .

اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخلق اي اسمعوا قال وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يكون من اصحابه مكان المائدة من القوم تخلق دون
دلقه فتكشفت الى عوراتهم فجعلوا يحكون بعضهم ما يشبه هذا الكثير والاكثر
به مستفيض وان زعم انه ذم الشعر من حيث هو موزون مقفى حتى كان الوزن
عيب وحتى كان الكلام اذا نظم نظم الشعر امتنع في نفسه وتغيرت حاله فقد ابعد
وقال قولا لا تعرف له سلفا ولا خالف العلماء في ان ايام العرب كلام فجسنه حسن
وقبحه قبيح وقد روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا فان زعم
انه انما كره الوزن لانه سبب لان ينغمى في الشعر ويلهى به فانا اذا كنا نر
ندعه الى الشعر من اجل ذلك وانما عدوناه الى اللفظ الجزل والقول الفصل
والمنطق الحسن والكلام البين والى حسن التمثيل والاستعارة والى الملوح
والاستاني والى بديعه نعود الى المعنى الحسن فنحرضه والى النسيب فنحببه
والى النادر فنرغبه والى الحامل فنتوه به والى العاطل فنحلبه فلا نتعلق له
بشيء مما ذكر ولا نحرص عليه فما انكر فليقل في الوزن ما شاء وليضعه حيث
اراد فليس بعضنا امره ولا بوسواسه نا من هذا الذي راجعه القول فيه
وهذا هو الجواب المتعلق ان تعلق بقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي
له واراد ان يجعله حجة في المنع من الشعر ومن حفظه ورواياته وذلك
انا نعلم انه صلى الله عليه وسلم لم يمنع الشعر من اجل ان كان قولا فصلا لا
جزلا ومنطقا حسنا وبيانا بينا كيف وذلك يقتضي ان يكون تعالى قد نفى
البلاغة والبيان وحماه الفصاحة والبراعة وجعله لا يبلغ مبلغ الشعر في
حسن العبارة وشرف اللفظ وهذا اجهل عظيم وخلاف لما عرفه العلماء واجمعوا
عليه من انه صلى الله عليه وسلم كان افصح العرب واذا بطل ان يكون المنع
من اجل هذه المعاني وكنا قد اعلمنا انا ندعوا الى الشعر من اجلها فخذ وا
بطلبه على طلبها كان الاعراض لانه محالا والتعلق به خطلا من الرأي
والجهلا فان قال اذا قال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له فقد ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم الشعر ونزهه عنه بلا شبهة وهذه الكراهة وان كانت
لا تتوجه اليه من حيث هو كلام ومن حيث انه بليغ بين وفصيح حسن وحلو

فانما يتوجه

فانما يتوجه الى امر لابد لك من التسليم به في طلبه ما ذكرت انه مراد لك من الشعر
وذلك انه لا سبيل لك الى ان تميز كونه كلاما من كونه شعرا حتى اذا رويته البتة
به من حيث هو كلام ولم تلتبس به من حيث هو شعر هذا محال واذا كان لابد
من ملابسة موضع الكراهة فقد لزم العيب ولازمة الشعر واعمال اللسان
فيه فان قيل له هذا منك كلام لا تحصيل وذلك انه لو كان الكلام اذا وزن
خط ذلك من قدره واذ ركب به يجلب على المرء له في ذلك الغالب انما
وكسبه ذما لكان من حق العيب فيه ان يكون على واضع الشعر او من يرويه
لكان الوزن حصل وشاع دون من يريده لا من خارج منه ويطلبه لشيء سواه
فاما قولك انك لا تستطيع ان تطلب من الشعر ما لا تكره حتى يلبس ما تكره بما
اذا لم تقصده من اجل ذلك المكروه ولم ترده له وارد نه لان اعرف به مكانه
بلا عنه واجعله مثالا في براعته او اخيه به على نفسي من كتاب وسنه وانظر
الى نظمه ونظم القرآن فارى موضع الاعجاز واقف على الجهة التي منها كان وبيت
الفصل والفرقان فحق هذا النفس ان لا يعد عليه ذنبا وان لا اواخذ به اذ كان
لا يكون مواخذه حتى يكون عند الي ان مواقع المكروه قصده اليه وتدبيع العلما
السجوده والصحو وعافا بالوقوف على حيل المومنين ليعرفوا فرق ما بين المجرة
والحيلة وكان ذلك منهم من اعظم البراهين العرض كرما والقصد شوقا
هذا واذا افضى رجعنا الى ما قدمنا من الاخبار وما صح من الآثار وجدنا
الامر بخلاف ما ظن هذا السائل وما بنا السبيل ان منع النبي صلى الله عليه
وسلم الوزن وان ينطلق لسانه بالكلام الموزون غير ما ذهب اليه وذلك انه
لو كان منع بتره وكراهة لكان ينبغي ان يكره له سماع الكلام الموزون وان ينزه
سمعه عنه كما كره لسانه ولكان صلى الله عليه وسلم لا يامر به ولا يحث عليه
وكان الشاعر لا يعار على ذلك الكلام وصياغته شعرا ولا يزيد فيه روح
القدس واذا كان هذا كذلك فينبغي ان يعلم ان ليس المنع في ذلك منع بتره وكرا
هية
بل سبيل الوزن في سمعه عليه السلام اياه سبيل الخط حين جعل عليه السلام
لا يقرأ ولا يكتب فان لم يكن المنع من اجل كراهة كانت في الخط لان يكون
المحنة اعظم واظهر والدلالة اقوى واظهر لان يكون اكمل للواحد واقع للواحد
وارد لطالب الشريعة واسمع من اتباع الرسية واما التعلق بجواب الشعرا

وبانهم قد ذموا في كتاب الله فما اري عاقلا يرضى به ان يجعله حجة في ذم الشعر
وتحسينه والمنع من حفظه وروايته والعلم بما فيه من بلاغة وما يختص به من
ادب وحكمة ذاك لانه يلزم عليه فوق هذا القول ان يعيب العلماء في استشهادهم
شعر امرئ القيس واشعار اهل الجاهلية في تفسير القرآن وفي عربيته وغريب الحديث
وكذلك يلزمه ان يدفع ساير ما تقدم ذكره من امر النبي صلى الله عليه وسلم
بالشعر واصغائه اليه واستحسانه له هذا لو كان سبوغ ذم القول من اجل
قائله وان يحمل ذم الشاعر على الشعر لكان ينبغي له ان يخص ولا يعم وان يستثني
فقد قال عز وجل الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا ولولا ان
القول يجر بعضه بعضا وان الذي يذكر له خوضه في الشعر لكان حق هذا ونحوه
ان لا يتشاغل به وان لا يعاد ويبدا في ذكر ما اراد هم من النحو واحكامهم
له واستظهارهم امره وتباهيهم به فتسميعهم في ذلك الشيخ من سنيهم في الذي
تقدم واشبه بان يكون صدا عن كتاب الله وعن معرفة معانيه ذاك لانهم
لا يجدون بدا من ان يعترفوا بالحاجة اليه فيه اذ كان قد علم ان الالفاظ
مغلقة على معانيها حتى يكون الاعراب هو الذي يفتحها وان الاعراض كامنة
فيها حتى يكون هو المستخرج لها وانه البيان الذي لا يبين نقصان كلام ويرجح
حتى يعرض جليه والقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع اليه فانكر
ذلك الامن يتكرهه والامن غالط في الحقائق نفسه واذا كان الامر كذلك
فليت شعري ما عذر من تهاون به وزهد فيه ولم يران يستفيد من معه
ويأخذه من معدنه ويرضى لنفسه بالنقص والكمال لها معروض وانما الفضيلة
وهو عجزه الى الروح سبيلا فان قالوا انا لم نأب بجملة هذا العلم ولم ننكر بكل الحاجة
اليه في معرفة كتاب الله تعالى وانما انكرنا امورا كرهتموه بها وفصول قولية
تكلفتموها ومسائل عويصة حشرتم الفكر فيها ثم فصلوا لنا على ما كرهتم من ان
تعرضوا لها اسامعنا وتلقوا بها الحاضرين فمثل لنا خبرونا عما زعمتم انه
فضول قول وهو بعض ما يعود نقايا ما هو فان بدؤا فذكروا لنا المسائل الشريفة
التي تضعرها الصعوبة الرياضة واضرب من تمكين المقاييس في النفوس كقولهم لم
كيف بغي من كذا كذا وكقولهم ساوزن كذا او جمعهم في ذلك الالفاظ الوحشية
كقولهم ساوزن هرديش وساوزن ارونان وقولهم في باب ما لا ينصرف لو سميت

رجلا بكذا اكنت تكون الحكم واشباه ذلك وقالوا لسكون ان ذلك لا يحدي
الا كد الفكر واضاعة الوقت فلسنا لهم اما هذا الجنس فلسنا نعتكر ان
لم تنظروا فيه ولم تعنوا به ولبئس بما امره تقولوا فيه ما شئتم وصفوه بما
اردتم فان تركوا ذلك وتجاوزوه الى الكلام على اعراض واضع اللغة وعلى
وجه الحكمة في الاوضاع وتقرير ما قايس الذي اطردت عليها وذكر الفاظ التي
اقتضت ان تجري على ما اجريت عليه كالقول في الفعل وفيما طوى الحروف
الثلاثة التي هي الواو والياء والالف من التغيير بالابدال والحذف والاسكان
او كلاما مستدلا على انشيه وجمع السلامة لم كان اعرابها على خلاف اعراب
الواحد ولم تبع النصب فيهما الجر وفي النون انه عوض عن الحركة والتنوين
في حال وعن الحركة وحدها في حال والكلام على ما لا ينصرف ولم كان سبب المنع
وبيان العلة فيه والقول على الاسباب التسعة واربابها بان لا صول
وانه اذا اجتمع منها اثنان في اسم او كوكب سبب صار بذلك ثنايا من وجهين
واذا صار كذلك اشبه الفعل لان الفعل ثنائي للاسم والاسم للقسم والاول
وكل ما جرى هذا المجرى فلسنا نامسكت عنكم في هذا الضرب ايضا وبعد ذكر
فيه وسنا محكم على علم منا بان قد اسأم الاختبار وسنعيم انفسكم ما مع الخط
فكم وسنعفوها الاطلاع على بدايع الحكمة وعلى العلوم الجمة فقد عواد ذلك
والنظر وانى الذي اعترضكم بمعضته وبالحاجة اليه هل جعلتموه على وجهه وهل
احطتم بحقايقه وهل وفيتم كل باب منه حقه واحكمتموه احكاما ما بوسكم
الخطا فيه اذ انتم خصصتم في التفسير وتقاطيع علم التاويل وانتم بين بعض
الاقوال وبعض واردتم ان تعرفوا الصحيح من السقيم وعدتم في ذلك
وبدائم وزعمتم وتقسمتم وهل رايتم اذ عرفتم صورة السدا والخز وان
واعراضها الرفع ان تجاوزوا ذلك الى ان تنظروا في اسم جمع فعلموا انه
يكون مفردا او جمعا وان المفرد ينقسم الى ما يحمل تحريكه والى ما لا يحمل
التحريك وان الجمع على اربعة اضرب وانه لا بد لكل جمع وقعت خبرا للمبتدا
من ان يكون في ها ذكر يعود الى المبتدا وان هذا الذكر ربما حذف لقيام الدليل
معنى وان ذلك لا يكون حتى يكون في الحال ما يدل عليه الى سا ومما يحمل
الابتداء من المسايل اللطيفة والفوايد الجليلة التي لا بد منها واذا انظر شعر

في الصفة مثلا لعرفتم انها تتبع الموصوف وان سألها هو تلك جاءك رجل ظريف وشريف ومررت بزيد الظريف هل تظنهم ان وراء ذلك علما وان ها هنا صفة تخصص وصفة توضح وتبين وان فائدة التخصيص غير فائدة التوضيح كما ان فائدة الشياع غير فائدة الابهام وان من الصفة صفة لا تكون فيها تخصيص ولا توضيح ولكن يؤتى بها مؤكدة كقولهم امس الدابر وكقوله فاذا النجاء في الصور نفخة واحدة وصفة يراد بها المدح والثناء كالصفات الجارية على اسم الله تعالى وهل عرفتم الفرق بين الصفة والخبر وبين كل واحد منهما وبين الحال وهل عرفتم ان هذه الثلاثة تتفق في ان كلا منها تثبت المعنى للذي هم بصدده في كيفية ذلك الثبوت وهكذا ينبغي ان يعرض عليهم الاول فالاول وسألوا عنها واحدا واحدا ثم تسألهم ليس لاحد امرين اما ان يعجزوا التي لا يدري ما العامل فيتكلم وان يكون تكلم جاهلا في كتاب الله تعالى وتفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي معرفة الكلام جملة الى التي من ذلك ويزعموا انكم اذا عرفتم مثلا ان العامل رفع لم يبق عليكم في باب الفاعل شيء تحتاج الى معرفته واذا نظرتم الى قولنا زيد منطلق لم تحتاجوا من بعده الى شيء تعلمونه في الابتداء والخبر وحتى يزعموا مثلا انكم لا تحتاجون في ان تعرفوا وجه الرفع في والصابئون من سورة المائدة الى ما قالت العلماء فيه والى استشهادهم بقول الشاعر . والا فاعلموا انا وانتم . بغاة ما بقينا في شقاق .

وحتى كأنا نستدل على الجميع غير مشكل عندكم وحتى كأنكم قد اوشكتم ان تستبطئوا من المسألة الواحدة من كل باب مسائله كلها فتخرجوا الى فن من الكلام لا يبقى معه كلام واما ان تعلموا انكم قد اخطأتم حين اسقمتم امر هذا العلم وظننتم ما ظننتم فيه فترجعوا الى الحق وتنزلوا الفضل لاهله وتدعوا الذي يزري بكم ويقبح بابكم الغيب عليكم وتطيل لسان القادح فيكم وبالله التوفيق . هذا ولو ان هؤلاء القوم اذ تركوا هذا الشأن تركوه جملة واذ رغبوا ان قدر المتعقب اليه التقليل منه اقتصروا على ذلك القليل ثم باحثه والتمسوا بالفتوى فيه وبالتصريح بما لم يعطوا منه ولم يحوطوا في التعسير ولم يتعاطوا التأويل لكان البلاء واحدا ولكانوا اقل ما يستحقوا بعد ما واذ لم يسلموا لم يكونوا اسبابا للفساد ولكنهم لم يفعلوا فجلبوا من الداء ما اعيى الطبيب وحير اللبيب وانتهى التخليط

مما انوه فيه المجد بشر من بلاغة فلم يسق للعارف الذي يكره الشعث الا التحبب والسكوت وما الأفة العظمى الا واحدة وهي ان عمي من الانسان وحرى لفظه ومشى له ان يكثر في غير فضيل وان تحسن الصناعة على غير اساس وان يتوق الى لم تنبله علما وفشل الله الهمته به ورغب اليه في العصمة ثم اسا وان كان في زمان هو على ما هو عليه من احاله الامور عن جهاتها وتحويل الاشياء عن حالاتها وتحويل النفوس عن طباعها وقلب الخلائق المحمودة الى اضدادها ودهر ليس للفضل واهله لديه الا التنكر فيها والغبط بحسنا والمآثر عنده مواتم وسلبهم معدومة حتى صار اكثر الناس رأيا عند الجميع من كانت له همة في ان يستفيد علما ويزداد فهما او يكتسب فضلا او يحمل اليه ذلك كان شغلا فان الالف من طباع الكريم واذا كان من حق الصديق عليك ولا سيما اذا تقادمت صحبته وصحت صداقته الا يحفوه بان تكنك الايام وتعجرك النوائب وتحرجك المحن الزمان فمن اساء حمله وتطويه طيا فالعلم الذي هو صديق لا يتحول عن العهد ولا يبدل في الود وصاحب لا يصح عليه النكث والغدر ولا يظن به الخيانة والمكر اولى بذلك يا اخي واجدر وحقه عليك اكبر ثم ان التوق الى ان يعرف الاقوى مواقعها ويوضع الاشياء مواضعها والتراع الى بيان ما يشكل وحل ما يعقد وكشف عما يخفى وتخليص البغية حتى يزداد السامع ثقة بالحجة واستظهارا على الشبهة واستبانة على الدليل وتبينا للسبيل شيء هو في طبع العقل وفي طباع النفس اذا كانت نفسا ولم ازل منذ خدمت العلم انظر فيما قاله العلماء في علم معاني الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة وفي بيان المعوي من هذه العبارات وتفسير المراد بها فاجد بعض ذلك كالرمز والايماء والاشارة في جمل وبعضه كالتنبيه على مكان الخفي ليطلب وموضع الدفين ليحفر عنه فيصرح وكما يفتح ذلك الطريق الى المطلوب لتسلكه وتوسع تلك القاعدة لتبني عليها وجدت المعول على ان هيئا نظما وتركيبا وتأليفا وتركيبا وصياغة وتصويرا ونسجا وتحبيرا وان سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هو معارف به سبيلها في الاشياء التي هي صنعة فيها وانه كما يتفاضل هناك الناظم النظم والتالف التأليف والناسج النسج والصياغة الصياغة ثم بعظم الفضل ومكمن المزية حتى يعوق الشيء نظيره والمحاسن اوفر كثيرة وحتى تتفاوت الفهم التفاوت الشديد كذلك يتفاضل معنى الكلام معنا

وتعديم الشيء منه الشيء لم يزداد فضله ذلك ويتوقا من زلة فوق منزلة ويعلوا
مرتبا دون مرتبة ويستانف له غاية بعد غاية حتى ينتهي الى حيث ينقطع
الاطماع وتحسر الظنون وتسقط القوى وتستوي الاقدام في التحير وهيهذه
جملة قد تقدمت لي في اول الامر وبادي الظن انها تكفي وتغني حتى اذا نظرنا فيها
وعدنا وردنا وجدنا الامر بخلاف ما حسبناه وسادنا فيه الخيال على ضربنا
توهمناه وعلمنا القصر لبن اقصر والافظ قد اطالوا المعنى ولم يعرفوا
التزع بعد البعد واعجاذ لك في المرمى وذاك انه يقال لنا ما ازدم على ان سمتم
فيا شاقلتم نظم ونظر وترتيب وترتيب وتبع ثم بنيتم عليه انه ينبغي ان
يظهر المزية في هذه المعاني هينا حسب ظهورها هناك وان تعظم الامر فوق ذلك
كما عظم شر وهذا صحيح كما قلتم ولكن بقي ان تعلمونا مكان المزية في الكلام وتصفوا
لنا وتذكروها ذكرا كافيا تنص على الشيء وتعين وتكشف عن وجهه وبين ولا يكفي ان
تقولوا انه خصوصية في كيفية النظم وطريقة مخصوصة في نسق الكلم بعضها
على بعض حتى تصفوا ذلك الخصوصية وتبينوها وتذكروا لها امثلة وتعولوا لنا
كيف وكيت كما تذكر ذلك من تستوصف عمل الديباج المنقش ما تعلم به وجه دقة
الصنعة او تعلم بين يديك حتى تري عيانا كيف تذهب تلك الخيوط وتجيء
وماذا اذهبت منها طولا وماذا اذهب عرضا وبماذا ابديا وتم يبقى وتم ذلك
وتبصر من الحساب الدقيق ومن تجنيب تصرف اليد ما تعلم معه مكان الخرق
وموضع الاستادية ولو كان قولك القائل ذلك في تفسير الفصاحة انها خصوصية
في نظم الكلم وضم بعضها الى بعض على طريقة مخصوصة او على وجوه تظهر بها
الفائدة او ما اشبه ذلك من القول المجمل كافيا في معرفتها ومقتضيا في العلم بها
اكتفى مسئله في معرفة الصناعات كلها ما كان يكفي في معرفة نسج الديباج المكمل الصانع
ان تعلم انه ترتيب الغزل على وجه مخصوص وضم لطاقات الابريسم بعضها الى
بعض على طرق شتى وذلك ما لا يقوله عاقل وجملة الامر انك لن تعلم في شيء
من الصناعات علما حتى تعرفه وتحلي حتى تكون ممن يعرف الخطا فيها من الصواب
ويفصل بين الاساءة والاحسان ويعرف طبقات المحسنين واذا كان هذا هكذا
علمت انه لا يكفي في علم الفصاحة ان تنصب لها قياسا ثابتا وان تصفها وصفا مجملا
وتقول فيها قولا مرسلا بل لا تكون من معرفتها في شيء حتى تفصل القول وتحصل وتتبع

اليد على الخصائص التي تعرض في نظر النظم ويعد معانيها واحدة واحدة وتسميها شيئا
شيئا ويكون معرفتك معرفة الصنع الحاذق الذي يعلم علم كل خيط من الابريسم
الذي في الديباج وكل قطعة من القطع المخورة في الثياب المقطع وكل اجزاء من
الاجر الذي في البناء البديع واذا نظرت الى الفصاحة هذا النظر وطلبتها هذا
الطلب احتجت الى بصر على التأمل ومواظبة على التدبر والى محنة ما بي اكان
تضع الانامل وان تروح الابعد بلوغ الغاية وستى حسمت ذلك وابيت الا ان
تكون كذلك فقد اصبت الى غرض كريم وتعرضت لاشريف وانزلت التي هي ام لدينك
وفضلك واسهل عند ذوي العقول الراجحة لك وذلك ان تعرف وجه الله تعالى من
الوجه الذي عوامها وانوره بها واخلق بان يزداد نورها سطوعا وكوكبها طلوعا وان
تسلك الى ذلك الطريق الذي هو امس لك من الشك وابعد من الريب واصح للبدين وابرك
بان يضعك فاصبة البين واعلم انه لا سبيل الى ان تعرف وجه هذه الحيلة حتى يقع
القول غايته وينتهي الى آخر ما الردت جمعه لك وتصويره لنفسك وتفرغ عندك
الا ان ههنا امرا لكنه ان انت تأملته تأمل المنصف ونظرت فيه نظر المتأني وجدت ان
حسن ظنك وان تنشط للاصغاء الى ما اورده عليك وعونا انا استعداد قبل الابتداء
فعلنا لولا انهم حين سمعوا القرآن وحين تحدوا اليه ولي معارضته سرعوا الكلام ثم
لم يسرعوا فقط بمثله وانهم زادوا الامر فاجتهدوا ما اعجز عن ان يأتوا بما يوازيه او يدانيه
او يقع قريبا منه لكان محالا ان يدعوا معارضته وقد تحدوا اليه وفرغوا منه ولولا
به وان يتعرضوا لشبا الاسنة ويتعرضوا لموارد الموت فقتل لنا قد صحصا ما قلتم
فجربونا اعلم عماد الاعجاز والعين معان في وقته بمعانيه وحسنها وصحتها في العقول
ام عن الفاظ مثل الفاظه فان قدم عن الالفاظ فاذا الاعجاز من اللفظ ام ما بهرهم
منه فقلنا الاعجاز ثم مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصايص سادوها في بيان لفظه
وبدايع راعتهم في مبادي آيه ومقاطعها ومجاري الفاظه ومواقعها وفي مضرب كل
مثل ومساق كل خبر وصورة كل عظة وتنبيه واعلام وتذكير وترغيب وترهيب وتزيين كل
حجة وبرهان وصفة وبيان ورب انهم تأملوه سورة سورة وعشرا عشرا وآية
آية فلم يجدوا في الجميع كلمة يتبوأ بها مكانا ولفظة يبتغي شأنا او يرى ان غيرها اصلح
هناك او اشبه لو اجري او اخلق بل وجدوا انفسا قابلين للعقول والفهم لطيف
ونظاما وانسا ما وانقانا واحكاما لم يدع في نفس طمع ولو حكى بما فوجدا ما

موضع طمع حتى يفرسك الاكسن عن ان يدعي ويقول وجدت الغروم فلم تدرك
ان تصول فهم فاذا كان هذا هو الذي يدركه في جواب السائل فسبيل ان ينظر اي لغته
بالغنية عقله ودينه وان يجد له في حله ويقينه ان تقلد في ذلك وتحفظ من الزلل
وظاهر لفظه ولا يحث عن تفسير المراد والمخاصبين ما هي ومن اين كرات الكرة
العظيمة والسعت الاتساع المقدار لوسع الخالق وطاقة البشر وكيف يكون ان
يظهر الفاظ محصورة وكلم محدودة معلومة بان يوفي بعضها في اثر بعض لطالب لا
لا يحصرها العدد ولا ينتهي بها الامد ام ان يبحث عن ذلك كله ويستقصي النظر في
جميعه ويتتبعه شيئا شيئا ويستقصيه بابا فبابا حتى يعرف كلامه بشاهده ودليله
ويعلمه بتفسيره وتاويله ويوثق بتصويره وتمثيله ولا يكون كمن قيل فيه ع

يقولون اقوالا لا يعلمونها ، ولو قيل هاتوا حققوا لم يحققوا ،

قد قطعت عذر المتهاونين وازلت عللهم اما اصلح من حظه وعدته لرشده وصح
ان لا غنى به العاقل عن معرفة هذه الامور والوقوف عليها والاحاطة بها وان لجهة
التي سرنا بعنف والسبب الذي به يعرف استغراب كلام العرب وتتبع اشعارهم
والنظر فيها واذ قد ثبت ذلك فينبغي لنا ان نبتدئ في بيان ما الرد تا بيانه وناخذ
في شرحه والكشف عنه وجملة ما اردت ان ابينه لك انه لابد لكل كلام مستعمل
ولفظ مستفيد منه ان يكون لاحتمالك ذلك جهة معلومة وعلة معقولة وان
يكون لنا الى العبارة عن ذلك سبيل وعلى صحة ما ادعيناه من ذلك دليل وهو
باب من العلم اذا انت فتحته اطلعت فيه على فوايد جليلة ومعان شريفة ولابيت
له اثر في الدين عظيما وفايدة جسيمة ووجدته سببا الى علم كثير من الناس وعما
يعود الى التنزيل واصلاح انواع من الخلل مما يتعلق بالتاويل وانه ليوشك من
بقا لطفي في عوالك ويدافع عن معناك ويوبابك عن ان تستبين هدى ثم لا تهتدي
اليه وتدل بعرفان ثم لا تستطيع ان تدل عليه وان يكون عالما في ظاهر مقلدا وسيما
في صورة شاك وان يسالك السائل عن حجة تلقى بها الخصم في ابهة من كتاب احد عاني
او عرذ ذلك فلا ينصرف عنك بمنع وان يكون غاية ما تصاحبك منك ان تحيله على
نفسه وتقول قد نظرت ووازنت فصلا وعرفته وساءك فقد ذلك ارجعه فاعمل فيه
كما عرفت ولا جمع نفسك واسترد دن لتجد مثل الذي وجدت فان عرفت فذاك
والا مسكا الشاكر تنسبه الى سوء التامل وتشبك الى فساد في العقل وانه غلط الجملة

يعرسو

بحث يقتضي ذلك من علم الاعراب خالصة وليعمد باخذ ذلك منه اما سمى العقول وحلية
القلوب وما لا يدفع الفضل فيه دافع ولا ينكر رجحانه في موازين العقول سكر وانبئ
بالعقل ان اصل ذلك من اول الامرية فذلك اخرج وان اسمى ذلك الفضول التي في بيتي ان اخر
عمشه الله عز وجل حتى يكون على علم بها قبل ورودها عليك فاحمل على ان بعضها
فسوا يجيء بعضها في اثر بعض وهذا اوان ع .

فصل في تحقيق القول على الجملة

والفصاحة والبيان والبراعة وكل ما شاكل ذلك مما يعبر به عن فضل معنى اما يلي
على بعض من حيث نظموا وتكلموا واخبروا والسامعين عن الاغراض والمقاصد
ورأوا ان بعلومهم ما في نفوسهم ويكشفوا لهم عن مضامر قلوبهم وسر المعلوم ان لا
معنى لهذه العبارات وسايرما يجري مجراها مما يفرد فيه اللفظ بالنعت والصفة
وينسب به الفضل والمزية اليه دون المعنى عن وصف الكلام بحسن الدلالة
وتمامها فيما له كانت دلالة ثم بوجهها في صورة بجيا بي واريب واتق واعجب واحق
بان يستولي على هوى النفوس ويمالك الحظ الاوفر من مثل القلوب واول بان يطلق
لسان الحامد ويطيل رغم الحاسد ولاجمة لاستكمال هذه الخصال غير ان يافي
المعنى من الجهة التي هي اصح لتاديته واحتاز له اللفظ الذي هو اخص به واكشف
عنه واتم له واحرى بان يكسبه تيلا ويظهر فيه مزية واذا كان هذا كذلك فينبغي
ان ينظر الى الكلمة قبل دخولها في التاليف وقبل ان يصير الى الصورة التي يكون بها
الكلم اخبارا واوامرا ونهيا واستخبارا وتصيبا وتوذي في الجملة معنى من المعاني
التي لا سبيل الى افادتها الا بضم كلمة الى كلمة وبناء لفظة على لفظة هل يتصور ان يكون
بين اللفظتين تعاسل في الدلالة حتى يكون هذه ادل على معناها الذي وضعت
له من صاحبتها على ما سمي مرسومة به حتى يقال ان دلالة ادل على معناه من غيره
على ما سمي به وحتى يتصور في الاسمين يوضعان فلي واحد ان يكون هذا احسن
بانا عنه وابين كشفا عن صورته من الاخر فيكون الليث مثلا ادل على السبع العلم
من الاسد وحتى انا لو اردنا الموازنة بين لغتين كالعربية والفارسية شاغ لنا
ان نجعل لفظة وجعل ادل على الامر المذكور من نظيرتها في الفارسية وهل يقع في وهم
وان تجرد ان تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير ان ينظر الى مكان يقعان فيه
من التاليف والنظم باكثر من ان يكون هذه ما لوفه مستعملة وذلك غريبة وحشية

او ان يكون حروف هذه اخت وامتزاجها احسن وصاحبه الديباج ابعد وهل تجد احدا يقول هذه اللفظة فصيحة الا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانستها لاخواتها وهل قالوا اللفظة متمكنة ومقبولة وفي طلاوة تلفه ونابيه ومستكرهه الا وغرضهم ان يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من حيث معناها وبالقلق والنبو عن سوء الملاءمة وان الاولى لم تلق بالثانية في معناها ولم تصلح السابقة ان تكون لفقا للثانية في موادها وهل تشك اذا فكرت في قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين فصلي لك من هذه الاقسام وعرك الذي ترى وضع لك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة والفضيلة الباهرة ولا ترجع الى نفسك هذه الكلم بعضها ببعض وانظم بعضها الحسن والشرف الامن حيث لاءمت الاولى بالثانية والثالثة بالرابعة وهكذا الى ان تستقر بك الى اخرها وان الفصل نابع حتى منها وحصل من مجموعها ان شككت فتامل هل ترى لفظة منها حيث لو اخذت من بين اخواتها وافردت لاءنست من الفصاحة ما تؤنسه بوجه ومكانها من الاذن قلق النبو واعتبر هذا وحده فانه من حيث ان نظرك الى ما قبلها وما بعدها وكذلك فاعتبر سائر ما يليها وكيف بالشك في ذلك ومعلوم ان مبدا العظمة في ان مؤدى بيت الارض ثم امرت ثم ان كان الرفا بياد و ن اي يخوبانها الارض ثم اضافه المالي الكاف ثم ان اسمع اذا الارض وامرها ما هو شانها ذا السماء وامرها كذلك ترى بعضها ثم ان قيل وغيض الماء الفعل على صيغه فعل الدال على انه لم يغض الا بامر آمر وقدره قادر ثم اكد ذلك وتقرير قوله وقضي الامر ذكر بانه مما يعلم من هذه الامور وبعد استوت على الجودي ثم اضمار السفينة قبل الذكر كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشان ثم مقابلة قيل ولفخامة مقبل والفاظه اقرئي لشيء من هذه المناسبين التي تملوك روعة وتحضرك عند تصورها هيبة تحيط بالنفس من اقطارها تعلقا بالنظم من حيث هو موسوم بسمو وحروف تتوالى في النطق ثم كل ذلك لما بين معاني الالفاظ من الاتساق العجيب فقد اتضح اذا اتضاحا لا يدع للشك محالا ان الالفاظ لا تستفاد من حيث هي الفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة وان الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لما يليها ولما اشبهه ذلك مما لا يطلق له تصريح الا فظ وما نريد اذ قد علمت ان الكلمة ترفك وقد تونسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع اخر

لفظه الاجدع في بيت الحماسة ع

* بلغت نحوا لحي حتى وجدتني * وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا *

وبيت البحتري

* واني وان بلغتني شرف الغنا * واعتقت من رق المطامع اخدعي *

فان لها في هذين المكانين ما لا يخفى من الحسن ثم لذلك تراها في بيت ابي تمام ع

* بادهر قوم من اخذ عيشك * فقد اصبحن هذا الانام من خيرك *

تجد لها من الثقل على النفس ومن التنغيص والتكدير ما ضعاف ما وجدت هناك من الروح والخفة ومن الايناس والبهجة وس اعجب ذلك لفظة التي فانك تراها مقبولة حسنة في موضع وضعيفة مستكرهة في اخر وان اردت ان تعرف ذلك فانظر الى قول عمر بن ابي ربيعة ع

* ومن مالي عينيه من شيء يضرها * اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى *

وقول ابي حية ع

* اذا ما تقاضا المرء يوم وليلة * تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا *

فانك تعرف حسنها ومكانها من القبول ثم انظر اليها في بيت المتنبي *

* لو اهلك الدوا ادا بعثت سعيه * لعوفه شيء عن الدهر ان *

فانك تراها تثقل وتصول بحسب ما لها وحسنها مما تقدم وهذا باب واسع فانك تجد متى شئت الرجلين قد استعملا لفظا بعينها فاتم تراه هذا قد فرع السماك وذاك وقد لصق بالحضيض ولو كانت الكلمة اذا احسنت حسنت من حيث هي لفظة واذا استحقت المزية والشرف استحقت ذلك في قرانها وفي الانفراد دون ان يكون السبب في ذلك حالا لها مع اخواتها المجاورة لها في النظم لما اختلفت هذا الخلاف ولكانت اما ان حسن ابدا او لم تزل لا يضطرب عليها ناقد حتى لا يدري كيف يعبر وكيف يورده وكيف يصدر ويكرر القول بل ان اردت الحق فانه مما يجري به الرجل لسانه ويطلقه واذا فتش نفسه وجدها تعلم بطلانه وتطرب على علاقته ذاك لانه مما لا يقوم بالحقيقة في اعتقاد ولا يكون له صورة في فواد ع

فصل وما يجب اجتنابه عند هذا الفرق

من حولنا حروف منظومة وكلم منظومة وذاك ان نظم الحروف هو تواليها في النطق وليس نظمها مقتضى عن معنى ولا الناظر لها مقتف في ذلك رسما من العقل

اقتضى ان تجري في نظمها ما تجراه ولو ان واضع اللغة قد كان قال رضي مكان ضرب لما كان في ذلك ما يؤدي الى فساد واما نظم الكلم فليس الامر فيه كذلك لانك
تنتفي ونظرنا انما هو في المعاني وترتيبها على حسب ترتب المعاني في النفس فهو اذا نظم
يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء
الى الشيء كيف جاء واتفق وكذلك كان عندهم نظير الفصل والتاليف والصياغة
والبناء والوشي والتصوير وما اشبه ذلك مما يوجب اعتبار الاجزاء بعضها على بعض
حتى يكون لوضع كل منها حيث وضع علة يقتضي كونه هناك وحتى لو وضع في مكان
غيره لم يصلح والشاهد في معرفة هذا الغرض انك اذا عرفت فيه عرفت ان ليس الغرض
بنظم الكلم ان توالت الفاظها في النطق بل ان تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على
الوجه الذي اقتضاه العقل وكيف تتصور ان يقصد به الى توالي الالفاظ في النطق
بعد ان ثبت انه نظر يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض وانه نظير الصياغة
والتصوير والتعويف والنقش وكل ما يقصد به التصوير وبعد ان كنا لا نشك في
ان حال اللفظة مع صاحبتها يعتبر اذا انت عرفت دلالتهما حينئذ وفي اي معنى
في ان الالفاظ لا تستحق من حيث هي الفاظ ان تنظر على وجه دون وجه ولو صح
ان نخلع من هذه الالفاظ التي هي لغات دلالتها لما كان منها شيء احق بالتقديم من شيء
ولا يتصور ان يجب فيها ترتيب ونظم ولوجب ان يكون اول ما يجب ان يبدأ به من
من عيان تفسر له شيء منه واخذه بان يضبط صور الالفاظ وهيأتها وبودرها
كما يودي اصوات الطيور لوابنه ولا يخطر له ببال ان من شأنه ان يوخر لفظا
ويقدم اخر بل كان حاله حال من يرمي الحصا وبعد الجور اللهم الا ان تتصور ان
ان يأتي هذا على حروف المعجم يحفظ نسق الكتاب وذلك خبل وهوان لو كان القصد
بالنظم الى اللفظ نفسه وان يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس النطق
بالالفاظ على حذوها لكان ينبغي ان لا تختلف حال اثنين في العلم بحسن النظم
او غير الحسن فيه لانهما سيان في توالي الالفاظ في النطق احساسا واحدا ولا تفاوت
احدهما في ذلك شيء يعلمه الاخر واوضح من هذا كله وهو ان هذا النظر الذي
يتواصفه البلغاء وتتفاضل لاجله البلغاء من احله صنعه يستحقان عليه
بالفكر لامحالة واذا كان مما يستحقان عليه بالفكر ويتصرح بالروية فينبغي ان
ننظر في الفكر هذا يتلبس ابالمعاني ام بالالفاظ فاي شيء وجدته الذي يلبس به

فكر من بين المعاني والالفاظ فهو الذي تحدث فيه صنعتك وتمضي فيه سياعتك
وتلطف وتصورك فيما ليس ان تفكر في شيء انت لا تصنع فيه شيئا وانما تصنع في غيره
لو جاز ذلك فلما كان يفكر الشاعر في الغزل ليحصل فكره فيه وسعه الى ان يصنع سر الاحجار
وهو سر الاحالة المرفقة فان قيل النظر موجود في الالفاظ على كل حال ولا سبيل
الى ان يعقل الترتيب الذي ترعمه في المعاني سالم تنظر الالفاظ ولم يرتبها على الوجه
الخاص قيل ان هذا هو الذي يعيد هذه السبيرة خدعة ابدا والذي يحمله ان تنظر
لتتصور ان تكون معتبرا مفكرا في حال اللفظ مع اللفظ حتى تضعه حيث وجدته ولو قيل
ان نقول هذه اللفظة انما وضعت ها هنا لكونها على صفة كذا ام لا يعقل الا
ان يقول انما وضعت هيهنا لان معناها هكذا او لانه لا يراد بها الا كذا ولان معنى الكلام
والغرض فيه يوجب كذا ولان معنى ما قبلها يقتضي بعناها فان تصورت الاول
فقل ما شيت واعلم ان كل ما ذكرناه باطل وانك لم تتصور الا الثاني فلا تخدعن نفسك
بالاضاليل ودع النظر الى ظواهر الامور واعلم ان ما تركي انه لا بد منه من ترتيب
الالفاظ ونوالها على النظر الخاص ليس هو الذي طلبته بالذكر ولكنه شيء يجب
الاول ضرورة من حيث ان الالفاظ اذا كانت اوعية للمعاني فانها لا محالة تتبع
المعاني في مواقعها فاذا وجب لمعنى ان يكون اولا في النفس وجب للفظ الدال
عليه ان يكون مسلكه اولا في النطق فاما ان يتصور في الالفاظ ان تكون المقصودة
قبل المعاني بالنظم والترتيب وان يكون الفكر في النظم الذي هو صنعة اللفظ فكرا
في نظم الالفاظ اوان يحتاج بعد ترتيب المعاني الى ان يكر بعد ذلك على الالفاظ
فيلحظ منها ما طال سر الظن ووهم من التضليل لمن يتوهم ان النظر حقه وكيف يكون
مفكرا في نظم الالفاظ وانت لا تعقل لها اوصافا واحوالا اذا عرفتها عرفت ان
حقها ان تنظر على وجه كذا او صار ليس يحيل الناظر في هذا الموضع ويغلطه انه
يستبعد ان يقال هذا الكلام قد تغيرت معانيه فالعرف كما نه لم يخبر بذلك الا لانهم
وان كانوا لم يستعملوا النظر في المعاني فقد استعملوا فيها ما هو معناه ونظيره ولكنا
قد علمنا انه ربما تراءت المعاني في نفسه ويتراطبا ويبنى بعضها على بعض كما يقولون ربت
الفروع على الاصول ويتبع المعنى المعنى وتحتى النظير والذي دلك على ان ليس
انهم قد استعاروا النسج والوشي والنقش والصناعة انفس ما استعاروا له
النظم وكان لا شك في ان ذلك كله تشبيه وتمثيل ترجع الى امور واوصاف تتحقق

بالمعاني دون الالفاظ فزيحك ان تعلم ان سبيل النظم ذلك السبيل واعلم
ان مريدك ان تعتمد هذا الفصل جيدا وتجعل اشكت التي ذكرتها فيه على ذكر
منك ابدا فانها جمعت واصول في هذا الباب اذا انت مكنتها في نفسك وجدت
الشبه بخواطر عنك والشكوك تنتفي عن دلبك ولاسيما اذا ذكرت لانه لا يتصور
ان تعرف اللفظ موضعا من غير ان تعرف معناه ولا ان تتوخى في الالفاظ من حيث
هي الفاظ ترتيبا ونظما وانك تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك فاذا انت
كذلك ابتغيتها الالفاظ وقفوت بها اثارها وانك اذا افرغت من ترتيب المعاني
في نفسك لم تحتج الى ان تستانف فكرا في ترتيب الالفاظ بل تجدها بترتيب لك بحكم
انها خدم المعاني وتابعة لها ولاخفية لها وان العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع
الالفاظ الدالة عليها في النطق ﴿فصل﴾ واعلم انك اذا رجعت لا تشك
علمك لا يتعزى منه الشك ان لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض
ويبنى بعضها على بعض ويجعل هذا بسبب من ذاك هذا ما لا يجهله عاقل ولا
يخفى على احد من الناس واذا كان كذلك فسبا ان ننظر الى التعليق فيها والبنا
ونجعل الواحد منها بسبب من صاحبتها ما معناه وما يحسوله واذا نظرنا
في ذلك علمنا ان لا محصول لها غير ان نعمد الى الاسم فنجعله فاعلا للفعل او مفعولا
او نعمد الى اسمين فنجعل احدهما خبرا عن الآخر او نتبع الاسم اسما على ان يكون الثاني
صفة للاول او تاكيدا له او بدلا منه او عطف بيان او نجيء باسم بعد تمام كلام كل
على ان يكون حالا او تمييزا او نتوخى في كلام هو اثبات معنى ان ينفي نفيا او استفهما
او تمنيا فندخل عليه الحروف الموضوعة لذلك او نريد في فعلين ان نجعل احدهما
شرطا في الآخر فنجيء بما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى او بعد اسم من الاسماء
التي تضمنت معنى ذلك الحرف وعلى هذا القياس واذا كان لا يكون في الكلم نظم
ولا ترتيب الا بان يصنع بها هذا الصنيع ونحوه وكان ذلك كله مما لا يوجب منه
الى اللفظ شيء ومما لا يتصور ان يكون فيه ومن يعلمه بان بذلك ان الامر على ما
قلناه من ان اللفظ تبع للمعنى في النظم وان الكلم يترتب في النطق بسبب ترتيب معانيها
في النفس وانها لو خلت من معانيها حتى تجرد اسواما واصوات حروف لما وقع في وهم
ولا تجسس في خاطر ان يجب فيها ترتيب ونظم وان يجعل لها اسكنه وسارلد وان يجب
النطق عنده قبل النطق سوى واسعا الموفق للصواب بمنه

﴿فصل وهذه نكتة اخرى لطيفة﴾

صح ان تعلق فما تعلق من بعدم على القول من غيره وهو ان يدعي ان لا
يدعي بمعنى الفصاحة سوى الملاءم العقلي وتعديل مزاج الحروف حتى لا يثقل في
النطق حروف تثقل على اللسان كالذي اشار اليه الحاظ من قول الشاعر

﴿وقبر حرب بمكان قفر ﴿ وليس قرب قبر حرب قبر﴾

وقول ابن بشير

﴿لا اهل الا اتال بعدك ﴿ اني نعدها اتال بعد بعل﴾

﴿كم طما موقف بباب صديق ﴿ رجعت من ندى بالتطفيل﴾

﴿لم يشرها الجود سوقي ﴿ ولا سب نحو عرف نشرة هول﴾

قال الحاظ فمفتاح النصف الثاني من هذا البيت فانك ستجد بعض الفاظه
ينبو اسن بعض وزعم ان الكلام في ذلك على طبقات فمن الفصاحة المقبول الغرة منه
كالذي مضى ومنه ما هو اخف منه كقول الشاعر

﴿كرم متى امدحه امدحه والورى معي وان لمته لمته وحدي﴾

ومنه ما يكون فيه بعض الكزازة على اللسان الا انه لا يبلغ ان يعاب صاحبه ويشهر
امره في ذلك ويحفظ عليه ويزعم ان الكلام اذا سلم من ذلك وسلما من شوبه كان
الفصيح الشاعر به والمشار اليه وان الصفا ايضا يكون على مراتب يعلو بعضها
بعضا وان له غاية اذا انتهى اليها كان الاعجاز والذي يبطل هذه الشبهة ان ذهب الرمانا
ذاهب انا ان قصرنا صفة الفصاحة على كون اللفظ كذلك وجعلناه المراد فيها
لزمنا ان نخرج الفصاحة من حيز البلاغة ومن ان تكون تطرح لها واذا فعلنا
ذلك لم يخل من احد امرين اما ان نجعله العمدة في المفاضلة بين الفصاحتين ولا يشهد
على غيره واما ان نجعله احد ما نفاضل به ووجها من الوجوه التي يستحق تقدم
كلام على كلام فان اعتمدنا الاول لزمنا ان نقضي الفضيلة عليه حتى لا يكون الا ما
الابه وفيه وفي ذلك ما لا يخفى من الشناعة لانه يؤدي الى ان لا يكون المعاني التي
ذكرناها في حدود البلاغة من وضوح الدلالة وصواب الاشارة وصحة الاستعارة
وحسن الترتيب والنظام والابداع في طريقة التشبيه والتمثيل والاعجاز مقتضيا
التفضيل ووضع الفصل والوصل موضعه وما توفيه الحذف والتاكيد والتقديم
والتاخير حقوقها مدخل فيما اذا كان القرآن معجزا حتى يدعي انه لم يكن معجزا من حيث

موضع ولاس حيث يقول فصل وكلام شريف النظم بديع التاليف وذلك
لانه لا تعلق لشيء من هذه المعاني بتلاؤم الحروف وان احدنا لا يعاني وهو ان يكون
تلاؤم الحروف وحسنها من وجوه الفضيلة ودواخلا في عدد ما فصل به بين كلام
وكلام على الجملة لم يكن لهذا الكلام ضرر عليه لانه ليس باكثر من ان احمد الى الفضائل
فصر جها من جنس البلاغة والبيان وان يكون نظر لها وفي عداد ما يوسمها بها
من البراعة والجزالة واشباه ذلك مما ينبغي عن شرف النظم وعن المزايا التي ترجت
ذكرها واعلنك جنسها او جملها اسما مشتركا مع ناس مما ينبغ له ذلك واحرك
لما يرجع الى سلامته اللفظ مما يثقل على اللسان وليس واحد من الامرين يتنازح
فيما نحن بصدده وان تضيف سعيف في تلاؤم الحروف تبلغ به ان يكون الاصل
في الاعجاز واخرج سائر ما ذكروه في اقسام البلاغة من ان يكون له مدخل او ناثير
فيما له كان القرآن معجزا كان الوجه ان يقال له انه يلزمك على قياس قولك ان يجوز
ان يكون هنا نظر الالفاظ وترتيب لا على نسق المعاني ولا على وجه يقتضيه
العقل ثم يكون مع ذلك معجزا حتى يكون اللفظ مع ذلك والاوصاف انه اما يصعب
مراعاة التعادل بين الحروف اذا صح مع ذلك الى مراعاة المعاني كما انه اما يصعب
مراعاة الصحة والوزن ويصعب كذلك التجنيس والترصيع اذا وجي بعد المعنى
له وانت الان ان عقلت ما نقول فقد خرجت من مسالكك وتركت ان تسمي اللفظ
المريح من حيث هو لفظ وحيث طلب لصعوبة النظر فيما بين المعاني طريقا وسع
له علة غيرها يعرفه الناس ويدعي ان ترتيب المعاني سهل وان تناسل الناس
في ذلك الى حد وان الفضيلة تزداد وتقوى اذا وجي في حروف الالفاظ التعادل
والتلاؤم وهذا مسلك وهم وذلك انا لا نعلم لتعادل الحروف معنى سوى ان قسما من حروف
ما تجده في بيت ابي تمام ع ، كرم متى امدحه امدحه والورى ،
وبيت ابن سليم ع ، واذا تحثو عروق يعس ذو هوسه ،
وليس اللفظ السليم من ذلك بمعوز ولا بمعزز الوجود ولا بالذي لا يستطيعه الا
الشاعر العالي والخطيب البليغ فيستقيم قياسه على الصحيح والتجنيس ونحو ذلك
مما اذا رامه المتكلم صعب عليه تصحيح المعاني وباء به الاعراض فقولنا اطال الله
بقاءك وادام عزك وامتع نعمته عليك وزاد في احسانه عندك لفظ سليم مما ذكره
الناس وليس في حروفه استكراه وهكذا حال كلام الناس في نثرهم ومحاورات عصر

لانكاد تجد فيه هذا الاستكراه لانه انما يوتى بحرفي بعرض بعد مراعاة اذا تكلف
وتعمل فاما المرسل نفسه على تحبيرها فلا يعرض له ذلك هذا والمتامل يستبين له
من انه انما يكون تلاؤم الحروف معجزا بعد ان يكون اللفظ والا لان مراعاة ايعاد
انما يصعب اذا صح مع ذلك الى مراعاة المعاني اذا تاملت يذهب الى ما يطيب
وهو ان يصعب مرام اللفظ بسبب مرام المعنى وذلك محال لان المعنى يعرفه
العقلا عكس ذلك وهو ان يصعب مرام المعنى بسبب اللفظ فصعوبة ما يسبب
من العجز هي بسببه عرضت في المعاني من اجل الالفاظ وذلك انه يصعب عليك
ان توفق بين معاني تلك الالفاظ الصحيحة وبين معاني الفصول التي جعلت اوعية
لها فلم تستطع ذلك الا بعد ان عدلت عن اسلوب الى اسلوب او وجدت في ضرب
من المجاز واخذت في نوع من الاتساع وبعد ان تلطفت على الجملة مرة باسباب اللطف
وكيف يتصور ان يصعب مرام اللفظ بسبب المعنى وانت ان اردت الفرق لاحظت
اللفظ محالة واما تطلب المعنى واذا ظفرت بالمعنى فاللفظ معك وازا ما طرق اما
يتصور ان يصعب مرام اللفظ مراحل للمعنى ان لو كنت اذا طلبت فصلته اجتهدت
الى ان تطلب على جدة وذلك محال هذا واذا توهم متوهم انا نحتاج الى ان نطلب
اللفظ وان من شان الطالب ان يكون هناك فان الذي يتوهم انه نحتاج الى طلبه
هو ترتيب الالفاظ في المنطق لاحالة واذا كان كذلك فينبغي لنا ان نرجع الى نفوسنا
ونتفكر هل يتصور ان ترتيب معاني اسماء وافعال وحروف في النفس ثم يجيء به لسانا
سواء نطق به او انطق حتى يصاح في ذلك الى مكرر ويه وذلك ما لا شك فيه عاقل
اذا هو رجع الى نفسه واذا بطل ان يكون ترتيب اللفظ مطلوبا بحال ولم يكن المطلوب
بعد الا ترتيب المعاني وكان معول هذا المخالف على انه لك فقد اضمحل الكلام وبان انه
ليس لما رام في حديث المزية والاعجاز حول اللفظ ورام ان يجعله السبب في هذه
الفضيلة الا التسكع في الهرج والخروج عن فاسد من القول الى مثله والله الموفق
للصواب ع فان قيل اذا كان اللفظ معزل عن المزية التي ذكرتها فيما
وكانت مقصورة على المعنى فكيف كانت الفصاحة من صفات اللفظ وكيف استح
ان توصف بها المعنى فيقال معنى فصيح وكلام فصيح المعنى قيل انما استحق ما
باللفظ وكانت من صفته من حيث كانت عبارة عن كون اللفظ على وصف اذا كان
عليه دل على المزية التي نحن في حديثها واذا كانت لكون اللفظ والاستدلال ان يوصف

بها المعنى كما سيجيء ان يوصف المعنى بانه والمثلا ما عرفته فان قيل فاذا عنا
القدماء بان قسموا الفضيلة بين المعنى واللفظ فقالوا معنى لطيف ولفظ شريف
ونحو ذلك وعظموه حتى يتعرم في ذلك من بعدهم وحتى قال قوم ان
المعاني لا تتباين وانما تتباين الالفاظ فاطرحوا كثيرا كلاما يوهم كل من سمعه ان
المزية في جانب اللفظ قيل له انما كانت المعاني مما تتباين الالفاظ وكان لا سبيل
للمرء بلفظ والجامع شملها الى ان يعلمك ما صنع في ترتيبها تعكر الا بترتيب الالفاظ
في نطقه نحو وانما عنوا بترتيب المعاني بترتيب الالفاظ ثم بالالفاظ يحذف
الترتيب ثم استعواذ لك من الوصف والنعت ما ابان الغرض وكشف عن المراد
كقولهم لفظ متمكن يريدون انه موافقة معناه لمعنى ما يليه كالشيء الحاصل في
مكان صالح يطمئن فيه ولفظ قلق نابٍ يريدون انه من اجل ان معناه غير موافق
لما يليه كالحاصل في مكان لا يصلح له فهو لا يستطيع الطمانينة فيه الى سائر ما يجيء
في صفة اللفظ مما يعلم انه مستعار له من معناه وانهم علموا بابا سبب مضمونه
ومؤداه هذا ومن تعلق بيد او شبهه واعرضه الشك فيه مما هو الذي معنى فهو
رجل قد ابى بالتقليد فهو يدعو الشبهة الى نفسه من غير سلطان ومن كان هذا
سبيله فليس بمراد سواسي السكوت عنه وتركه وما يختار لنفسه من سوء التطفل
وقلة التدبر مع قد فرغنا الان من الكلام على جنس المزية وانها من خواص المعاني
دون الالفاظ وانها ليست لك حيث تسمع باذنك بل حيث ينظر عقلك وتستعين
بفكرك وتعمل رويتك وقراحة عقلك وتستعد في الجملة فهمك وبلغ القول
في ذلك اقصاه وانتهى المدى اليه وينبغي ان تأخذ الان في تفصيل امر المزية وبيان
الجهات التي منها تعرض وانه لمرام صعب ومطلب عسر ولولا انه على ذلك لما
وجدت الناس بين منكر له من اصله ومتصل له على غير وجهه ومعتقد انه باب
لا تتوفى عليه العبارة ولا يمكن فيه الا الاشارة وان طريق العلم اليه مسدود دونه
التفهيم ومعلق وان معانيك فيه معان تأبى ان تجري مجرى الشعر وان يدبر
التعيين والتصوير وان تزي سائرة لا تغلب عليها وبادية لا تحجب دونها وان ليس
الواصف لها الا ان يلوح ويشير او يضرب مثلا يبنى عن حسن قد عرفه على الجملة
وفضيلة قد احسها من عيان بتبع ذلك بيانا ويتم عليه برهانا وذكره على
او نورد فيه حجة وانا انزل لك القول في ذلك واجد شيئا فشيئا واستعين الله

تعالى عليه واسأله التوفيق والعصمة ،

٭ فصل ٢ اللفظ يطلق ويراد به غير ظاهره ٭

اعلم ان لهذا الضرب اتساعا وتشعبا الا في غاية الا انه على اتساعه يدور في
الامر الاعم على شيئين الكناية والمجاز والمواد بالكناية ههنا ان يريد المتكلم اثبات
معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء الى معنى هو تاليه
وردفه في الوجود فيومئ به اليه ويجعله دليلا عليه مثال ذلك قولهم هو
طويل النجاد يريدون طويل القامة وكثير رماد القدر يريدون كثير القرى وفي المرأة
نؤوم الضحى والمراد انها مترفة مخدومة لها من يكفيها امرها فقد اراد في هذا
كله كما ترى معنى ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به ولكنهم توصلوا اليه بذكر معنى آخر
من شأنه ان يردفه في الوجود وان يكون اذا كان اذا كان ان القامة اذا طالت
طال النجاد واذا كثر القرى كثر رماد القدر واذا كانت المرأة مترفة مخدومة كان
امرها رافدا فذلك ان تنام الى الضحى واما المجاز فقد عول الناس في حده على ان
النقل فان كل كلام نقل عن موضعه فهو مجاز والكلام في ذلك يطول وقد ذكرت
ما هو الصحيح في ذلك في موضع آخر فانا اقتصر بها ههنا على ذكر ما هو اشهر منه والظن
والامر والشرح فيه تشبيه الاستعارة والتمثيل واما يكون التمثيل مجازا اذا اجريا
على حد الاستعارة والاستعارة ان تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع ان تعبر عن المشبه
وتطرح ذكره للاسم المشبه به فتعير المشبه وتجريه عليه بيدان يقول رأيت
رجلا هو كالاسد في تجاعته وقوة بطشه سواء فتدع ذلك وتقول رأيت اسدا او ترى
آخر من الاستعارة وهو ما كان نحو قوله ع ، اذا اسبحت بيد الشمال زمامها ،
هذا الضرب وان كان الناس يضمونه الى الاول حيث يذكرون الاستعارة فيما
سواه وذاك انك في الاول جعلت الشيء الذي ليس به وفي الناس جعل الشيء الذي ليس من
هذا الذكر انا قلت رأيت اسدا فقد ادعيت في انسان انه اسد وجعلته اياه ولا يكون
الانسان اسدا واذا ولت ع ، اذا اسبحت بيد الشمال زمامها ، فقد علمت
ان للشمال يدا ومعلوم انه لا يكون للريح يد وهما اسلوب مسلوك وهو ان تجعل
المشبه المشبه به على احد امرين احدهما ان ينزله منزلة الشيء الذي ذكر بامر يوجب له
ذلك لا يحتاج الى ان تعمل له اسامه وتوجبه وذلك حيث يسقط ذكر المشبه من
البين ولا يذكر بوجه من الوجوه كقولك رأيت اسدا او انك ان جعل ذلك كالامر

الذي انت تحتاج الى ان تعمل في اثباته وتوجيهه وذلك حيث تجري اسم المشبه
به حيا على المشبه فتقول زيد اسد او زيد هو الاسد او تجيء به على وجه يرجع
الى هذا كقولك ان لقيته لقيت به اسدا او ان لقيته ليلقينك منه الاسد فان
في هذا كله تعمل في اثبات كونه اسدا والاسد ويمنع كلامك له واما في الاول
فتخرجه مخرج ما لا يحتاج فيه الى اثبات وتقرير والقياس يقتضي ان يقال
في هذا الضرب اعني ما انت تعمل في اثباته وتوجيهه انه تشبيه على حد المبالغة
وتقتصر على هذا القدر ولا يسمى استعارة واما التمثيل الذي يكون مجازا لحيلك
به على حد الاستعارة فمثاله قولك لرجل يتردد في الشيء بين فعله وتركه
اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى فالاصل في هذا اراك في تردد فلكن تقدم رجلا
وتؤخر اخرى ثم اختصر الكلام كما كان الاصل في قولك رايتا سدا رايت رجلا
كالاسد ثم جعل كانه الاسد على الحقيقة وكذلك تقول للرجل يعمل في غير معمل
اراك تسعى في غير شيء وتخط على الماء فجعله في ظاهر الامر كانه يسعى ويخط والمعنى على
انك في فعلك كمن يفعل ذلك وتقوله لرجل يعمل الحيلة حتى يحيل صاحبه الى
الشيء فكان يأباه ويمتنع منه ما زال يفتل في الذروة والغارب حتى بلغ منه ما
اراد فجعله بظاهر اللفظ كانه كان منه قبل في ذروة وغارب والمعنى على انه
لم يزل يرفق بصاحبه ويغايشه حاله فيه حال الرجل يحتال البعير الصعب فيحكه
ويمسح الشعر في ذروته وغاربه حتى يسكن ويستأنس وهو في المعنى نظير قولهم
فلان يقرد فلانا يعنون انه يتلطف له فعل الرجل يقرد من البعير ليلين ذلك
فيسكن ويثبت في مكانه حتى يتمكن من اخذه وهكذا اكل كلام رأيتهم قد تحوا فيه
نحو التمثيل لم يفصحوا بذلك واخرجوا اللفظ مخرجه اذا لم يريدوا تمثيلا ع

[illegible] كناية ابلغ من الافصاح ه

والغرض اقوى من التصريح وان للاستعارة مزية وفضلا وان المجاز ابدا ابلغ
من الحقيقة الا ان ذلك وان كان معلوما على الجملة فانه لا يظهر بين نفس العاقل في كل
ما يطلب العلم به حتى يعلم فيه غايته وحتى يفاضل الفكر الى دواياه وحتى لا يشفي عليه
موضع شبهة وسكان ساله محض وان كنا نعلم انك اذا قلت هو طويل النجاد وهو
جم الرماد كان ابلغ لعلمك انك لو تركت الكناية وتصرح بالذي تريد وكنا اذا
قلت رايت اسدا كان ذلك مزية لك لكون اذا قلت رايت رجلا نحو والاسد سواء

في معنى الشجاعة وفي قوة القلب وشدة البطش واشباه ذلك واذا قلت للعربي انك
تقدم رجلا وتؤخر اخرى كان اوقع من صريحه الذي هو قولك للعربي انك تردد
في امرك وانك في ذلك كمن يقول اخرج رجلا واخرج اخرى وقطع على
ذلك حتى لا تطالبنا بسكب معاني امكن انفسنا تمام السكون اذا عرفنا السبب في
ذلك والعلة ولم كان كذلك وهيهات ما له عبارة تقوم عنا من يريد اوامه وهذا
هو قولنا في ذلك اعلم ان سبيلك اولا ان تعلم ان ليست المزية التي جنبرنا هذه
المتناسبين على الكلام المنزول على ظاهره والمبالغة التي يدعى فيما في النفس العاقل
التي يقصد المتكلم ايرادها بخرج ولكنها في طريق اثباته لها وتقريره اياها تفسيره ذلك ان
ليس المعنى اذا قلنا ان الكناية ابلغ من التصريح انك لما كنيت عن المعنى زدت في
ذاته بل المعنى انك زدت في اثباته فجعلته ابلغ واكد واشد فليست المزية في قولهم جم
الرماد انه دل على فقري اكثر بل انك اعطيت له الفقر الكبير من وجه هو ابلغ واوجب
احتجاجا هو اشد واد عنه دعوى انت بها اوثق وبصحتها اوثق وكذلك ليست المزية
التي تراها لقولك رايت اسدا على قولك رايت رجلا لانه يتبين عن الاسد في نجاعته
وجرائته انك قد افدت بالاول زيادة في مساواته الاسد بل ان افدت بالجملة وشبهها
وقوة في اثباتك له هذه المساواة وفي تقرير ذلك عندك ليس بأثر الاستعارة اذا في غاية
المعنى وحقيقته بل في اكتسابه والحكم به وهكذا قياس التمثيل تري المزية ابدا في ذلك
تقع في طريق اثبات المعنى دون المعنى نفسه فاذا سمعتهم يقولون ان من شأن
هذه الاجناس ان تكسب المعاني جلالة وتوجب لها شرفا وان تفخمها في نفوس
السامعين ويرفع اقدارها عند الخاطبين فانهم لا يريدون الشجاعة والكرم
واشباه ذلك من معاني الكلم المفردة وانما يعنون اثبات معاني هذه الكلم لمن تثبت له
ويخبر بها عنه هذا ما ينبغي العاقل ان يجعله على ذكر منه ابدا وان لم يعلم ان ليست
لنا اذا نحن تكلمنا في البلاغة والفصاحة مع معاني الكلم المفردة شغل وانا هي سائل
واما بعد فالاحكام التي تحدث بالتأليف والتركيب واذ قد عرفت مكان هذه المزية
والمبالغة التي لا تزال تسمع بها وانبأنا في الاثبات دون المثبت فان لها في كل واحد من
هذه الاجناس سببا وعلة اما الكناية فان السبب في ان كان للاثبات بها مزية
لكون التصريح ان كل عاقل يعلم اذا رجع الى نفسه ان اثبات الصفة باثبات دليلها
واخبارها بما هو شاهد في وجودها اكد وابلغ في الدعوى من ان يجيء لها نفسها عكيا

الذى اسند صاح الى ان تحمل فى اثباته وتوجيهه وذلك حيث تجرى اسم المشبه
به على المشبه فتقول زيد اسد او زيد من الاسد او نحو ذلك على وجه يرجع
الى هذا كقولك ان لفلانة ان لفلانة لغيبت به اسدا او ان لفلانة لبلدنك منه الاسد ما ثبت
فى هذا كله تحمل فى اثبات كونه اسدا او الاسد ويضع كلامك له وانما الاول
فمخرجه مخرج ما لا يحتاج فيه الى اثبات وتقرير والغرض يقتضى ان يقال
فى هذا الضرب انما اثبت تحمل فى اثباته وتوجيهه انه تشبيه على حد المبالغة
وينصرف عن هذا القدر ولا يبقى استعارة واما التمثيل الذى يكون صفة لجملة
به على حد الاستعارة فنحو قولك لفرجل يتردد فى الشئ بين فعله وتركه
اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى فالاصل فى هذا اراك فى تردده كمن يقدم رجلا
ويؤخر اخرى ثم اختصر الكلام كما كان الاصل فى قولك رأيتك اسد عادت رجلا
كالاسد ثم جعل كانه الاسد على المبالغة وكذلك تقول للرجل يعمل فى غير معمل
اراك تخبط فى عمياء وتخبط عشواء فالاصل فى هذا هو الامر كانه يخبط والمعنى على
انك فى حالك كمن يفعل ذلك وتقول للرجل يحمل الخيط حتى تحمل صاحبه الى
التى فتكان بأباه وتسنح منه سانحة الفتور والتعازب حتى بلغ منه ما
اراد بحيلة يظاهر اللفظ كانه كان منه قيل فى فتور وتعازب والمعنى على انه
لم يزل يرفق بصاحبه ويغازله حاله فيه حال الرجل يحتال الى البعير الصعب بحمله
ويسهل النهوض فى فتوره وغاربه حتى يسكن ويأنس ويدنو فى المعنى نظير قولهم
فلان يغرد ولا تدعى انه يلطف له فعل الرجل بنوع الغراد من البعير لتلذه
فيسكن ويثبت فى مكانه حتى يتمكن من اخذه وهكذا القول فى سائر ما يتهم فيه
نحو التمثيل لم يتصفحوا بذلك واخرجوا اللفظ مخرجه اذا لم يرد والتمثيل ع

والغرض فى كل من التصريح وان للاستعارة مزية وفضلا وان المجاز ابلغ
من الحقيقة الا ان ذلك وان كان معلوما على الجملة فانه لا بد من نفس العاقل فى كل
ما يطلب العلم به حتى يعلم فيه غايته وحتى يحاصل الفكر الى وراءه وحتى يستقى عليه
موضع شبهه ومكان سالمه فمهما وان كنا نعلم انك اذا قلت هو طويل النجاده هو
عم الرماد كان ابلغ فى جنا كون وسائل من ان يدع الكناية وتصرح بالذى يريده وكنا انا
قلنا رأيت اسدا كان ذلك مزية لا تكون اذا قلت رأيت رجلا هو والاسد سواء

فى بعد الشجاعة وفى قوة القلب وشدة البطش واشباه ذلك واذا اردت المعنى انك
تعدم رجلا وتوجد اخرى كان اوقع من صريحه الذى هو انك تلغى انك تجد
فى احدهما ولك فى ذلك كمن يقول اخرج ولا اخرج فتعدم رجلا وتوجد اخرى وتطمع بذلك
حتى لا تخطئها ساكنه فيه فاما سكون انفسنا عام السكون اذا هو وانما الشبه فى
ذلك والعقد ولم كان كذلك وشبها بالمه عبارة تعوم هنا من يريد ابانه وهذا
هو قولنا فى ذلك اعلم ان سبيلك اولا ان تعلم ان ليست المزية التى بينها هذه
الشواهد على الكلام المزيد على ظاهره والمبالغة التى يدعى فيها فى النفس المعانى
التى يقصد المتكلم ان يخبر ويكنى بها عن طريق اشاره لها وتعريضه اياها تصريح لذلك ان
ليس المعنى اذا قلنا ان الكناية ابلغ من التصريح انك لما كنيت عن المعنى زدت فى
ذاته بل المعنى انك زدت فى اثباته فجعلته ابلغ واكد واشد فليست المزية فى قولهم
زيد اسد دل على فزى الرجل انك اثبت له الشجاعة اكثر من وجه هو ابلغ واوجب
انما هو اسد واد عيته دعوى انت بها اعلم وبصحتها اوثق وكذلك ليست المزية
التى تراها لقولك رأيت اسدا على قولك رأيت رجلا لا تعبر عن الاسد فى نحو عنه
وجرأته انك قد افدت بالاول زيادة فى مساواته الاسد ان افدت تأكيدا
وزيادة فى اثباته له هذه المساواة وفى تعذر ذلك فيما ليس باستعارة اذا فى ذات
المعنى وحقيقته بل فى اثباته والحكم به وهكذا قياس التمثيل تركب المزية اذا فى ذلك
نجع فى طريق اثبات المعنى دون المعنى نفسه واذا سمعتهم يقولون ان من شأن
هذه الاجناس ان يكسب المعانى جلالة وفضلا ويوجب لها شرفا وان تجرى فى ثوب
انسا يعين ويرفع اقدارها عند الخاطبين فانهم لا يريدون الشجاعة والتهور
والسماحة وذلك من معانى الظلم انفرد وانما يعنون اثبات تلك المعانى على جملة الكلام التى
وتجرى به عنه فهذا ما ينبغى العاقل ان يجعله عماده كل منه ابدا وان لم يعلم انه
لنا انا نحن نكلفك الى بلاغة والفصاحة مع معانى الكلم المفرده شغل ولا هى مما سبيل
وانما نعود الاحكام التى نحدث بالتأليف والتركيب واذا قد عرفت مكان هذه المزية
والمبالغة التى لا تراها تقع بها وانها فى الاثبات دون المثبت فان لها فى كل واحد من
هذه الاجناس سببا وعلة اما الكناية فان السبب فى ان كان للاثبات بها مزية
لكون التصريح ان كل عاقل يعلم اذا رجع الى نفسه ان اثبات الصفة باثبات دليلها
واتجابها لما هو شاهد فى وجودها اكد واوجب فى الدعوى من ان يجئ لها بنفسها عاريا

سامحا عقلا وذلك لانه في شاهد الصنعة وبديها الاوالاخر ظاهر معروف
وحسن لا يشكو فيه ولا يظن بالخبير التحوز والغلط واما الاستعارة فلسبب مانع
فيها من المزية والفخامة لانك اذا اطلقت رأيت اسدا كنت قد تابطت لما اردت
اشباته له من فرط الشجاعة حتى جعلتها كالشيء الذي يجب له الثبوت والحصول وكالامر
الذي نصب له دليل يقطع بوجوده وذلك انه اذا كان اسدا فواجب ان يكون
له تلك الشجاعة العظيمة وكما تستحيل او تمتنع ان يعرى عنها واذا امرجت الشبه
صلت رأيت رجلا كالاسد كنت قد اثبتها اثباتا الى بين بين ان يكون وبين ان
لا يكون ولم يكن في حديث الوجوب في شيء وحكم التمثيل حكم الاستعارة سواء وذلك
اذا قلت اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى فاوجبت له الصورة التي يقطع معها
بالتحير والتردد كان ابلغ لانحاله من ان تعرى على الظاهر وتقول قد جعلت تردد
في امرك فانت كمن يقول اخرج ولا اخرج فتقدم رجلا وتؤخر اخرى ع

وان تفاوتت التفاوت الشديد الا ترى انك تجد في الاستعارة العامي الذي
كقولنا رأيت اسدا ووردت بحرا ولقيت بدرا والفاضي الناذر الذي لا تجده
الا في كلام المحول ولا يقوى عليه الا امراء الرجال كقوله ع

«احد نا باطراف الاحاديث بيننا» وسألت باعناق المطي الاباطح»

اراد انها سارت سيرا حثيثا في غاية السرعة وكانت سرعة في لين وسلاسة حتى كانها
كانت سهلا وقعت في تلك الاباطح فعرت بها وسهل هذه الاستعارة في الحسن والقبول
وعلو الطبقة في هذه النقطة تعبيرها قوله الاخر ع

«سالت عليه شعاب الحي حين دعا انصاره بوجوه كالدنانير»

اراد انه سطاع في الحي وانهم سيرعون الى نصرته وانه لا يدعوهم لحرب او نازلة
خطب الا انوه فكثر واعليه وارد حولوا اليه حتى عد بهم كالسيول تجيء من ههنا
وههنا وينصب من هذا السيل وذاك حتى يعمر بها الوادي ويطفح منها وهذا
بديع الاستعارة وناد رفيها الا ان رجعة العرابة فيه عرجتها في هذا قوله يريد
ان سألته عن عدد اذلك بعضر فرسانه وانه سوف وانه اذا حزبه امر كان اول من يرد
في نحره وقف مكانه لان يعود الى بيته ع

«عودته فيها ازرق وهو ابي» اعماله وكذاك كل محاطره»

«واذا احتبى قربوسه بعباءته» علك التكيم الى اعراف الزابر»

والعرابة هيئة في الشبه نفسه وفي ان اسد رك ان هذه العنان في موقعه من وجه
الترج كالهيئة في ثوب الثوب من ركبه الخيشي ولست العرابة في قوله وسالت
باعناق المطي الاباطح على هذه الجملة وذلك انه لم يغرب لان جعل المطي في سرعة سيرها
وسهولته كالماء يجري في الاباطح وان هذا شبيه بمعروف ظاهر ولكن الرقة والعذوبة
في خصوصية اناطها بان جعل يسأل فعلا للاباطح ثم اسناده باسلم بان ادخل الاعناق
في البين فقال باعناق المطي ولم يقل بالمطي ولو قال سالت المطي في الاباطح لم يكن شيئا
وكذلك الغرابة في البيت الآخر ليست في مطلق معنى سأل ولكن في تعديته بعلى وابا
وبان جعله فعلا لقوله شعاب الحي ولولا هذه الامور كلها لم يكن هذا الحسن وهذا
موضع يدق الكلام فيه وهو اشبه شيء من هذا الفن ع

«اليوم يوم سد غيبت عن بصري» «تعني فداؤك ساد بي اصدري»

«اسي واصبح لا الواك واجزع» «اقد بانوا في بكرهي الغدر»

سوار بن المضرب وهو بديع جدا ع

«بعوض تنوفة الريح فيها» نسيم لا يروع الترب وان»

بعض الاعراب ع

«ولربّ خصم جاهدين ذوي شذى» «قد كبّ بوزهم لغير هوادة»

«لدّ ظاهر نصر على باسلهم» «وغمام باسلهم بحق ظاهر»

المقصود لفظ حسان ع ابن المعتز

«حتى اذا ما عرف الصيد الفناء» وادن الصبح لنا في الاسفار»

الشيء حتى اذا ما تبينا ان نبصر شيئا فاكان تقدير الابصار متعاونين الليل
جعل امكانه عند ظهور الصبح اذ ناس الصبح ع وله

«يخيل لذي لبّ به بكد الوعد باطحي» وله

«يناجيني الاخلاف من بيت مطله» فتخصم اقذال والبانه في صدري»

ومما يوفي غايته الحسن ويوسم الغرض الاول قوله الشاعر انشده الجاحظ

«لقد كذبت في يوم علك نحره» «بنفسك الان ما طاح طائح»

«عودون لو خاطوا عداك بسوطهم» «ولا بد يوم الموت للموت سائح»

«والبه ذهب بشار في قوله ع

« وما حبت كما قد نيل المزيد » حمله في رقعة سرجلدي »

ومن سر هذا الباب انك ترى اللفظة المستعارة قد استعيرت في مواضع ثم ترى لها في بعض ذلك ملاءمة لاحدها في اثناني مثال ذلك انك تنظر الى لفظة الحسرة في قولك الى هام « لا تطلع المرء ان عتاب لحته » بالعول سالم يكن جسراله العلل » وقوله

« بصرت بالراحة الكبرى فلم ارها » تساقط الا حاسرة من التعب »

ترى لها في الثاني حسنا الى شيء في الاول لم تنظر اليها في قوله ربيعة المرقي ع

« قل نعم وتعم ان قلت واحبه » قالت عسى وعسى جسر الي نعم »

ترى لها لطفا وخلابة وحسنا ليس الفضل فيه بقليل ومما يسأل عن شرف الاستعارة ان ترى الشاعر قد جمع بين عدة استعارات قصدا الى ان يحتال بالشكل وان يتم المعنى والشبه فيما يريد مثاله قول امرئ القيس ع

« فقلت لها اقبلي بعضليه » وارد ف اعجازا وكا بكل »

لما جعل الفعل عليلا وقد تعلق به شيء ذلك فجعل له اعجازا قد اردف بها الصلب ثم جعل له كلكلا قد ناب به واستوى له حمله اركان الحقب وراعى بما يراه الناظر من سواده اذا نظر قد امه واذا نظر الى ما خلفه واذا ارتفع البصر وسده في هوض الجو واعلم ان ههنا اسرارا ودقائق لا يمكن بيانها الا بعد ان نقدم جملا من القول في النظم وفي تفسيره والمراد منه واي شيء هو وما محصوله ومحصول الفضيلة منه ينبغي لنا ان ناخذ في ذكره وبيان امره وامر المزية التي ندعوله من اين تاتيه وكيف يعرض فيه وما اسباب ذلك وعلله وما الموجب له وقد علمت اختلاف العلماء في معنى نظم الكلام ونحيم قدره والتنويه بذكره واعتقادهم ان لا فضل مع عدمه ولا قدر للكلام اذا هو لم يستفد له ولم يبلغ في عبارته معناه ما بلغ وسلموا لهم بانه الذي لا تمام دونه ولا توام الا به وانه الطلب الذي عليه المدار والمعول الذي به الاستقلال وما كان هذا المحل من الشرف وفي هذه المنزلة من الفضل وموضوعا هذا الوضع من المزية وبالغا هذا المبلغ من الفضيلة كان حريا بان توقظ له الهمم وتوكل به النفوس وتحرك له الافكار وتستخدم فيه الخواطر وكان العاقل جديرا ان لا يرضى من نفسه بان يجد فيه سبيلا الى مزية عظيم وفضل استبانه وتخصيص حجة وتخريج دليل يعرض عن ذلك صفحا ويطوي دونه كشحا وان يرى بابا منه وتدخل عليه الآفة من ان يكون في سبيل المقلد

الذي لا بد حكاية لاقبل الى عمل ولا تحد ما يروى من الشورة وتسقي فضل التأكد وهو يستطيع ان يرفع عن هذه الجملة ويباين من هو احق الفضيلة فان ذلك دليل ضعف الراي وقصر الهمة ممن يختار ويجعل عليه ع اعلم ان درس النظم الآن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه واصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها وذلك انا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير ان ينظر في وجوه كل باب وفروقه فينظر في الخبر الى الوجوه التي راعاها في قولك زيد منطلق وزيد ينطلق وينطلق زيد وينطلق زيد وزيد المنطلق والمنطلق زيد وزيد هو المنطلق وزيد هو ينطلق وفي الشرط والجزاء الى الوجوه التي راعاها في قولك ان تخرج اخرج وان خرجت خرجت وان تخرج فانا خارج وانا ان خرجت فانا خارج ع وفي الحال الى الوجوه التي راعاها في قولك جاءني زيد مسرعا وجاءني يسرع وجاءني وهو مسرع او وهو يسرع وجاءني قد اسرع وجاءني وقد اسرع فيعرف لكل موقع من ذلك موضعه ويجيء به حيث ينبغي له وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى فيضع كلا من ذلك في جنس معناه نحو ان يجيء ما في الجواب ولا اذا اراد نفي الاستقبال وان فيما يترجح بين ان يكون وان لا يكون واذا فيما علم انه كائن وينظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل منها من موضع الوصل ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع الواو ومن موضع الفاء وموضع ثم من موضع ثم ومن موضع او ومن موضع ام وموضع لكن من موضع بل وينصرف في التعريف والتنكير والتقديم والتاخير في الكلام كله وفي الحذف والتكرار والاضمار والاظهار فتصيب بكل من ذلك مكانه وتستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له هذا لو انتسل وانت واحد شيئا يرجع سواء ان كان سوءا وخطاء او ان كان خطأ الى النظم ويدخل تحت هذا الاسم ايضا وهو يعني من معاني النحو ما اصيب به موضعه ووضع في موضعه او عومل بخلاف هذه المعاملة فازيل عن موضعه واستعمل في غير ما ينبغي له فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم او فساده او وصف بمزية وفضل فيه الا وانت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل الى معاني النحو واحكامه ووجدته يدخل في اصل من اصوله ويتصل بباب من ابوابه هذه جملة لا يزيده النظر فيها نظرا الا ازدادت

لها الصور وازدادت عندك محبة وازددت بها علما وليس من احد يحرك لان يقول في امر النظم شيئا الا وجدته قد اعترف لك بها او بعضها ووافق فيها وقد رأيتك اولم يدع ويكفيك انهم قد كشفوا عن وجه ما اردته وحيث ذكروا فساد النظم فليس من اختلاف في قولك الغرر ذن ع

« ومسئلة في الناس الا فهل لكا » ابوامه حي ابوه بعاريه »

« وكذا اسم اطلب العين جفونها » من انها عمل السوق عوامل »

« اتعبت انت اذا اصابك طيبه » والما انت اذا عصلت العامل »

« وقولك كانا ربع اصحاب طاسه » بان بسعد او ادمع اشباه ساجمه » وقولك اي ايام

« باسه في كبد السما ولم تكن » كاشبن ثان اذ هما في الغار » وقوله

« بدي لمن شاء هن لم يذق جرعا » من راحتيك ه ركي ما الصاد والعسل »

والى ظاهر ذلك ما وصفوه بفساد النظم وعابوه من جهة تتوالي الف الصاد والعذل كانا من ان يتعاطى انسان عيب ما تعاطاه من هذا الشان عجا عن الصواب وصنع في عدم وناخبر او حذف واضمار او غيره ذلك مما ليس له ان يصنعه وما لا يسوغ ولا يصح على اصول هذا العلم واذا ثبت ان سبب فساد النظم واختلاله ان لا يعمل بموجبين هذا الشان ثبت ان سبب صحته ان يعمل عليهما ثم اذا ثبت ان سبب صحته وفساده من هذا العلم ثبت ان الحكم كذلك في مزيته والفضيلة التي تعرض فيه واذا ثبت جميع ذلك ثبت ان ليس هو شيأ غير توخي معاني هذا العلم واحكامه فيما بين الكلم والله الموفق للصواب ه واذ قد عرفت ذلك فاعمد الى ما تراه مستوفيا للحسن وتأمله وانظر بالفضل لم جعلوه كذلك من اجل النظم خصوصا وقد دون غيره مما يستحسن له الشعر او غير الشعر من معنى لطيف او حكمة او ادب او استعارة او تخييل او غير ذلك مما لا يدخل في النظم وتأمله فاذا رأيتك قد راجعت واعترفت واسعيت في النظر الى حركات الاعجاز منه كانت وعند ما اذا ظهرت فانك ترى عيانا ان الذي قلت لك كما قلت احمد الى قوله البحتري ه

« بلونا ضرائب من قد ترى » فما ان رأينا لفتح ضريبا »

« هو المرأبدت له الحادثات » عزما وشيكا وراأ صليبا »

« يعد له حلمي سوددا صاحبا » وباسا محببا »

« وكالسيف ان حسنه صارما » وكالبحر ان حسنه سكبا »

فاذا رأيتها قد راجعتك وكررت عندك ووجدت لها اهتزازا في نفسك وجدت فانظر بعد السبب واستقص في النظر فانك تعلم ضرورة ان ليس الا انه قدم واخر وعرف ونكر وحذف واضمر واعاد وكرر ووخي بكل الجملة وخصائص الوجوه التي منها علم النحو فاصاب في ذلك كله ثم لطف موضع صوابه واتى مأتى يوجب الفضيلة الا ترى ان اول شيء ترى ذلك فيه قوله بما المرأبدت له الحادثات ثم قوله بعد ذلك في صفة سودد بتنكير السودد واضافة الخلق من ثم قوله فكالسيف وعطفه بالفاء مع حذف المبتدأ الآن الذي لا يحتاج فيه كالسيف ثم تكرير الكاف في قوله وكالبحر ثم ان قرن الى كل واحد من التشبيهين شرطا جوابه فيه ثم ان خرج من كل واحد من الشرطين حالا على مثال ما خرج من الآخر وذلك قوله صارما هناك وسكبا هيهنا لا ترى حسنا يشبه الى النظم ليس سببه ما ذكرت لك او ما هو في حكم ما عددت لك فاعرف ذلك وان اردت اظهر امرا في هذا المعنى فانظر الى قول ابراهيم بن العباس

« فلو اد بنا دهر وانكر صاحبه » وسلط اعداء وعاب تنصبي »

« لكون عن الاهواء اي نحوه » ولكن مقاد رجرت وامور »

« واني لارجو بعد هذا تحمدا » لافضل ما يرجى اخ ود رشد »

فانك ترى ما ترى من الرونق والطلاوة ومن الحسن والحلاوة ثم سعود السبب في ذلك فيجده انما كان من اجل ما عمد له الشرف الذي هو اد بنا على عامله الذي هو كون وان لم تقل فلو يكون على الاهواء دارى نحوه اد بنا دهر هم ان قالب يكون ولم يقل كان ثم ان نكر الدهر ولم يقل فلو اد بنا الدهر ثم ان ساق هذا النكر في جميع ما لقي من بعد ثم ان قالب وانكر صاحبه ولم يقل وانكرت صاحبا لا مرية في البيتين الاولين شيأ غير الذي ذكرت لك بجعله حسنا في النظم وكله من معاني النحو كما ترى وهكذا السبيل ابدا الى كل حسن ومزية رأيتها قد نسبتها الى النظم وشرف احيل فيما عدده

فصل واذ قد عرفت ان مدار امر النظم على معاني النحو وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها ان تكون بسبب فاعلم ان الفروق والوجوه كثيرة لبس لها غاية تقف عندها وغايته لا تجد لها ازديادا بعد ما تعلم ان لست الذي هو اصل لها وفي الغير منها من حيث هي على الاطلاق ولكن تعرض بسبب المعاني والاغراض التي توضع لها الكلام ثم حسب موقع بعضها من بعض ه تفسير هذا انك ليس اذا رأيت انك انكرت في سودد من قولك تنقل في خالي سودد وفي هو من قولك ولو اد

دهرها انه يجب ان يروك ابدا وفي كل حين ولا اذا استحسنت لفظ مالم يسم ما عدا في قولي وانكر صاحب انه ينبغي ان لا تراه في مكان الا اعطيته مثل احسانك ههنا بل ليس من فعل ومرءة الا بحسب الموضع وبحسب المعنى الذي تريد والغرض الذي تؤم والمماثل هذه المعاني سيل الاصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش وكما انك ترى الرجل قد بعد في الاصباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي يجر الى ضرب من التكلف والقد يجري في سمت الاصباغ وفي مواقعها ومقاديرها وكيفيته مرجعه فيها وترتيبه اياها الى ما يراد الذي صاحبه فجانفسه من اجل ذلك التعجب وصورته اعرب كذلك حال الشاعر والشاعر في توجيه معاني النحو وتوجيهه التي عملت انما تحصل النظر واعلم ان من الكلام ما انت ترى المزية في لفظه والحسن كالاختراع المستبع بالمعنى ويتضم بعضها الى بعض حتى تكثر في العين فانت اذا لم تكثر شان صاحبه ولا تقضي له بالحذق والاستادية وسعة الدرج وسعة المدى حتى تستوفي القطعة وتاتي على هذه ابيات وذلك ما كان من الشعر في طبقة ما انشدك من ابيات المحتري ومنه ما انت ترى الجنس يجمع عليك منه دفعة وياتيك منه ما يملا العين مرة حتى تعرف من البيت الواحد مكان الرجل من الفضل وموضعه من الحذق ويشهد له بفضل المنة وطول الباع وحتى تعلم ان لم تعلم القايل انه من قبل شاعر فعل وانه خرج من تحت يد صناع وذلك ما اذا انشد ، وصنعت فيه اليد على حتى فعلت هذا هنا وما كان كذلك فهو الشعر الشاعر والكلام الفاخر والنمط العالي الشريف والذي لا يجده الا في شعر المحول الذين لم تطلع من الذين يهمون القول الهامًا اكل تحتاج ان تستقري عدة قصايد بل اكل تعمل ديوانا من الشعر حتى تجمع منه عدة ابيات وذلك مثل قول الاول وتمثل به ابو بكر الصديق رضي الله عنه حين اتاه كتاب خالد بالفتح في وقعة الاعاجم ، تمسانا لبقانا بقوم ، تحال بياض لا تزم المراسا ،

فقد لاقينا اسرا ، عوانا تمنع الشمخ الراسا ،

انظر الى موضع الفاء من قوله فقد لاقينا اسرا ، ومثل قول العباس بن الاحنف

، فالواحد اسان اقضي باجراء ساء ثم القعود فقد جبنا حزا سانا ،

انظر الى موضع الفاء من قبلها ومثل قول ابن الدمينة

، اعدي اني يحزى بدكم بعلتي ، فاصبح ام صبرتي في مكانكا ،

، ابيت كاني بين سفين مرجل ، حذار الردى او حية من ورائكا ،

، تعالجت كي اسلى وما بك علة ، تريدين قتلي قد ظفرت بذلكا ،

انظر الى الفصل والاستيناف في قوله تريدين قتلي قد ظفرت بذلك ومثل قول ابي حفص الشطرنجي وقاله على لسان عليه احمد الرشيد وكتب الرشيد بها اليها

، لو كان يمنع حسن القول صاحبه ، من ان يكون له دنت الى احد ،

، كانت عليه ابر الناس كلهم ، من ان تلافى بسوء اخر الابد ،

، ما اعجب الشي يرجوه فخرمه ، وكنت احسب اني قد ملاتك بي ،

انظر الى قوله فكنت احسب والى مكان هذا الاستيناف ومثل قول ابي واد

، ولقد اعدي بدافع وكفى ، احوذية ومنعه اصرح ،

، سلبت ثوب كان رماحا ، حملته وفي الرماة دموج ،

انظر الى التنكير في قوله كان رماحا ومثل قول محمد الزيدي ع

، ابيتك عابدا ابيك سبكا صاغت الجعل ،

، وصيرني هواك وهي لعمري تضرب المثل ،

، فان سلمت لكم نفسي فالابيته حلل ،

، وان قتل الهوى رجلا فاني ذاك الرجل ،

انظر الى الاشارة والتعريف في قوله فاني ذاك الرجل ومثل قول عبد الصمد ع

، مكتئب ذو كبد حرا ، تبكي عليه سفاه عبرى ،

، يرفع بمناه الى ربه ، يدعو وفوق الكبد الاخرى ،

انظر الى اطلقه يدعو والى موقعها ، مثل قول حرير ،

، لمن الديار بعرقة الزوحان ، اذ لا تبيع زمانا بزمان ،

، صدع الغواني اذ رمين فؤاده ، صدع الزجاجة ما الذي جبرانه ،

انظر الى قوله ما الذي جبرانه وتامل حال هذا الاستيناف ليس من بسهارف نحو هذا الكلام حساس يستفهم لشعر هذا الشان يشتد او يقرا هذه الابيات الا ثم يلبث ان يضع يده في كل بيت منها على الموضع الذي اشرت اليه يعجب ويتعجب وفكر شان الترتيب فيه والفصل ع والوصل ، واعلم ان مما اجرا اصلح ان يدق النظر ويحمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت ان تجد احزا الكلام ويدخل بعضها في بعض ويشتد ارتباط ثان منها باول وان تحتاج في الجملة الى ان تضعها

في النفس وسعا واحقا وان يكون حالك فيها حال الباني يضع جميعه هاهنا في حال ما يضع بستان هناك نعم وفي حال ما يسرح بكان ثالث ورابع يصنع ما بعد الاولين وليس لما شانه ان جعل على هذا الوصف حد يحصره وقانون يحيط به فانه يجيء على وجوه شتى وانما اصطنعت لغرضك ان جاوزت بين معنيين في الشرط والجزاء معا كقول البحتري

اذا ما نبي الناس فيك على الهوى ... اصاخ الى الواشي فلج بها الهجر

واذا احتربت يوما ففاضت دماؤها ... تذكرت القربى ففاضت دموعها

فسد الوجه ونوع مرة اخرى قول سليمان بن داود القضاعي

فبينا المرء في الدنيا الهوى ... ومنهج ابيج له اعتدالا

وبينا نعمة اذ حال بوس ... وبوس اذ نعقبه نوالا

ونوع ثالثة وهو ما كان كقول كثير

وافى وقد ماس من بعد ما ... تخللت مما بيننا وتخلت

الكلم يجيء على العوامة كلما ... تنوسيها للفضل اصحلت

لعمرك انا والزمان لجاجت ... على الاضعف الموهون عاد به الاقوي

ومنه التقسيم وخصوصا اذا قسمت ثم جمعت كقول حسان

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم ... دون النساء ولو باتت باطهار

بيض الوجوه كريم في عشيرتهم ... سمح اخلائق من غير اشرار

ومن ذلك وهو في غاية الحسن قول العامل

لوان ما انتم فيه يدوم لكم ... ظننت ما انا فيه دائما ابدا

لكن رايت الليالي غير تاركة ... ما سر من حادث او ساء مطردا

فقد سكنت الى ان ليس يسعدكم ... بقاء حالك في الدنيا ولا احدا

قوله سنحمد خلاف الحالتين فقد اخرج ما هو لطيف وذو اريحة لطفا حسن ما بناه عليه وحسن ما توصل به اليه من قوله فقد سكنت الى ان ليس يسعدكم الخ من الكلام وهو ما يجده احراره حتى يوشح وينقا واعلم انا اعني بالخط العالي والباب الاعلى والذي لا ترى سلطان الامر يعظم في شيء كعظمه فيه وما يزيد رونقه ويلطف مائه ويدق نظم واسعه ويحلى ويعذب ماؤه ويحمر وجنة العناق ويضاعف نعيما من قبله الدال الى الفرح الابيات المنسوبة في نسبة شيرين بسليمى بيت امرئ القيس ع

لا تنكر

كان دلوب الطير رطبا ويابسا ... لدى وكرها العناب والحشف البالي

وبيت الغرزدق ع

والشيب ينهض في الشباب كانه ... ليل يصيح بجانبيه نهار

وبيت بشار ع

كان مثار النقع فوق رؤوسنا ... واسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ومما ألف في هذا الباب ساف الحبب مما معنى كله قول زياد الاعجم ع

وانا وما يلقى لنا ان هجوتنا ... لكالحجر يرمى ما يليق في الحجر

واعلم ان العجب لان عمله ادق وطريقته اغمض ووجه الشبه فيه اغرب واعلم ان من الكلام ما انت تعلم اذا تدبرته انه لم يجئ واسعه الى ما كرر مرة حتى استظهر له بل ترى سبيله في ذلك سبيل بيتي بشر بن عمرو بن مرثد لانك في كليهما لا تجد سببا لان تعلم ان الشرق لم يرد اشيا بعضها الى بعض لا يريد في تعديده ذلك ان جمع له سنة هيئة او صورة بل ليس الا ان يكون مجموعة في راي العين وذلك اذا كان معناك معنى لا يحتاج ان يصنع فيه شيا غير ان يعطف لفظا على لفظ مثله كقول الجاحظ جنبك الله الشبهة وعصمك من الحيرة وجعل بينك وبين المعرفة نسبا وبين الصدق سببا وحبب اليك البث وزين في عينك الانصاف واذاقك حلاوة التقوى واشعر قلبك عز الحق واودع صدرك برد اليقين وطرد عنك ذل الياس وصرفك ما في الباطل من الذلة وما في الجهل من القلة ع وكقول بعضهم ... درخطيب قام عند بابك يا امير المومنين ما افصح لسانه واحسن بيانه واصح جنانه وابل ريقه واسهل طريقه ع

ومثل قول النابغة في النسا المجموع ايضا حرك الذي الخلي فوادك لعمراك خير من دعته والهاك خير من يمينه ولا حصنك خير من رأسه ولحظك خير من سوابه ولعيبك خير من كلامه ولحذرك خير من قومه ع وكقول بعض البلغا في وصف البيان البيان اداة يظهر بها حسن البيان وظاهر يخبر عن الضمير وشاهد ينبيك عن غايب وحاكم يفصل به الخطاب ودليل ينهى عن الصحيح ومترجم يدعو الى الحسن وتاريخ يحرث المودة وحاسة يحمى الضغينة وملة يوثق الاجماع فما كان من هذا وشبهه لم يحب به فضل اذا وجب الاسم به او ضمون الفاظه دون نظمه وتاليفه وذلك لا يتعدد

حتى تزكي في الامر مصنعا وحتى تجد الى الخير سبيلا وحتى يكون قد استبد وركبت سوآتا فان قلت اليس هو كلاما قد اطرد على الصواب وسلم من العيب اما يكون في كره الصواب فضيلة تقبل اما والصواب كما ترى فلا لا بأس في ذكر عموم اللسان والتحرز من الخطأ وربع الاعراب فمن عد مثل هذا الصواب واما نحن في امور ندرك بالفكر الدقيقة ودقائق توصل الرماتا فت الفهم وليس ندرك صوابا وركاكة فيما نحن فيه حتى نشرف موضعه ويصعب الوصول اليه وكذلك لا يكون ترك خطأ تركا حتى يحتاج في التحفظ منه الى لطف نظر وفضل روية وقوة ذهن وشدة يقظة وهذا باب ينبغي ان تراعيه وان تعنى به حتى اذا وازنت بين كلام وكلام ورتبت كيف تضع فصممت الى كل شكله وقابلته بما هو نظير له ومزيوت ما الصنعة منه في لفظه مما هي منه في نظمه واعلم ان هذا اعني الفرق بين ان يكون المزية في اللفظ وبين ان يكون في النظم بما سكنت اليه النفس ولا تزال ترى مستحسنا قد احتطا بالاستحسان موضعه فجعل اللفظ ما ليس له ولا تزال ترى الشبهة قد دخلت عليك في الكلام قد حسن من نظمه ولفظه فظننت ان حسنه ذلك كله للفظ منه دون النظم سأدلك على ما قال في قول ابن المعتز

واني على استعفاء صبري من العدى ... لغير سبيل ظفر لم اطرق

وترى ان هذه الطلاوة وهذا الطرف انما هو لان جعل النظر نحو وليس هو لذلك بل لان قال في اول البيت واني حتى ادخل اللام في قوله ليصح ثم لقوله سبيل سهل لان قال نظرت ولم يقل النظر وقال لم اطرق في قوله لم اطرق والطبيعة اخرى تعرف هذه اللطائف وهي اعراضه بين اسم ان وخبرها بقوله على استعفاء صبري من العدا واذا اردت العجب من ذلك فيما ذكرت لك فانظر الى قوله وقد قدم اسناده قبل لم

سألت عليه شعرا لحي حين دعا انصاره بوجوه كالدنانير

وانك ترى هذه الاستعارة على لطفها وعن ابيها انما تم لها الحسن وانها الى حيث انها ما توخي في وضع الكلام من التقديم والتاخير وجدها قد ملحت ولطفت بمعاونته ذلك وموازرته لها وان شككت فاعمد الى البيت والفرد فازله كلاسما عن مكانه الذي وضعه الشاعر فيه فقل سألت شعارا لحي بوجوه كالدنانير عليه حين دعا انصاره ثم انظر كيف يكون الحال وكيف

يذهب الحسن والحلاوة وكيف تعدم ان تحسك التي كانت وكيف يذهب النشوة التي كنت تجدها وجملة الامر ان ههنا كلاما حسنه للفظ لا للنظم واخر حسنه للنظم دون اللفظ وثالثا ذا لا. الحسن من الجهتين وجهة المزية بكل الامرين والاشكال في هذا الثالث وهو الذي لا تزال ترى الغلط قد عارضك فيه وتزال قد خدعت فيه عن النظم وتركته وعلقت بصرك الى اللفظ وقدرت في حسن كان به وبالفظ انه للفظ خاصة وهذا هو الذي اردت حين قلت لك ان في الاستعارة ما لا يمكن بيانه الا بعد العلم بالنظم والوقوف على حقيقته ومن دقيق ذلك وخفيه انك ترى انا اذا ذكرنا قوله تعالى واشتعل الراس شيبا لم نرد وانه على ذكرنا الاستعارة ولم يسبق الا اليها ولم نروا المزية موجبا سواها هكذا ترى الامر ظاهرا كلامهم وليس الامر على ذلك ولا هذا الشرف العظيم وهذه المزية الجليلة وهذه الروعة التي تدخل على النفوس عند هذا الكلام لمجرد الاستعارة ولكن لان سلك بالكلام طريق ما يسند الفعل فيه الى الذي وهو لما هو من سببه فرفع به ما يسند اليه وبرئ بالذي الفعل له في المعنى منصوبا بعده مبينا ان ذلك الاسناد وذلك النسبة الى ذلك الاول انما كان من اجل هذا الثاني ولما بينه وبينه من الاتصال والملابسة كقولهم طاب زيد نفسا وقر عمرو عينا وتصبب عرقا وكرم اصلا وحسن وجها واشباه ذلك مما تجد الفعل فيه منقولا عن الذي الى ما ذكر الذي من سببه وذلك انا نعلم ان اشتعل للشيب في المعنى وان كان هو للراس في اللفظ كان طاب للنفس وقر للعين وتصبب للعرق وان اسند الى ما اسند اليه بيّن ان الشرف كان لان سلك فيه هذا المسلك ويوحي به هذا المذهب ان يدع هذا الطريق فيه ويأخذ اللفظ فيسنده الى السبب صريحا فتقول اشتعل شيب الراس او الشيب في الراس ثم انظر هل تجد ذلك الحسن وتلك الفخامة وهل ترى الروعة التي كنت تراها فان قلت فما السبب في ان كان اشتعل اذا استعير للشيب على هذا الوجه كان له هذا الفضل وامر بان يا لمزية من الوجه الآخر هذا البيّن وهو ان السبب انه يفيد مع ذلك الشيب في الراس الذي هو اصل المعنى الشمول وانه قد شاع فيه وذعرة من تواليه وانه قد استغرقه وعم جملته حتى لم يبق من السواد الا ما بقي منه

الشاعر لا يعتمد به ، وهكذا ما لا يكون اذا قيل اشتعل شيب الراس او الشيب في الراس بل لا يوجب اللفظ حسبما ذكرنا اكثر من طهور فيه على الجملة ، ووزان هذا انك تقول اشتعل البيت فيكون المعنى ان النار قد وقعت فيه وقوع الظهور وانها قد استولت عليه واخذت في طرفيه ووسطه وتقول اشتعل النار في البيت فلا تفيد ذلك بل لا يقتضي اكثر من وقوعها فيه واصابتها جانبا جانبه فانها تعمل وان يكون قد استولت على البيت وابن زيدون لا يعدل عن اللفظ البسيط ونظير ذلك في التنزيل قوله عز وجل وفجرنا الارض عيونا التفجير للعيون في المعنى واوقع على الارض في اللفظ كما اسند هناك الاشتعال في الراس وقد حصل بذلك من معنى العموم ها هنا مثل الذي حصل هناك وذلك انه قد افاد ان الارض فجرت عيونا كلها وان الماء كان يغور من كل بكار منها ولو اجرى اللفظ على ظاهره فقيل وفجرنا عيون الارض او العيون في الارض بعد ذلك ولم يدل عليه ولكان المفهوم منه ان الماء كان فارا من عيون متفرقة في الارض وتحصل منها واعلم ان في الآية الاولى شيئا اخر من جنس النظم وهو ترتيب الراس بالالف واللام والاضافة ومعنى الاضافة من اهل ساءة وهو وهو احد ما اوجب المزية ولو قيل واشتعل راسي مشرح بالاضافة لذهب عنه الحسن فاعرفه وانا اكتب لك اشياء مما سهل الاستعارة فيه هذا السهل ليستحكم هذا الباب في نفسك ولتأنس به فمن عجيب ذلك قول بعض الاعراب

« الليل داج كنفاه جلبابه ، والدين محمول على عراباه »

ليس كل ما يرى من الملاحة لان جعل الليل جلبابا وتحمل على الغراب ولكن في ان وضع الكلام الوضع الذي ترى فجعل الليل مبتدا وجعل داج خبره وفعلا لما بعده وهو الكنفان واضاف الجلباب الى ضمير الليل ولان جعل كذلك الدين مبتدا واجرى مجرور اخر عليه وان اخرج اللفظ على مفعول بين ذلك لك لو قلت وعراب الدين محمول عليه او قدمت عراب الدين لم تجد له هذه الملاحة وكذلك لو قلت قد دجا كنفا جلباب الليل لم يكن شيئا ومن النادر فيه قول المتنبي ع

« غضب الدهر والملوك عليها ، فبناها في وجنة الدهر خالا »

قد ذكر في اول الاعراب حسنه اجمع في ان جعل للدهر وجنة وجعل البثية

حالا في الوجنة وليس الامر كذلك فان موضع الاعجوبة في ان اخرج الكلام مخرجه الذي تراه وان ابى بالحال منصوبا على الحال من قوله فبناها الا ترى انك لو قلت وهي حال في وجنة الدهر لوجدت الصورة غير ما ترى وشبيه بذلك ان ابا العتاهية

« يا مسكة العطار ، وخال وجه النهار »

فكانت الملاحة في الاضافة لا في استعارة لفظة الخال اذ معلوم انه لو قال يا خالا في وجه النهار او يا من هو خال في وجه النهار لم يكن شيئا ومن شان هذا الضرب ان يدخله الاستكراه قال صاحب الكتاب والاضافات الداخلة فان ذلك لا يحسن ذكره انه يستعمل في المحاكمة كقولك للعامل ع

« يا عمل من حمزة من عماره ، انت واسه لحمة في خياره »

ولا شبهة في فضل هذا في الاكثر ولكنه اذا سلم من الاستكراه ملح ولطف ومما حسن فيه قوله ان المعتز ايضا ع

« وظلت تدعو الراح لدي جآذن ، عتاق وناثر الوجوه ملاح »

ومما جاء فيه جميلا قول الخالدي في صفة عبد له ع

« ويعرف الشعر مثل معرفتي ، وهو على ان يزيد مجتهد »

وصير في الفريض ورزان دينار المعاني الدقاق مستعد ومنه قوله ايضا ع

« خذها ابنة الفكر المهذب في الدجاء والليل اسود رأسه الجلباب »

ومما كثر الحسن فيه بسبب النظم قوله المتنبي ع

« وفيت بنو في ذراك صبيه ، ومن وجد الاحسان فيك اعتقدا »

الاستعارة في اصلها مبتذلة معروفة فانك ترى العامي يقول للرجل كثر احسانه الي وزرع له حتى بالغه ويختار الطعام عنده قد مدين بكثير احسانه الي وجعل وعلى حتى صارت نعمتي لا نطاوعني على الخروج عنده واما كان ما ترى من الحسن بالمسلك الذي سلك في النظم والتاليف ع

هو باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية لا تزال ترى فيه ما يدق لطفه ويغمض مسلكه ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه ثم تسطر تجد سبب ان رائقك ولطف عندك ان قدم فيه شيء على شيء وحول اللفظ عن حكم قد كان عليه بحالة الى حالة اخرى وذلك في كلام تكرر مع التقديم على حكمه الذي كان عليه وفي جنسه الذي كان فيه كخبر المبتدا اذا وقع منه على المبتدا او المفعول اذا وقع منه على

على الفاعل كقولك منطلق زيد وضرب عمرا زيد بعلوم ان منطلق وعمرا خبر حبا
بالتقدم عما كانا عليه من كون هذا خبر مبتدا ومرفوعا بذلك وكون ذلك مفعولا
ومنصوبا من اجله كما يكون اذا الحوت وتقديم لا يجاب انه الخبر ولكن يجعل ان يجعل
الذي عن حكم ان يحكم ويجعل له بابا غير بابه واعرابا غير اعرابه وذلك ادعى الى
ان يجتمل كل واحد منهما ان يكون مبتدا ويكون الآخر خبرا له فيقدم بان هذا
يجلو ذاك واخري ذاك على هذا ومثال ما يستعمله زيد في المنطلق حيث يقول
مرغ زيد المنطلق واخري المنطلق زيد فانك في هذا لم تقدم المنطلق الا ان يكون ذلك
على حكمه الذي كان عليه مع التاخير فيكون خبر مبتدا كما كان بل الا ان يتعلق من
كونه خبرا الى كونه مبتدا وكذلك لم توخر زيدا الا ان يكون مبتدا كما كان بل الا
ان يخرجه من كونه مبتدا الى كونه خبرا واظهر من هذا قولنا ضرب زيدا وزيد
ضربته فلم تقدم زيدا الا ان يكون مفعولا منصوبا بالفعل كما كان ولكن الا ان ترفعه
بالابتداء وتشغل الفعل بضمير وتجعله في موضع الخبر له واذ قد عرفت هذا الاصل
فاني اتبعه جملة من الشرح اعلم ان العلم قد عمد واليه سبيل يجري مجري الاكل
عند العامة والاهتمام قال صاحب الكتاب وهو يذكر الفاعل والمفعول كانهم يقدمون
الذي بيانه اهم وهم ببيانه اعنى وان كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم ولم يذكر ذلك
مثالا وقال النحويون ان معنى ذلك انه قد يكون اعرف من الناس في فعل يقال
وقع بانسان بعينه ولا يبالون من اوقعه كما يعلم من حالهم في الخارجي يخرج فيحبث
ويفيد ويكثر به الاذى انهم يريدون قتله ولا يبالون من كان القتل منه ولا يهتمون
منه حتى فاقتل وارادوا مريد الاخبار بذلك فانه يقدم ذكر الخارجي فيقول
قتل الخارجي زيدا ولا يقول قتل زيدا الخارجي لانه يعلم ان ليس الناس في ان يجعلوا
ان القاتل له زيدا جد وفي وفاد بعضهم ذكره وهمهم ويتصل بسرهم ويعلم من حالهم
ان الذي هم متوقعون له ومتطلعون اليه متى يكون وقوع القتل بالخارجي للفساد
وانهم قد كفوا شره وتخلصوا منه ثم قالوا فان كان رجل ليس به باس ولا يعتد به
انه يقتل فقيل رجلا واراد المخبر ان يخبر بذلك فانه يقدم ذكر القاتل فيقول قتل
زيدا رجلا ذاك لان الذي يعنيه ويعني الناس من شان هذا الفعل طرفاه وقوع
الفعل به وبعده كان من الكان ومعلوم انه لم يكن ما زال بعينا من حيث كان واقعا
بالذي وقع به ولكن من حيث كان واقعا من الفاعل وقع منه فهما عنده بالغ الاثر

لسان في انه ينبغي ان يعرف في كل شئ قدم في موضع من الكلام سبل هذا المعنى ويبصر
وجه العناية فيه هذا النصر وقد وقع في ظنون الناس انه يكفي ان يعلم انه قد ذكر
للعناية ولا ندري ذكره ايهم من اين يذكر من ان كانت ذلك العناية وهم كان ايهم ويحتاج
ذلك وان صغر امر التقديم والتاخير في معوسهم وهو يوجب الخطب فيه حتى انك لترى
اكثرهم يرى خبعه وانظر فيه ضربا من التكلف ولم يوطنوا انفسهم على ما ذكرته من هذا
وتدبره وكان ذلك سمعوا في سائر الابواب فجعلوا لا ينظرون في الحذف والذكر والا
والاضمار والفصل والوصل وفي نوع من انواع الصرف والوجوه الا تنظر فيما عرض
لهم ذلك بل ربما ان لم تعلمه لم يعرفك لاجرم ان ذاك قد ذهب بهم عن معرفة ابلاغه
وحرمهم ان يعرفوا مكانه من البلاغة وسدنا وحجرهم عن الجزء الذي هي فيها واستن الحذف
بحوزها وقد دخل الذي ذكرته في جملة الاداة على العناية بشان العلم ورفع الشبهات مراده
مهم في السد عن طلبه واحراز فضيلته كثير وهذا من احجبها ان وجدت سبيلا
وليت شعري ان كانت هذه امور واضحة وكان المدى بها قريبا والحدي بسبل من
ان كان نظر اشرف من نظر وهم عظم المقادير واستدر الناس وترفي الامراف
الاحجار وان ان يعرفها انسان الخبرة او هيبا امور اخر يحتاج الزيه عليها ويحمل
له محجار كان ربما يكون ذلك الحواله لما عندنا في ترك النظرة هذه التي بعنيا والاعراض
عنها وقلة المبالاة بها او ليس هذا الهوان ان نظر العاقل بشانه منه بعقله ودينه
وحوله اما جدير بذلك الخطر وبعض من قد رقي الى قدر وهل يكون اضعف
رايا واقعد من حسن التدبير منك اذا احكمك ان تعرف الوجوه في ايهم وافعالهم
التي راي العين وتعرف الشرائط والقرائن واشباهه ذلك مما لا بعد والحك ذلك فيه الحفظ
وحرس الصوت ولا يمنعك ان لم تعلمه بلاغة ولا يدعك عن بيان ولا يحسل
عليك شكا ولا يعلق دونك بابا يحوزه ولا يفضي بك الى تحريف وتبديل وابي
الخطا في اول وابي ما يعظم فيه الغلب عليك ويطيل لسان الواحد منك ولا يمنعك
ولا يعرك ان تعرف ما اذا اجملته عرضت نفسك لذلك وحصلت فيما انك
وكان الخبر بلاسك في التفسير وحيث تخوطني في التاويل فلم من لا بدي التي بها اسبله
ولا بد احذر من ما شذه ومن ربما وقع في العاصي من الخطا الذي سبقي عاره وتسمع
اثاره وتسال اسامعه والنوسويا ما اقرب الى ريشاه من العود واجمل واعلم
ان من الخطا ان تقسم الاهمية تقديم التي وتاخير ما من فصل معتد الى بعض

على الفاعل كقولك منطلق زيد وضرب عمرا زيد معلوم ان منطلق وعمرا لم يخرجا بالتقدم عما كانا عليه من كون هذا خبرا مسندا او مرفوعا بذلك وكون ذلك مفعولا ومنصوبا من اجله كما يكون اذا اخرت وتقدم لاجل ذلك التاخير ولكن على ان ينقل الذي عن حكم الى حكم ويجعل له بابا غير بابه واعرابا غير اعرابه وذلك ان يجيء الى اسمين يجعل كل واحد منهما ان يكون مسندا ويكون الآخر خبرا له فيقدم ثان هذا على اول ذاك والخبر ذاك على هذا ومثاله ما يصنعه بزيد والمنطلق حيث يقول مرة زيد المنطلق واخرى المنطلق زيد فانت في هذا لم تقدم المنطلق على ان يكون زيد على حكمه الذي كان عليه مع التاخير بكون خبرا مسندا اكما كان بل على ان تنقله عن كونه خبرا الى كونه مسندا وكذلك لم توخر زيدا على ان يكون مسندا اكما كان بل على ان تخرجه عن كونه مسندا الى كونه خبرا واظهر من هذا قولنا ضربت زيدا وزيد مضروب فقدم زيدا على ان يكون مفعولا منصوبا بالفعل اكما كان ولكن على ان ترفعه بالابتداء وتجعل الفعل يضمر وتجعله في موضع الخبر له واذا قد عرفت هذا التنبيه فاني اتبعه جملة من الشرح اعلم انا لم نجد شيئا نعتمد به وناتيه شيئا يجري مجرى الاصل غير العناية والاهتمام فالذي صاحب الكتاب وهو يذكر الفاعل والمفعول كانهم يقولون الذي بيانه اهم لهم وهم ببيانه اعنى وان كانا جميعا بيانهم وبيانهم ولم يذكر في شيئا الا وهو يقول ان المعنيين ان معنى ذلك انه قد يكون اهم الناس في فعل بان يقع بانسان بعينه ولا يبالون من اوقعه كما يعلم من حالهم في الخارجي حين قتل فيعمدون بقتله ويكثرون به الاعلى انهم يريدون قتله ولا يبالون من كان القتل منه ولا يحتشمون منه شيئا فاما قتل واراد مريد الاخبار بذلك فانه يقدم ذكر الخارجي فيقول قتل الخارجي زيدا ولا يقول قتل زيدا الخارجي لانه يعلم ان ليس الناس في ان يجعلوا ان الفاعل له زيدا جد وكد وفاتر عنهم ذكرهم وبهم ويتصل بسببهم ويعلم من حالهم ان الذي هم متوقعون له ومتطلعون اليه متى يكون وقوع القتل بالخارجي القصد وانهم قد كفوا شره وتخلصوا منه ثم قالوا فان كان رجل ليس به بأس وقد تعمد قتله انه يقتل قتيلا وجلادا واراد المخبر ان يخبر بذلك فانه يقدم ذكر الفاعل فيقول قتل زيد رجلا ذاك لان الذي يعنيه ويعني الناس من شان هذا القتل طرفاه وقوع القتل فيه ويعنيه كان من الظن ومعلوم انه لم يكن نادرا وبعيدا من حيث كان واقعا بالفعل وقع به ولكن من حيث كان واقعا من الذي وقع منه فهذا حد بالغ الا ان

الشان في انه ينبغي ان يعرف في كل شيء قدم في موضع من الكلام مثل هذا المعنى ويفتش وجه العناية فيه هذا التفسير وقد وقع في ظنون الناس انه كفى ان يقال انه قدم للعناية ولان ذكره اهم من حيث ان بذكر من ان كانت تلك العناية وهم كان اهم بالحكم ذلك وقد سبق امر التقديم والتاخير في موضوعهم وهو يوشك الخطب فيه حتى انك ان ترك اكثر هم ترك بديعة والنظر فيه ضربا من التكلف ولم نوطنا ازوي على ساحته سربنا وشربه وكن ذلك سمعوا في سائر الابواب فجعلوا لا ينظرون في احد قد والنكرة الا والاضمار والفصل والوصل ولا في نوع من انواع الفروق والوجوه الا نظروا فيما عرض لهم بذلك بل ربما ان لم نجعله لم يضرك لاجرم ان ذا قد ذهب ذهابا بهم عن معرفة البلاغة ومنعهم ان يعرفوا معانيها ومسدا بها وحجبهم عن الخبرة التي تبتغى بالبحث الذي يجوز ان قد اغفل الذي يدخل فيها الامة على التاويلة شان العلم وجلع الشيطان مراده منهم في الصد عن طلبه والحراز فضيلته كثير وهذه من اجلها ان وجدت سبيلا وليست سبيلك ان كانت هذه امورا هينة وكان الذي دربا مرتاضا والخوض بسبل من ان كان نظمه اشرف من نظم دم عظم النقاوت واسند الشان و ترقى الامر الى المجاز والى ان تفهم اعمالا لجبابرة او هيبا امورا خبر جبريل ان يربه عليها ويحمل المجاز كان ربا فيكون ذلك الحواله لنا عذرا في ترك النظر في هذه التي معمارا لامور عنها وقلة المبالاة بها اوليس هذا الهوان ان نظر العاقل بشيء سبيله نعلمه وذلك مجهولا فيما نرى بدل المجهل وبعض من قد رضي لنفسه رضي العلم يكون السعيد رابا واحد من حسن التدبير بذلك اذا احكمه ان يعرف الوجوه في انفسها والاشكال في راي العين وتعرف الشرائط والشروط واشباه ذلك مما لا يعد ولا يحاط به ذلك فيه الفطنة وحدس الصورة ولا يمنعك ان لم تعلمه بالاحة ولا يعد تعلمه عن سوان ولا يجد حيلة عليك شكا ولا تعلق دونك باب تعرفه ولا يعتني بك الى خير ونبيل وابق الخطا في اول والى ما يعظم فيه الغلب عليك ويقبل لسان الفاوح ذلك كما يمكنك ولا يعجزك ان تعرف ما اذا اجتلته عرضت نفسك لكل ذلك وحصلت فيما هنالك وكان اكثر ظنك في التفسير وحسب تخوضي في التاويل كلام من لا يعبى الى علم اصلا ولا باخذ من ماخذه وسن رمحا وقع في العاشق من الخطا الذي يعني عاره ويشيع اثاره ونسال الله العصمة والتوفيق لما هو اقرب الى رضاه من القول والعمل والعلم ان من الخطا ان تقسم الامرة تقدم الشيء وتاخيره فمن فصل يعتد الى بعض

الكلام وغرضه فيه وان تحلل تارة بالعنايه واخرى بانه توسعة على السامع
والكاتب حتى علم هذا فوائده ولذلك تجده ذاك لان من البعيد ان يكون في جمله
الكلام ما يحتاج الى ان ولا يدل لغرض فيثبت في تقديم المفعول مثلا على الفعل في كثير
من الكلام انه قد اختص بفائدة لا يكون تلك الفائدة مع التاخير فعند وجب ان يكون
تلك قضيته في كل حال ومن سئل عن مجمل التقديم وتركه التقديم سوى ان
يدعي انه كذلك في عموم الاحوال فاما ان يجعله مرتجلا من غير ان يعرف انه الفائدة في نفسها
وللتصنع في اللفظ من غير معنى له نفس فما ينبغي ان يرغب عن القول به ثم
وهذه مسائل لا يستطيع احد ان يمتنع من الشروع في تعلم ما تقدم قبلها
وترك تعلمه ومن اجل ذلك في ذلك الاستفهام بالهمزة فان موضوع الكلام على انك
اذا قلت افعلت فبدأت بالفعل كان الشك في الفعل نفسه وكان غرضك من السؤال بك
ان تعلم وجوده واذا قلت انت فعلت فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل من هو
وكان الرد فيه وسؤالك ذلك انك تقول انبنيت الدار التي كنت على الرسم
اعلت الشعر الذي كان في نفسك ان تقوله اقرعت من الكتاب الذي كنت
تكتبه فبدأت في هذا ونحوه بالفعل لان السؤال عن الفعل نفسه والشك فيه
لانك في جميع ذلك مترددة في وجود الفعل واستفهامك محتمل ان يكون قد كان
وان يكون لم يكن فتقول انت بنيت هذه الدار انت قلت هذا الشعر انت كتبت
هذا الكتاب فتبدأ في ذلك كله بالاسم ذاك لانك لم تشك في الفعل انه كان كيف وقد
اشرت الى الدار بعينيه والشعر مقولا والكتاب مكتوبا وانما شككت في الفاعل من
هو فهذا من الفرق لا يدفعه دافع ولا يشك فيه شاك ولم يحصى مساند احدهما
في موضع الاخر فلو قلت انت بنيت الدار التي كنت على ان عنيها انت قلت
الشعر الذي كان في نفسك ان تقوله انت قرعت من الكتاب الذي كنت تكتبه
خرجت من كلام الناس وكذلك لو قلت لبنيت هذه الدار اعلت هذا الشعر اكتبت
هذا الكتاب قلت ما ليس بقولهم ذاك لفسادك ان تقول في التي تشاهد ذلك
هو بعينك هيئتك اموجود ام لا وما يعلم به ضرورة انه لا يكون البداءة بالفعل
كالبداءة بالاسم انك تقول اعلت شعرا لقط انت رأيت اسانا قط اعلمت وذلك
انهم لا يعنون السؤال عن الفاعل من هو في مثل هذا الا ان ذلك انما يصور واما كما
الاتاح الى فعل مخصوص كقولك ان تقول من قال هذا الشعر ومن بنا هذه الدار

ومن اتاك اليوم ومن اذن لك في هذا الذي فعلت وما اشبه ذلك مما يمكن ان
يعنى فيه على معنى فاما فعل شعرا على الجملة ورويته انسان على الاطلاق فمحال
ذلك فيه لانه ليس مما يختص بعض ذا دون ذاك حتى يسأل عن عين فاعله ولو
كان لعدم الاسم لاوجب ما ذكرنا من ان يكون السؤال على الفاعل من هو وكان
صحيحا ان يكون سؤالا عن الفعل اكان ام لم يكن لكان ينبغي ان تستقيم واعلم ان هذا
الذي ذكرت لك في الهمزة وهي الاستفهام قائم فيها اذا كانت هي الاستفهام فاما اذا كانت
بمعنى ذاك فان عرضك ان تقرر بانه الفاعل بعينه ذلك قوله تعالى حكاية عن قوم
نمرود انت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم لانهم لم يعلموا ذلك انه عليه السلام
وهم يريدون ان يقرهم بان كسر الاصنام قد كان ولكن ان يقر بانه منه كان كيف
وهذا اشاروا به الى الفعل في قولهم انت فعلت هذا وقال هو عليه السلام في الجواب
بل فعله كبيرهم هذا ولو كان بالفعل لكان الجواب بل فعلته او لم افعل فان قلت اولست
اذا طلب افعلت فهو يريد ايضا ان يقرر بان الفعل كان منه لانه كان على الجملة
فأي فرق بين الحالين فانه اذا قال افعلت فهو تقرير بالفعل من غير ان يرد ذلك بينه
وبين غيره وكان كلامه كلام من يوهم انه لا يدري ان ذلك الفعل ام لم يكن بخلاف انك
تقول ذلك والفعل ظاهر موجود مشار اليه كما رابت في الامثلة واعلم ان الهمزة
صارت تقرير بفعل قد كان وانكارك لم كان وتوبيخ لمن عمله عليه وطلبه منه غير
وهو ان يكون لا كان ان يكون الفعل قد كان من اصله ومسألته قوله تعالى اياكم
ركم بالبينات واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما وقوله عز وجل استفتهم
البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون افلا تذكرون ام لكم سلطان مبين فانكر ان يكون
ما يودي الى هذا الجهل العظيم واذا عدم الاسم في هذا جاز الانكار في الفاعل مع
وسألته فقولك للرجل قد فعل شعرا انت قلت هذا الشعر كذبت لست بمحسن
حسن مثله انكرت ان يكون الفاعل ولم تنكر الشعر وقد يكون ان يراد انكار الفعل
من اصله ثم يخرج اللفظ مخرجه اذا كان الانكار في الفاعل مسألته ذلك قوله تعالى آلله
اذن لكم ام على الله تفترون الاذن راجع الى قوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق
فجعلتم منه حراما وحلالا والمعلوم ان المعنى على انكار ان يكون ذلك من الله تعالى
اذن وبما قالوه من غير ان يكون هناك اذن ذلك لان عليه فاسألوه الى اسألكم
ان اللفظ اخرج مخرجه اذا كان الامر كذلك لان عملوا في صورة من عمله انما

لى الله تعالى اذ باكان من عز الله فاذ اخفق عليه ارتفاع ومسالة ذلك قوله
الرجل يدعى ان قوله كان من يعلم انه لا يقوله اهو قال ذاك بالحقيقة ام انت غالط
تضع الكلام وسمعه اذ كنت علمت ان ذلك القول قد كان من قابل تصرف الانكار
الى الفاعل فيكون اسناد نفي ذلك وابطاله ونظير هذا قوله تعالى قل الذكرين حرم
ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين اخرج اللفظ مخرجه اذ كان قد ثبت
تحريم في احد الصنفين اريد سحرته عن المحرم مع ان المراد انكار التحريم من اصله ونفي
ان يكون قد حرم على ما ذكروا انه محرم وذلك لان الكلام وضع على حصل التحريم كما
قد كان ثم قال لهم اخبرونا عن هذا التحريم الذي زعتم فيم هو اوفى هذا ام ذاك
ام في الثالث لتبين بطلان قولهم وتظهر مكان الغريبة منهم على الله ومثل هذا
قولك للرجل قد عدى امرا واست سكرج متى كان هذا قولك للرجل يدعي امرا في اصل ارضاء
بصنع الكلام وضع من سلم ان ذلك قد كان ثم يطالبه ببيان وقته لكي يتبين كذبه اذا
لم يقدر ان يذكر له وقتا ويتضح ومثله قولك من امرك بهذا اساءا بيا اذن لك فيه
واشبه لا يعني ان امرا قد كان بذلك من واحد منكم الا انك تصنع الكلام هذا الوضع لكي
تصدق عليه وتظهر كذبه حين لا يستطيع ان يقول فلان وان حصل على واحد والد فقد
بينا الفرق بين تقديم الفعل وتقديم الاسم والفعل ما من ينبغي ان ينظر فيه والفعل
بصنايع والقول في ذلك انك اذا قلت افعل وانت تفعل لم تحتمل من ان يريد الحال
او الاستقبال فان اردت الحال كان المعنى شبيها بما معنى والماضي فاذا قلت افعلا
المعنى على انك اردت ان تقترع بفعل هو بفعله ولكن يوهم انه لا يعلم بالحقيقة
ان الفعل كان واذا قلت انت تفعل كان المعنى انك تريد ان تقترع بانه الفاعل كان
امر الفعل في وجوده ظاهر وحيث لا يحتاج الى الامر بانه كائن وان اردت بفعل
المستقبل كان المعنى اذا بدات بالفعل على انك تعهد بالانكار الى الفعل فقد علمت انه
لا يكون لوانه لا ينبغي ان يكون فسالت الاول قوله امركي القيس ع يا
انتقلي والمنزلي بصاحبي ٠ ومسئولة تدري كاشياب اعوالك
تعهد انكر بت منه لانسان عهده بالفعل وانكار ان يقدر على ذلك ويستطيعه
ومسالته ان يطيع طامع في امرا بكون مثله فتجعله في طمعه ويقول امرني صنك فلان
كانت متعلم على ما يكره احد عنده ما تحب وقد فعلت وصنعت وعلى ذلك قوله
تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ومسالة الناني قولك للرجل تركب المطر اخر

في هذا الوقت ايذهب في غير الطريق انعذر بصنعك وقولك للرجل يسمع الحق
انسي قدم احسان فالان اتترك حسبته وتغضي عن حاجتك معه لان تغير الزمان كما
قال ٠ اتترك ان قلت دوارهم خالد ٠ وزيارته اني اذا لئيم
وجملة الامر انك تجوا بالانكار نحو الفعل فان بدات بالاسم فقلت انت تفعل اذ
قلت انه يفعل كنت وجهت الانكار الى نفس المذكور وابيت ان يكون موضع
ان يجي منه الفعل ومن يجي منه واذ يكون بتلك المثابة تفسير ذلك انك اذا قلت
انت تمدني انت تاخذ على يدي صرت كانك قلت ان هرك الذي يستطيع مني
والاخذ على يدي ولست بذاك واذا قلت وضعت نفسك في غير موضعك هذا اذا
جعلته لا يكون منه الفعل البتة واما ليس في وسعه وقد يكون ان يجعله لا
منه لانه لا يختاره ولا يرتضيه وان نفسه تنفس بالي مثله وتكرهه ومثاله ان يقول
انه يسالك فلانا هو ارفع همة من ذاك انه ممن يمنع الناس ما عندهم هو اكرم من ذاك
وقد يكون ان يجعله لا يفعله ليسمو قدره وتصر جمته وان نفسه تنفس لا سمو ذلك
قولك انه هو صبح ممثل هذا انه هو يرتاح للجميل هو انصر همة من ذاك واقل رغبة في
الخير مما تظن وجملة الامر ان تقديم الاسم يقتضي انك بدات بالانكار اي وارد من
قبل انه يفعل او قال هو اني افعل واردت ما تريده اذا قلت انس هو الذي يفعل
وليس مثله يفعل ولا يكون هذا المعنى اذا بدات بالفعل فقلت انفعل الا ترى
ان من المحال ان تزعم ان المعنى في قول الرجل لصاحبه انخرج في هذا الوقت ليس
المعنى في غير الطريق انه انكر ان يكون ممن يفعل ذلك وموضع من يجي منه ذلك
ذاك لان العلم محيط ان الناس لا يريدونه وانه لا يليق بالحالة التي تستعمل فيها هذا
الكلام وكذلك محال ان يكون المعنى في قوله تعالى لمزيكم هذا وانتم اطاكا وهو ان انا
لسنا ممثابة من يجي منه هذا الاثام وان غيرنا من معشره حل الله وتعالى وحده
يوهم المتوهم في الشيء مرة ذلك انه يحتمل فاذا نظرت احتمل فمن ذلك قوله انطلق
والمنزلي مصاحبي قد يظن الظان انه يجوز ان يكون في معنى انه ليس الذي
يجي منه ان يقتل نفسي ويتعلق بانه قال قبل بعط بعط عطيط الكسد حنيانه فعلق
والمرء ليس يقتال ولكنه اذا نظر على انه لا يجوز وذاك لانه قال والمنزلي مصاحبي
فذكر ما يكون منعا من الفعل ومحال ان يقول هو ممن لا يجي منه الفعل ومع
من يصح منه محال ومن هو في نفسه عاجز فاعرفه واعلم انا وان كنا نفسر

نصر الاسعد تام في مثل هذا بالانكار بان الذي هو حجر المعنى انه لشبهه السامع
حتى يرجع الى نفسه فيحمل ويعمل بالجواب اما لانه قد ادعى القدرة على فعل لا تقدر
عليه فاثبت على ادعاه فقيل له افعل فعجزه ذلك واما لانه هم بان يفعل مثلا
فنصب فعله فاذا رجع فيه تنبه وعرف الخطأ واما لانه جوز وجود امر
لا توجد مثله فاذا ثبت على تجويزه فتح على نفسه وقيل له قارنه في موضع وفي حال
واتم شاهدا على انه كان في وقت ولو كان يكون للانكار وكان المعنى فيه من بد والا
لكان ينبغي ان لا يجيء فيما لا يقول عاقل انه يكون حتى ينكر عليه كقولهم ابصعد الى
السما فستطيع ان تفعل الجمال الى رد ما مضى سبيل ع واذ قد عرفت ذلك
فانه لا يقول ذا المحال ومما لا يقول احد انه يكون الا على سبيل التمثيل وعلى ان
يقال انك في دعواك ما ادعيت بمنزلة من يدعي هذا المحال وانك في علمك الذي
علمت به بمنزلة من يطمع في المستنع واذ قد عرفت هذا فاما هو من هذا الضرب
قوله تعالى افانت تسمع الصم او تهدي العمي اي اسماع الصم مما يعاند عليه احد
فيكون ذلك للانكار وانما المعنى فيه التمثيل والتشبيه وان بترك الذي يظن بهم
انهم سمعوا ان انه يستطيع اسماعهم منزلة من يرى انه سمع الصم وهدى العمي ثم
ثم المعنى في تقديم الاسم وان لم يقل اتسمع الصم هو ان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم
انك خصوصا مما اوتيت ان تسمع الصم وان تجعل في ظنه انه يستطيع اسماعهم مما
من يظن انه قد اوتي قدرة على اسماع الصم ومن لطيف ذلك قوله ان اوى حجته
« يدفع الوعيد فما وعيدك ضائري ، اطنين احجم ذا ذباب يعصر »
جعله كانه قد ظن ان طنين احمجه الذباب عساه ما ينصر حين ظن ان وعيده
ضر واعلم ان حال المفعول فيما ذكرنا كحال الفاعل اعني ان تقديم اسم المفعول
يقتضي ان يكون الانكار في طريق الاحالة والمنع من ان يكون عساه ان يوقع به مثل
ذلك الفعل فاذا قلت ازيدا تضرب فقد انكرت ان يكون زيد مما يه ان تضرب
وموضع ان تحسر اعليه وتستحي ذلك منه ومن ذلك قدم غيري في قوله تعالى
قل اغير الله اتخذ وليا وقوله عز وجل قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة
اغير الله تدعون وكان له من الحسن والمزية والفخامة ما لا يعلم انه لا يكون لو اخر
فعيل قل اتخذ غير الله وليا وتدعون غير الله وذاك لانه حينئذ تتناول الفعل
ان يكون وقع ولا تزال يجيء ذلك فاعرفه وكذلك في قوله تعالى ءالله اذن لكم ام على الله تفترون

تتبعه وذلك لانهم سواء كونهم على ان من كان مسلما منزلا لم يكن مما يه ان يتبع ويطاع
ويقتدى به فيما يامر وينهى ويصدق انه مبعوث من الله سبحانه وانهم ماسورون بطاعته
كما جاء في الآخرة ان امم الانبياء يسلمون يوم القيامة ان نصبوا ولا يكون عز وجل لهذا
الانبياء ذلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة فقد اهمل القول في الضرب
الاول وهو ان يكون بفعل بعد الغرض الفعل موجود فان تقديم الاسم يقتضي شيئا مما
اقتضاه في الماضي من الاخذ بان تقدره الفاعل او الانكار ان يكون الفاعل فمثال الاول
قولك للرجل ينبغي ويظلم الاستحق الى الضعيف يعضب مالك انت ترحم ان الاتركت
وكيت وعلى ذلك قوله تعالى افانت تذكر الناس حتى يكونوا مومنين ومثال الثاني
اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا واذ قد عرفت هذه المسايل فالاستقصاء
فيها ان تعلم ان في اذا قلت ما فعلت كيت تفيت عنك فعلا ثبت انه هو المفعول
واذا قلت ما انا فعلت كيت تفيت عنك فعلا ثبت انه مفعول تفسير ذلك انك اذا لم
تقل ما قلت كذا امكنك تفيت ان يكون قد قلت ذاك وكنت توطرت في نفي ثبت انه
مفعول واذا قلت ما انا قلت هذا امكنك تفيت ان يكون الفاعل له وكانت المناظرة في
نفي ثبت انه مفعول وكذلك اذا قلت ما ضربت زيدا امكنك تفيت عنك ضربه ولم يمتنع
ان يكون قد ضرب بل يجوز ان يكون قد ضربه غيرك وان لا تكون قد ضربت اصلا واذا
قلت ما انا ضربت زيدا لم تقتله الا ان زيدا مضروب وكان القصد ان ينفي ان يكون انت
الضارب ومن اجل ذلك صلح في الوجه الاول ان يكون المعنى عاما كقولك ما قلت شعرا
قط وما اكلت اليوم شيئا وما رايت احدا من الناس ولم يصلح في الوجه الثاني فكان لك
ان تقول ما انا قلت شعرا قط وما انا اكلت اليوم شيئا وما انا رايت احدا من الناس
وذلك لانه يقتضي المحال وهو ان يكون هو نفسه انسان قد قال كل شعر في الدنيا واكل
كل ما يوكل ورأى كل احد من الناس فعلمت ان يكونه وما هو سائل بين في ان تعدد
الاسم يقتضي وجود الفعل قوله

« وما انا الذي قلت بالشعر حبني به ولا انا اضمرت في القلب ما انا »

المعنى كالاخفى على ان الشعر ثابت موجود وليس القصد الى نفيه وانما القصد الى ان يكون
هو احد الناس له ويكون قد جره الى نفسه وسلك في الوضوح قوله

« وما انا وحدي قلت ذا الشعر كله الشعر معطوف على القطع

في وجوب هذا الفرق وبعد العلم به كالضرورة احد مما انه صح لك ان تقول ما قلت

هذا اولا ما قاله احد من الناس وما ضربت زيدا ولا ضربه احد سواي ولا يصح ذلك
في الوجه الاخر فلو قلت ما انا قلته هذا ولا قاله احد من الناس وما انا ضربته زيد اولا
ضربه احد سواي كان خلفا من القول وكان في النقض بمنزلة ان تقول لست انا ضربت
زيدا اسي سمعت انه قد ضربه ثم يقول من بعده وما ضربه احد من الناس فلو
قال له اكذبت انه قد قيل هم حتى يقول وما قاله احد من الناس والذي يمنع من الامر
انك تقول ما ضربت الا زيدا فتكون كلاما مستقيما ولو قلت ما انا ضربت الا زيدا
كان نقضا من القول وذلك لان بعض النفي لا يقتضي ان يكون ضربت زيدا ولذلك
مصرف والذي حرف النفي يقتضي في ان يكون ضربه فرعا بعد انعدام فاعرفه
وحتى لك هذا الفرق على وجهه في تقديم المفعول وتاخيره فاذا قلت ما ضربت زيدا
فقد مت الفعل كان المعنى انك قد نفيت ان يكون قد وقع ضرب منك على زيد ولم
تعرض في امر عمرو لنفي ولا اثبات وتركته سرحا يحتمل الاباحة فاذا قلت ما زيدا ضربت فقد
المفعول كان المعنى على ان ضربا وقع منك على انسان وظن ان ذلك الانسان زيد
فنفيت ان يكون اياه ذلك ان تقول في الوجه الاول ما ضربت زيدا ولا احدا من
الناس وليس لك ذلك في الوجه الثاني فلو قلت ما زيدا ضربت ولا احدا من الناس لك
كان فاسدا على ما مضى في الفاعل وما ينبغي ان تعلمه انه صحيح لك ان تقول ما ضربت
زيدا ولكن اكرمته فتعقب الفعل المنفي باثبات فعل هو ضده ولا تصح ان تقول ما ضربت
زيدا ولكن اكرمته وذلك انك لم تره ان تقول لم يكن الفعل هذا ولكن ذاك فالواجب
اذا ان تقول ما ضربت ولكن عمرا واحكم الخبر مع المخبر وفي جميع ما ذكرنا احكم
المحبوب فاذا قلت ما امرك هذا المعنى عليه ان يكون قد امره بذلك ولم يجب ان
يكون قد امره بشيء آخر واذا قلت ما هذا امرك كنت قد امرته بشيء ما

فصل واعلم ان هذا الذي بان لك في الاستقام والنفي من المعنى
في اسمه وانه مسلك في الخبر المثبت واذا عمدت الى الذي اردت ان تحدث عنه وفعل
تعمد من ذكره ثم بنيت الفعل عليه فقلت زيد قد فعل وانا فعلت انت فعلت ففي
ذلك ان يكون القصد الى الفاعل الا ان المعنى في هذا القصد يعلم فيما احدهما
حتى لا يشكل وهو ان يكون الفعل معلقا قد اردت ان تثبته على واحد فجعلته له
ورجعت به اليه دون واحد اخر دون كل احد ومثال ذلك ان تقول انا كنت
في علم ذلك وانا اشرت في بابه حتى ان تدعي الانفراد بذلك والاستبداد به

وتزيل الاشتباه فيه وتريد على من زعم ان ذلك كان من غيرك او ان غيرك قد كتب
فيه كما كتبت ومن الذين في ذلك قولهم في المثل المعلق بجنب اما مرسله والقسم
الثاني ان لا يكون القصد الى الفاعل على هذا المعنى ولكن على انك اردت ان تحقق
على السامع انه قد فعل ومنعه من الشك فاتت لذلك بعد ان ذكره وتوقعه اولا هم
ومن اجل ان بدا كر الفعل في نفسه لكي يباعده بذلك من الشبهة ومنعه من الالتباس
او من ان يظن بك الغلط او التزيد وسالته فوذلك هو نحو قولك للخريل وهو يحيث
الشاة لا تزيد ان ترعم انه ليس هو بها من يحيث الخريل ويحب الشاعر ولا ان تعرض
بالسان ويحمله عنه ويحمله لا يحيث كما يحيث ولا يرغب كما يرغب ولكنك تريد
ان تحقق على السامع ان اعطا الخريل وجب الشاة به وان يمكن ذلك في نفسه وما له
من الشعر هم يعرضون النفي كل طرح واجود سياق يرد المعاني

لم يرد ان يدعي لهم هذه الصفة دعوى من تفرد بها ويخص عليهم فيها بل كانه
يعرض بقوم آخرين فنفى ان يكونوا اصحاب هذا المحال واما اراد ان يصفهم بانهم
فرسان تمرين وذوو صبوات الخيل وانهم يقتعدون الجياد ضربا وان ذلك دابهم
من غير ان يعرض لنفيه عن غيرهم الا انه بدا له ذكرهم لسامع لهم ويعلم ندما
فسدة الذي عمافي نفسه من الصفة ليمنعه بذلك من الشك ومن توهم ان يكون
قد وصفهم بصفة ليست هي لهم وان يكون قد اراد غيرهم فغلط فيهم وعلى ذلك
قول الاخر هم يضربون الكبش يجدل بيضه على وجهه من الدماء سبائب
لم يرد ان يدعي لهم الانفراد ويجعل هذا الضرب لا يكون الا منهم ولكن اراد الذي
ذكرت من تنبيه السامع لقصدهم بالحديث من قبل ذكر الحديث لتحقق الامر
ويوكده ومن الذين فيه قوله وهو هو رزوج بن ادبه ع

سلمى ازمعت بينا ، فان لموطنا انسا

وذلك انه ظاهر معلوم لنا لم يرد ان يجعل هذا الازماع لها خاصة ويجعلها من
جماعة ثم يرفع الذين سواهم احيد سواها هذا محال ولكنه اراد ان يحقق الامر
ويوكده واوقع ذكرها في جميع الذي كان بعد او من اول الامر ثم قيل الحديث انه
اراد ها الحديث فيكون ذلك بعد له من الشك وسلمه في الوضوح قوله ع

حما انسان الحدا حسن لمسة ، تحمحان ما اسطاعا عليه كلاهما

لم يرد في انه لم يرد ان يقصر هذه الصفة عليهما وكان بينه انما فضل الحديث بينهما

وابن من الجميع قوله تعالى والذين اتخذوا من دونه الهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون وقوله عز وجل واذا لقوكم قالوا امنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به وهذا الذي ذكرت من ان تقديم ذكر المحدث عنه يفيد التنبيه له وقد ذكر صاحب الكتاب في المفعول اذا قدم فرغ بالابتداء او بما الفعل الناصب كان له عليه وعدد في الجميع فمثل به كقولنا في ضربت عبد الله عبد الله ضربته قال واما قولك عبد الله فبينته له ثم بنيت عليه الفعل فرفعته بالابتداء فان قلت فمن اين وجب ان يكون تقديم ذكر المحدث عنه بالفعل آكد لاثبات ذلك الفعل له وان يكون قوله مما بلسان المحدث الخ في جعلها بلسانه من ابن يتعلق بلسان المحدث فان ذلك بين لحصوله بالاسم معنوي من العوامل الاحداث قد نوى استناده اليه فاذا كان كذلك فاذا قلت عبد الله فقد اشعرت قلبه بانك قد اردت الحديث عنه فاذا جئت بالحديث فعلت سلاما تام اوقلت خرج او قلت قد علم حيث به وقد وطأت له وقد مت الاعلام له فدخل على القلب حول المانوس به وقبله القلب قبول المتهيئ له المعلن اليه وذلك لا محالة اشد كثيرا وانفى للشبهة واسنع للشك واد خل في التحقيق وجملة الامر انه ابين اعلامك التي هي مثل اعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة فيه لان ذلك يجري مجرى تكرير الاعلام في التاكيد والاحكام ومن هذا قالوا ان التي اذا اعلمتهم فسر كان ذلك اخبر له من ان يذكر من غير تقدمة اضمار وبدل على صحة ما قلناه انا نعلم ضرورة ان في قوله تعالى فانها لا تعمى الابصار فضائر في رؤوسها وشرفا لاحد منها بسائي قولنا فان الابصار لا تعمى وكذلك السبيل ابدا في كل كلام كان فيه تحير نحو قوله تعالى انه لا يفلح الكافرون ويفيد من الفوز في نفي الفلاح عن الكافرين ما لو قيل ان الكافرين لا يفلحون لم يستفد ذلك ولم يكن ذلك كذلك الا لانك جعلته اياه من بعد تقدمة وتنبيه انت به في حكم من بدا واعاد ووطد نحو بني ولوح لم يرح ولا تخفى بكان المزية فيما طريقه هذا الطريق ومثله قلما تجد من تقدم الحديث عنه يقتضي تاكيد الخبر بعد ذكره له انا اذا سلمنا وجود ما هذا الغرض من الكلام حتى فيما سبق فيه الكلام من ذكر نحو ان يقول الرجل اسيء علم ما ذكر يقول له انت تعلم ان الامر على ما اقول ولكنك تمثل لي تعنتي وكقول الناس هو يعلم قلة حيائه وهو يعلم الكذب فيما قال وان حلف عليه وكقولك تعالى

ويقولون على انه الكذب وهم يعلمون فصد اسم ابن حي وذاك ان الكاذب ولا سيما في الذي لا تعترف بانه كاذب واذا لم يعترف بانه كاذب كان ابعد من ذلك ان يعترف بالعلم بانه كاذب او حي فيما اعترض فيه شك نحو ان يقول الرجل كانك لا تعلم ما صنع فلان ولم يبلغك فتقول انا اعلم ذاك ولكني ادريه او في تكذيبه وهم كقولهم عز وجل واذا لقوكم قالوا امنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به وذلك ان قولهم امنا دعوى منهم انهم لم يخرجوا بالكفر وكانوا فالموضع موضع تكذيب او فيما اقتضاه ان لا يكون كقوله تعالى والذين اتخذوا من دونه الهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون وذلك ان عبادتهم لها يقتضي ان لا يكون مخلوقة وذلك في كل شيء كان خبرا على خلاف العادة ومما يستغرب من الامر نحو ان يقول الانسان فلان يدعي العظائم وهو نعسا ما ليس ويزعم انه شجاع وهو يفزع من ادنى شيء ومما حسن ذلك فيه ويكثر الوعد والضمان كقول الرجل انا اعطيك انا الكذا انا القوم بعدا الامر وذاك ان من شان من تعده وتضمن له ان تبرعنه الشك في تمام الوعد وفي الوفاء به وهو اخوج الى التاكيد ولذلك يكثر في المدح كقولك انت تعطي الجزيل انت تعزي في المحل انت تجود وجبين لا تجود احيد وكقوله

ولانت تفري ما خلقت ... وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

وكقول الاخر ... نحن في المشتاة ندعو الجفلى

وذاك ان من شان المادح ان يتبع السامعين من الشك فيما يمدح به وما هو من الشبهة وكذلك المفتخر وبريك بيانا انه اذا كان الفعل مما لا شك فيه ولا ينكر بحال لم يكد يجيء على هذا الوجه ولكن يوتى به ليبنى على اسم واذا اخبرت بالخروج مثلا عن رجل من عادته ان يخرج في كل غداة قلت قد خرج ولم تجيء الى ان تجعله قولا الى ان تقدم فيه ذكر المحدث عنه وكذلك اذا اعلم السامع من حال رجل انه على شرف الركوب والمضي الى موضع ولم يكن شك ونزدد انه مركب وذا مركب كان حريا ان تقول قد ركب بعد قد ركب فان حيث مثل هذا في جواز الكلام وتركه بعد واو الحال حسن حينئذ وذاك قولك حسنه وهو قد ركب وذاك ان الحكم بغير اذا صارت الحملة في مثل هذا الموضع وبصر الامر بعرض الشك وذاك انه انما يقول لمن هذا من ظن انه يصاد ثم في منزله وانه يصل اليه من سبيل ان يركب فان قلت فانك قد تقول حسنه وقد ركب مع قولك الفعلي ومع هذي الشك فان

انك لا تريد منعه قوله في الوجه الاول اما لو علمت انك اذا استطعت انسانا انا لو لم
ذلك لم يكن ذلك مانعا لك من ان تقول انا والله لم تطلع الشمس بعد هذا وهو كلام لا يكاد يجيء
الا ساذا واما الكلام البليغ فهو ان يريد الامر وسبي الفعل عليه كقول الشاعر

« قد اعتذري والعذر منكم واجد »

واذا كان الفعل مما بعد هذه الواو التي يراد
بها الحال صار تمام سبع الاسمية على اسم كقولك رايته وهو يكتب ومشيت اليه
وهو يضحك ومنه قوله

« ممرر رضاه الله يدعو صباحه » اذا ما ينوضى مدوا متموّنوا »

ليس سبع شيء من ذلك الا على ما مر اذ لو قلت رايته ويقرا ومشيت عليه ويضحك
ومر رضاه يدعو الله يكن شيئا مما ذكرناه فاعرفه

« وشيبي باكثر هذا الناس يخدع »

وذلك انه معلوم انه لم يرد ان يعرض بواحد كان هناك ينسبه ونسبه وصفته بانه
مشيوب بعمر ويخدع بل لم يرد الا ان يقول انى لست ممن يخدع ويغرر وكذلك الكلام
يريد ابو تمام بقوله

« وغيري باكل المعروف يحتفي »

ومن حقه ان يعرض مثلا بشاعر سواه فرعم ان الذي قرب به عنه المديح من الله بحياء
كان من ذلك الشاعر لانه هذا محال بل ليس الا انه نفى عن نفسه ان يكون من
يكثر الشعر ويلوم واستعاد مثل وعر على هذا السبيل على سركون في الطباع وهو
جار على عادته كلما ورد ما ثلت الان اذا صحت الكلام وجدت هذين الامرين يعدان
ابدا على الفعل اذا نفي بما نحو الذي ذكرت لك ونرى هذا المعنى لا يستقيم منهما اذا
لم نعتد بما الا ترى انك لو قلت بنى الحزن عن صوبه سلك ورعى الحق والحرمة
سلك وحمل على الادهم والاشهب مثل الاسير وتخدع عن هذا الناس واكل
غير المعروف تحنانا رايت كلاما مقلوبا عن جهته ومغيرا عن صورته ورايت اللفظ
قد ساء بمعناه ورايت الطبع يابى ان يرضاه واعلم ان مدوك ما سوى الذي
ان تاملت عرفي عن كل ما سواه وهو انه لا يجوز ان يكون انتظام الكلام وترتيب اجزائه
في الاستفهام معنى لتكون ذلك المعنى في الخبر وذلك ان الاستفهام استخبار
والاستخبار هو طلب من المخاطب ان يخبرك فاذا كان كذلك كان محالا ان يفرق
المحال بين تقديم الاسم وتاخيره في الاستفهام فيكون المعنى اذا قلت ازيد قام غير
اذا قلت اقام زيد لم يكون هذا الامران في الظن ويكون فوك كزيد قام وقام زيد
سواء لانه يودي الى ان يسمعه اسرا الاسير فيه لان الجواب وان استبته المعنى

وقولك الناس سلك رعى الحق والحرمة وكقولك الذي ناله الحجاج لم تسلك على
الادهم ولم تحمل على الاشهب فعلت على سبيل المغالطة ومثل الاسير حمل على الادهم والاشهب
وما اشبه ذلك مما لا يقصد فيه تمثيل الى انسان سوا الذي اضيف اليه ولكم يعرف
ان من كان مثله في اهاليه والصنعة كان من معتمدي العباسي وموجب العرف والعادة
ان يفعل ما فعل ولن لا يفعل ومن اجل ان كان المعنى كذلك وان

« ولم اقل سلك اعني به سواك نافردا بالاسبه »

وكذلك حكم عن اذا سلك به المسلك وتمثيل عبري يعبر ذلك على معنى ان لا افعل
لان يومي بغير الى انسان فيخبر عنه بانه يفعل كانه قال

« عبري باكثر هذا الناس يخدع »

وذاك انه معلوم انه لم يرد ان يعرض بواحد كان هناك ينسبه ونسبه وصفته بانه
مشيوب بعمر ويخدع بل لم يرد الا ان يقول انى لست ممن يخدع ويغرر وكذلك الكلام
يريد ابو تمام بقوله

« وغيري باكل المعروف يحتفي »

ومن حقه ان يعرض مثلا بشاعر سواه فرعم ان الذي قرب به عنه المديح من الله بحياء
كان من ذلك الشاعر لانه هذا محال بل ليس الا انه نفى عن نفسه ان يكون ممن
يكثر الشعر ويلوم واستعاد مثل وعر على هذا السبيل على سركون في الطباع وهو
جار على عادته كلما ورد ما ثلت الان اذا صحت الكلام وجدت هذين الامرين يعدان
ابدا على الفعل اذا نفي بما نحو الذي ذكرت لك ونرى هذا المعنى لا يستقيم منهما اذا
لم نعتد بما الا ترى انك لو قلت بنى الحزن عن صوبه سلك ورعى الحق والحرمة
سلك وحمل على الادهم والاشهب مثل الاسير وتخدع عن هذا الناس واكل
غير المعروف تحنانا رايت كلاما مقلوبا عن جهته ومغيرا عن صورته ورايت اللفظ
قد ساء بمعناه ورايت الطبع يابى ان يرضاه واعلم ان مدوك ما سوى الذي
ان تاملت عرفي عن كل ما سواه وهو انه لا يجوز ان يكون انتظام الكلام وترتيب اجزائه
في الاستفهام معنى لتكون ذلك المعنى في الخبر وذلك ان الاستفهام استخبار
والاستخبار هو طلب من المخاطب ان يخبرك فاذا كان كذلك كان محالا ان يفرق
المحال بين تقديم الاسم وتاخيره في الاستفهام فيكون المعنى اذا قلت ازيد قام غير
اذا قلت اقام زيد لم يكون هذا الامران في الظن ويكون فوك كزيد قام وقام زيد
سواء لانه يودي الى ان يسمعه اسرا الاسير فيه لان الجواب وان استبته المعنى

على وجه ليس عنده عيان نسبته لك فقال على ذلك الوجه وجملة الامر ان المعنى في اداة ذلك حرف الاستفهام على الجملة من الكلام بعد انك تقدر ان تعمد في معنى ذلك الجملة وتوادها على اثبات او نفي فاذا قلت ازيد منطلق فانت تطلب ان تعلم انك لم يعلم منطلق او يقول لانا يعلم منطلق واذا كان ذلك كذلك كان محالا ان يكون الجملة اذا دخلها همزة الاستفهام استحالت عن المعنى على وجه لا يكون معه اذا وقعت منها الهمزة احتمالا به على ذلك الوجه فاعرفه ع

فصل

واقدم الفعل عليها اذا قلت اجاءك رجل فانت تريد ان تسأله هل كان مجيء من واحد من الرجال اليه فان قدمت الاسم فقلت ارجل جاءك فانت تسأله عن جنس من جاءه ارجل يعم امراة ويكون بعد امسك اذا كنت قد علمت انه قد اتاه انسان ولكنك لم تعلم جنس ذلك الاتي فسبيلك في ذلك سبيلك اذا اردت ان تعرف عين الاتي فقلت ازيد جاءك ام عمرو ولا يجوز تقديم الاسم في المسألة الاولى لان تقديم الاسم يكون اذا كان السؤال عن الفاعل والسؤال عن الفاعل يكون اما عن عينه او عن جنسه ولا يتأتى ذلك اذا كان كذلك كان محالا ان تقدم الاسم النكرة وانت تريد ان تسأل عن جنس الاتي لانه لا يكون لسؤالك حينئذ سبيل من حيث لا يبقى بعد الجنس الا العين والنكرة لا تدل على عين شيء فيسأل بها عنه فان قلت ارجل طويل جاءك ام قصير كان السؤال عن الجاء من جنس طوال الرجال ام قصارهم فان وضعت النكرة بالجملة فقلت ارجل كنت عرفته من قبل اعطاك هذا ام رجل لم تعرفه كان السؤال عن المعطي اكان ممن عرفه قبل ام كان انسانا لم تقدم منه معرفة له وقد مر الحكم في الاتيه النكرة في الاستفهام فان الخبر عليه فاذا قلت رجل جاءك لم يصلح حتى تريد ان تعلمه ان الذي جاءك رجل لا امراة ويكون كذلك مع من قد عرف ان قد اتاك انسان فان لم ترد ذلك كان الواجب ان تقول جاءك رجل فتقدم الفعل وكذلك ان قلت رجل طويل جاءك لم يستقم حتى يكون السامع قد ظن انه قد اتاك قصير او توهمه امراة من اجل ذلك وقولهم شر اهر ذا ناب انما قدم فيه شر لان المراد ان يعلم ان الذي اهر هذا الناب هو من جنس الرجال دون جنس الخيل فجرى مجرى ان يقول رجل جاءني من بدانه رجل لا امراة وقولك العلما انه انما صلح لانه معنى ما اهر هذا الناب الا شر بيان ذلك الا ترى انك

لا تقول ما اتاني الا رجل لانك حينئذ توهم السامع انه قد اتاك امراة ذلك لان الحصر يقتضي النفي لكون محيث يراد ان يقصر الفعل على شيء ويبقى عداه فاذا اردت ما جاءني الا زيد كان المعنى انك قد حصرت المجيء على زيد ونفيته عن كل من عداه وانما يتصور حصر الفعل على معلوم ومتى لم يرد بالنكرة الجنس لم يقع السامع منها على معلوم حتى يرجع الى قصر الفعل عليه واخبره انه كان منه دون غيره واعلم انا لم نره مما قلناه من انه انما يحسن الابتداء بالنكرة في نحو شر اهر ذا ناب ان قصده اريد به الجنس ان معنى شر واشر سوا وانما اردنا ان نعرض من الكلام ان نبين ان الذي اهر هذا الناب من جنس الشر لا جنس الخير كما اذا قلنا في قولهم رجل جاءك ام امراة ان السؤال عن الجنس لم يرد بذلك انه يمتنع ان يقال الرجل ام امراة اتاك ولكنا نعني ان المعنى على ان يكون سألت عن الاتي اهو من جنس الرجال ام جنس النساء فالنكرة اذا وقع اضافتها من كونها واحدا من الجنس لان القصد بها لم يقع الى كونه واحدا وانما وقع الى كونه من جنس الرجال وعكس هذا انك اذا قلت ارجل اتاك ام رجلان كان القصد بذلك الى كونه واحدا دون كونه رجلا فاعرف ذلك اصلا وهو انه قد يكون في اللفظ دليل على امرين ثم يقع القصد الى احدهما دون الآخر فيصير ذلك الآخر فان لم يدخل في القصد كان لم يدخل في اللفظ ولا يلزم اذا اعترضك ما قدمته من قولك صاحب الكتاب انك اذا قلت عبد الله نبهته لم ينبه عليه الفعل وحده بطابق هذا وذلك ان التنبيه لا يكون الا بحمل معلوم كان قصر الفعل لا يكون الا على معلوم فاذا جاءك بالنكرة وقلت رجل وانت لا تقصد بها الجنس وان تعلم السامع ان الذي اردت بالحديث رجل لا امراة كان محالا ان تقول اني وقد سألته لانه المخاطب له لانه يخرج بك الى ان تقول اني اردت ان اسمعه لفظي لا لاعلمه شيئا اعلمه في جهالة ولا تفضل وذلك ما لا شك في استحالته فاعرفه ع

باب الذكر والحذف

اعلم ان المسلك لغامض الماخذ عجيب الامر شبيه بالسحر وانك ترى به ترك الذكر افصح من الذكر والصمت عن الافادة ازيد للافادة وتجدك انطق ما تكون اذا لم تنطق وابين ما تكون بيانا اذا لم تبن وعذره حسنه واذ تنكرها حتى تحدث بها حتى تسحر وانا اكتب لك بعد انا مسئلة مما عرض فيه الحذف فنم انهزك على صحة ما اشرت اليه وانم الحجة من ذكره عليه السند صاحب الكتاب ع

اعادة ذلك من لبلى عوائده ... وهاج اهواك المكنونه الطلل
ربع قوا ادمع المعصرات به ... وكل حيران سارماوه خضل
قال اراده اك ربع قال ومثله قول الاخر ع
هل تعرف اليوم رسم الدار والطللا ... كما عرفت تحمن السيل الخللا
دار المروج اذا اهلي واهلهم ... بالكاسبه ترعى اللبوى والغزلا
كانه قال تلك دار والله سقاها رحمه الله ولم يجعل البيت الاول على ان الربع بدل من الطلل لان الربع اكثر من الطلل والشيء يبدل مما هو مثله او اكثر منه فاما بدل الشيء من اقل منه فاسد لا يتصور وعند طريقه مستمرة ايم اذا ذكروا الديار والمنازل وكانوا يتمرون المبتدأ اذا جعلوا عنه يخبرون الفعل فينصبون كقول الكميت
انصا ... دار مية اذ مي ساعدنا ... ولا ترى مثلها تجمع ٧ عربت
اسرع نصب دار على اضمار فعل كانه قال اذكر دار مية ومن المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ القطع والاستيناف بعد ان ذكر الرجل وبعد موت بعض امره ثم يعودون الكلام الاول فيستانفون كلاما اخر واذا تعلموا ذلك انوا في اكثر الامر بحديث من غير حديث استأنف ذلك قوله
وعلمت اني يوم ذاك مبارك ... كهما وانهدا ... قوم اذا نسوا الحديث تمرة ... واحفظوا وقدا
وقوله ... هم حلوا من الشرف المحلا ... ومن حسب العشيرة حيث شاءوا
ساه مكارم واساء كلم ... دمايم من لئام الناس سعا
وقوله ... واني على ما ساءني غير شاكي ... الى الله حالي ابر كما تحمد
لهال ابوه ... علام رماه الله بالجزء قبلا ... له سجعيا ما يتق على النضر
وقوله ... اذا ذكرا اسا العشيرة لم يضق ... ذراعي والقي استه من ازاهر
هلا لان عما لان لي كل شتوة ... من النقل لا يستطيع الاباعر
عما لان خيران وليس بصرمة كانكون لو قلت سلا وحلا لان عما لان وما اعتبه ان يحمي جارا وقد يجيء على هذا المعنى حذف قولهم بعد اني يذكر والرجل في من شابه كذا واعز من صفته كبت وكبت كقوله
الا لا في بعد ان ناضج الذي ... ولا عرف الا قد مولى وادبرا
في حنظلي ما زال ركاسه ... الحود معروفا وبكر منكرا

وقوله ... ساشكر عمرا ان تراخت منيتي ... ايادي لم تمنن وان هي جلت
في غير محبوب الغنى عن مذمة ... ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت
ومن ذلك قول جميل ع
فعل شيبة بالناس ما فعل ... ذبي وقاعلة خبرا بها اخبرا
ترنو بعيني مهاة اقصدت رشا ... وفي حشيه ترمي وادميها
هيفا مقبله مجراه مبرمة ... وتا العظام بلاحب تؤاديها
من الاوانس مكسال مبتذلة ... خود عذاها بان العشر عاذيها
وقوله ايضا ع
اني حشية ريحت وهي جزيه ... فشكوا الى صاحبه لصبوبه
وتقول ما بعبدي فدتك نفيلة ... اشكوا اليك فان ذاك يسرني
هوا مبسام كان حد بريا ... ورقاد رقده سنوة
محطوطة المتنين مضمرة الحشا ... ربا الروادف حلها موكورة
وقوله الاقيشر ان عما له موسرا له فدعوه وقال له كم اعطيك على ان اشقه فيما لا يعيبك والله لا اعطيك فتركه حتى اجتمع القوم في ناديهم وهو معهم فشكاه الى القوم وذمه فوثب اليه ابن عمه فلطمه فانشا يقول
مربع الى ان الهم لطم وجهه ... وليس الى ما فيه اهلي اسرع
حريص على الدنيا مضيع لدينه ... وليس لما في بيته بمضيع ع
تامل الان هذه الابيات كلها واستقرها واحدا فاحدا فانظر الى مواقعها في نفسك والى ما تجده من اللطف والظرف اذا انت مررت بموضع الحذف منها وعلمت النفس عما تجده والطفت النظر فيما تحسن ثم تكلف ان تزيد ما حذف الشاعر وان تعيده الى لفظك وتوقعه في سمعك فانك تعلم ان الذي قلت كما قلت وان رب حذف هو للافادة اجيد وقاعدة التجويد وان اردت ما هو اصدق في ذلك شهادة وادل عليه فانظر الى قول عبد الله بن الزبير يذكر عمر بما نزل به اخ عليه ع
عريت على ريب الزمان بعضها ... فجاوزته قبل العراص المواقل
وذب ذبيب البطل لم تخمه ... وقال نعم اني عرفت فعاقل
تثاب حتى قلت داتبع نفسه ... واخرى اتاها بالمعاد فاوجل
الا ترى حتى قلت هو داتبع نفسه اي حسبه من شدة التاذب وحمايه من الجبن

تقدف نفسه من علوه وخروجها من صدره كما يدع المعبر جوابه ثم انك تترك
تشبيه الكلام وهيئته بروم سبك ان تعني هذا المبتدا او شاعره عن وصفك وتريد
ان الذي ورد خلقك ولا تعرض خاطرك وتراك كانك سوقا، بوني التي يكره مكانه
والثقيل يحتي محمومه ومن لطيف الحذف قول بكر بن النطاح م

العين بدي الجب والغضا ، وتظهر الاحرام والنهضا
درة يا الصفتين في الهوى ، ولا رحمت الجسد المنهضا
عصبي وكاد الله يا هلها ، لا اطعم البارد او سخني

تقوله في جارية كان تجربا وسعى به الى اهلها فمنعوها منه والمقصود قوله عصبي
وذلك ان المتعدد من عصبي او اعصبني هي لا محالة الا انك ترى الشيخ كيف سقاه في
من القبار هذا المحذوف وكيف باشر الى اضماره وترى دلالته كيف تذهب ان
رمت النطق به ومن ثم جاء الاستدلة في هذا الباب قوله الاخر يخاطب امراته وقد دلالته
على الجود فالت سخنه وقد عويت بان رات ، حقا عاوب سالتاوه قوله

على لعرك لا ازال احموده ، ما دام ماك عندنا موجودا

المعنى ذاك على لا ازال احموده وقد علمت ذلك لومي اياك وقد عرفت هذه
الجملة من هذا حال الحذف في المبتدا فاعلم ان ذلك سبيله في كل شيء فما من
اسم او فعل يجوز ان تحذفه ثم اعتبر به موضعه وحذف في الحال التي يجيء
ان يحذف فيها الا وانت تجد حذفه هناك احسن من ذكره وتوى اضماره في
النفس اولى وانفى من النطق به واذ قد بدانا في الحذف بذكر المبتدا وهو حذف
اسم اذ لا يكون المسند الا اسما فانا نتبع ذلك ذكر المفعول به اذ هو ذو فضل
فان الحاجة اليه امس وهو مما نحن بصدده اخص والطائف كامنة فيه اكثر وما
يظهر بسببه من الحسن والروعة اعجب واظهر وهاهنا اصل يجب ضبطه وهو
ان حاك الفعل مع المفعول الذي يتعدى اليه حاله مع الفاعل وكما انك اذا قلت
ضرب زيد فاسندت الفعل الى الفاعل كان غرضك من ذلك ان تثبت الضرب
فعلا له لا ان تفيد وجود الضرب في نفسه وعلى الاطلاق كذلك اذا اردت ايقاع الفعل
على المفعول فقلت ضرب زيد عمرا كان غرضك ان تفيد الناس الضرب الواقع
من الاول بالثاني وتوقعه عليه فقد اجتمع الفاعل والمفعول في ان عمل الفعل
فيهما اما كان من اجل ان يعلم الناس المعنى الذي اشتق منه ايهما فعل الرفع في

الفاعل

الفاعل لتعلم الناس الضرب به من جهة وفوقه منه والنصب في المفعول لتعلم الناس
به من جهة وقوعه عليه ولم يكن ذلك ليعلم وقوع الضرب في نفسه بل اذا اردت الا حباد
بوقوع الضرب ووجوده في الجملة من غير ان يجب الى فاعل او مفعول او يتعرض
لبيان ذلك فالعبارة عنه ان تقال كان ضرب او وقع ضرب او وجد ضرب وما
شاكل ذلك من الفاظ تفيد الوجود المجرد في الشيء واذ قد عرفت هذه الجملة فاعلم
ان اغراض الناس تختلف في ذكر الافعال المتعدية فربما ذكروها تارة واريدهم ان
يقتصروا على اثبات المعاني التي اشتقت منها الفاعلين من غير ان تقصد الى ذكر
المفعولين واذا كان الامر كذلك كان الفعل المتعدي كغير المتعدي مثلا في انك لا تذكر
له مفعولا لا لفظا ولا تقدرا وسالك ذلك قوله الناس فلان يعطي ويمنع ويضر وينفع
ويبني وينقض ويكوّن هو يفعل ويجزل ويغري ويضيف المعنى في جميع ذلك
على اثبات المعنى في نفسه للشيء على الاطلاق وعلى الجملة من غير ان يقصد
المفعول حتى كانك قلت صار اليه الحل والعقد وصار بحيث يكون منه حل وعقد
وامر ونهي وضر ونفع وعلى هذا القياس وعلى ذلك قوله تعالى هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون المعنى هل يستوي من له علم ومن لا علم له من
غير ان يقصد النص على معلوم وكذلك قوله هو الذي يحيي ويميت وقوله
تعالى وانه هو امات واحيى وقوله وانه هو اضحك وابكى وانه هو اغنى واقنى
المعنى هو الذي منه الاحياء والاماتة والاضحاك والابكاء والاغناء والاقناء وهكذا كل موضع كان القصد
فيه ان يثبت المعنى في نفسه فعلا للشيء وان يخبر بان من شانه ان يكون منه او
يكون الا منه او لا يكون منه فان الفعل لا يتعدى هناك لان تعديه تنقض
الغرض وتغير المعنى الا ترى اذا قلت هو يعطي الدنانير كان المعنى على انك تقصد
ان تعلم السامع ان الدنانير يدخل في عطائه اياه يعطيها خصوصا دون غيرها
وكان غرضك على الجملة بيان جنس ما تناوله الاعطاء لا الاعطاء في نفسه ولم يكن
كلامك مع من ينكر ان يكون كان منه اعطاء بوجه من الوجوه بل مع من اثبت اعطاء
الدنانير فاعرف ذلك فانه اصل كبير عظيم النفع فقد انتظم
من خلو الفعل عن المفعول وهو ان لا يكون له مفعول بكون النص عليه ومن ان
وهو ان لا يكون له مفعول منصوب فقدره معلوم الا انه محذوف من اللفظ لدليل
الحال عليه وسنتم القول في هذا الفصل بان نذكر الفرق بين قولنا الفعل قولنا

اصغيت اليه وهم يريدون اذني واصغيت عليه وهم يريدون جفني واما
الحي الذي يدخله الصنعة فيتعين ويتنوع فنوع منه ان يذكر الفعل وفي شكه
له مفعول مخصوص قد علم مكانه اما بجري ذكر او دليل حال الا انك تشكه نفسك
وتخبره وتوهم انك لم تذكر ذلك الفعل الا الان بيت لبيد يصف بقرة وحشية
الجبلي او يعرض فيه لمفعوله ومثاله قوله البحتري

نحو حشاه وغبيط عداة ان يرى مبصر ويسمع واع

المعنى لا محالة ان يرى مبصر محاسنه ويسمع واع اخباره واوصافه ولكنك
تعلم علما ذكيا انه كانه يبرق علم ذلك من نفسه ويدفع صوريته عن وهمه
لتحصل له معنى شريفا وغرضا خاصا وذلك انه يريد حقيقة وهو المعنى ويعبر
بخليفة وهو المستعين فاراد ان يقول ان محاسن المعنى وفضائله المحاسن
والفضائل يكفي فيها ان يتم علمها بصر ويعيها سمع حتى يعلم انه المستحق للاضافة
والفرد الوحيد الذي ليس لاحد ان ينازعه من سمعا فاست ترى حساده ولسن
الحاسم واضبط من علمهم بان ههنا مبصرا يرى وسامعا يعي حتى يتمنون ان يكون
في الدنيا من له عين تبصر فقط واذن تعي بعلمها كي يخيل كان استحقاقه لشرف المقام
مجرد واذ ذلك سبيلا الى ستار عنه اياها وهذا نوع منه اخر وهو ان يكون
معرك مفعول معلوم مقصود قد علم انه ليس للفعل الذي ذكرت مفعول سواه
بدليل الحال او ما سبق من الكلام الا انك تطرحه وتتناساه وتدعه كالمضمر
النفس لغرض غير الذي يعني وذلك الغرض ان تتوفر العناية على اثبات الفعل
للفاعل مخلصا له وتصرف عجلتها وكاني اليه ومثاله قول عمرو

ولوان قومي اطاعتني رماحهم بطونا ولكن الرماح اجرت

اجرت فعل متعد ومعلوم انه لو عداه لما عداه الا الى ضمير المتكلم نحو ولكن
الرماح اجرتني وانه لا يتصور ان يكون ههنا مما اجري يتعدى اليه لاستحالة ان
يقول ولوان قومي اطاعتني رماحهم ثم يقول ولكن الرماح اجرت غيري الا
انك تجد المعنى يلزمك ان لا تطلق هذا المفعول ولا تخرجه الى الخطاب والسبب
في ذلك ان تعد بنا كما توهم ما يوجب خلاف الغرض وذلك ان الغرض هو ان يثبت
انه كان من الرماح اجرار وجيء للكلام عن النطق وان صح وجود ذلك ولو
اجرتني جاز ان يتوهم انه ان لم نصن بان يثبت للرماح اجرار الذي عناه ان

بين انها اجرته فقد ذكر الفعل كثيرا والغرض منه ذكر المفعول مثاله انك
تقول اضربت زيدا وانت لا تنكر ان يكون كان من الحاضرين ضرب وانما تنكر ان
يكون وقع الضرب منه على زيد وان تستخبره ذلك او تستتبعه فلما كان في تعدية
اجرت ما تفهم ذلك وقف فلم يعد البتة ولم ينطق بالمفعول لتخلص العناية
لاثبات الاجرار للرماح وليصح انه كان منها وتسلم بكليتها الذلك ومثله قول
عمرو

امنيت نفسي وجدت حتى تركت ضمير قلبي مستهاما

الغرض انه يثبت انه كان منها تمنيه وتلذذه وان يقول لها اهكذا تصنعين
وهذه حيلتك في مثله الناس ومن بارع ذلك وناد رما تجده في هذه الابيات
يروى المرزباني في كتاب الشعراء باسناده قال لما شاغل ابو بكر الصديق رضي
الله عنه باهل الردة استطاه الانصار فقال اما كلمة عوف اخلاق رسول الله صلى
الله عليه وسلم فوالله ما اخذ اعندي ولا عند احد من الناس ولكني والله ما
ارى من مودتكم ولا حسن رأي فيكم وكيف لا يحبكم فوالله ما وجدت مثلا لما
ولكم الا ما قال طفيل الغنوي لبني جعفر بن كلاب

جزى الله عنا جعفرا حين زلت بنا نعلنا في الواطئين فزلت

ابوا ان يملونا ولو ان امنا تلاقي الذي لاقوه منا لملت

هم خلطونا بالنفوس والحموا الى حجرات ادفأت واظلت

فيما حذف مفعول مقصود قصده في اربعة مواضع قوله لملت والحموا ادفأت
واظلت لان الاصل لملتنا والحمونا الى حجرات ادفأتنا واظلتنا الا ان الحال
على ما ذكرت لك في ان انه في حد لم يتناه حتى كان لا قصد الى مفعول وكان الفعل
قد ابهم امره فلم يقصد به قصد شيء يقع عليه كما يكون اذا قلت قد مثل فلان بريد
ان يقول قد دخله المثلان من غير ان يخص شيئا بل لا يريد على ان يحمل المثلان
من صفته وكما يقول هذا بيت بدئ وبطل بريد انه من هذه الصفة واعلم
ان لك في قوله اجرت وملت فائدة اخرى زائدة على ما ذكرت من توفير العناية
على اثبات الفعل وهي ان يقول كان من سوء بلاء القوم ومن تكدير هم على القتال
ما يجر مثله ومما الغضبة فيه انه لا تسفن على قوم الا حرس شاعرهم فلم يستطع
ان يتكلم وتعد سنك الفعل يمنع من هذا المعنى قطعا لانك اذا قلت ولكن الرماح
اجرتني لم يمكن ان يتأول على معنى انه كان منها ما شان سئاه ان نحن قصدنا بسمره

في كل شاعر قوم بل قد تجد ان يوجد مسئله في قوم اخرين والمجز شاعرهم ونظيره
انك تقول قد كان منك ما يوم كل احد وكل انسان ولو قلت ما يولد يوم يولد لك
لانه قد يجوز ان يولد لك الى ان يوم عمرك وهكذا قوله ولو ان اسنا ملا في الذي
لا قوه منا الملت يتضمن ان من حكم مسئله في كل ام ان عمل وتسام وان المشعه
في ذلك اي جد يعلم ان الام عمل له الاين وسلوم به مع ما في سياق الاخبار من
التصريح بانكاره في مصالح الاولاد وذلك انه وان قال اسماء كان المعنى على ان
ذلك حكم كل ام مع اولادها ولو قلت لمسلم يحتمل ذلك لانه يجوز ان
يقول لو لغيت انسانا ذلك لوجدتها عاصيا فاذا قلت ما فيها عاصيا فقد
لم يصلح لان يراد به معنى العموم وانما حيث يحمل الكلام من كل ان وكذلك قوله الى
محيرات ادفات واطلت لان فيه معنى لو لك محيرات من شان سلمى اورد في
وتطل اي هي بالصفة التي اذا كان اذا كان البيت عليها ادفا واطل ولا يجيء هذا المعنى
مع اظهار المفعول اذ لا تقول لمحيرات من شان سلمى ان تدفيا وتطلنا هذا
لعوس الكلام فاعرفه هذه النكته فانك تجدها في كثير من هذا الفن مسموعة
الى المعنى الاخر الذي هو توفير العناية على اثبات الفعل والدلالة على ان القصد
من ذكر الفعل ان تثبته لما علقه لا ان تعلم الناس مفعوله وان اردت ان
ترد اد بسياق هذا الاصل اعني وجوب ان يسقط المفعول لتوفر العناية على
اثبات الفعل لفاعله ولا يدخلها وجوب وانظر في قوله الله تعالى ولما ورد ماء
مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امراتين تذودان
قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى
الى الظل فعبر باحد عشر فعلا في اربعة مواضع والمعنى وجد عليه امة من
الناس يسقون اغنامهم ووجد من دونهم امراتين تذودان غنمهما وقالتا لا نسقي
غنمنا وفسقى لهما غنمهما ثم انه لا يخفى على ذي بصر انه ليس في ذلك كله الا
ان ترك ذكره ونوي بالفعل مطلقا وما ذاك الا ان الغرض فيان تعلم انه كان من
الناس في ذلك الحال سقي حتى يصدر الرعاء وانه كان من موسى عليه السلام
من اجله ذلك سقي فاما ما كان المسقى اغنمهما ام الام غرضك فخارج عن
الغرض وموهم خلافه وذلك انه لو قيل وجد من دونهم امراتين تذودان غنمهما
حتى ان يكون لم يتكرر الذود من حيث هو ذود بل من حيث هو ذود غنم حتى

لو كان يكون الغرض الجلي ذكرنا كما اذا قلت ما لك تمنع ان لك كنت منكرا المنع لا من حيث
منع بل من حيث هو منع الخ فاعرفه تعلم انك لم تجد لحذف المفعول في هذا النحو من
الروعة والحسن ما وجدت الآن في حذفه وتركه ذكره فاعرفه جملة وان الغرض في جميع
الابحاث تركه وما هو كانه نوع غير ما مضى قول البحتري

اذا بعدت البلت وان قربت شفت . وهجر ما سل ولعبا بشفى

قد علم ان المعنى اذا بعدت عني البلتي وان قربت مني شفتني الا انك تجد الشعه
يابى ذكره ذلك ويوجب الحراجه وذلك لانه اراد ان يجعل الدلالة انه واجب في حاله
ان يوجبه ويحليه وكانه كالطبيعة فيه وكذلك حال السامع الغرب حتى كانه قال
اندري ما بعادها هو البعد المقتضى وما قراطها هو الشفا والبرء من كل داء فاسمل انك
الى هذه الطبيعة وهذه النكته الاحذف المفعول البته فاعرفه وبنى لتاج هذا
الحذف اي حذف المفعول بنائه فانه طريق الى مرغوب من الصنعة والى لطائف

اعلم ان هاهنا ما يأمن الانكار والحذف يسمى الاضمار على شريطة التفسير وذلك
مثل قولهم اكرمني واكرمت عبد الله اردت اكرمني عبد الله واكرمت عبد الله سواء
تركت ذكره في الاول استعنا بذكره في الثاني فهذا طريق معروف ومذهب ظاهر
وهو لا تعباه ويظن انه ليس فيه اكثر مما تراه مما الاسئله المذكور منه وبه اذا انت
طلبت التي من معدنه من دقيق الصنعه ومن جليل العائده ما الاجزء الاتي كالام
الفحول فمن لطيف ذلك وبادع قول البحتري

لو شبهت لم يفسد سماحة حاتم . كرما ولم تهدم مآثر خالد

الاصل لا تحتاج انه لو شبهت ان لا تفسد سماحة حاتم لم تفسد هاهنا حذف ذلك من
الاول استعنا بدلالة ما في الثاني عليه ثم هو على ما تراه وتعلمه من الحسن والمزية
وهو على ما ذكرت لك من ان الواجب في حكم البلاغة ان لا يتعلق بالحذف وهلة ولا يظهر
الى اللفظ فليس يعني انك لو رجعت فيه الى ما هو اصله فقلت لو شبهت لم تفسد سماحة
حاتم لم تفسدها صرت الى كلام عيّ ولا يخفى مجه الطبع وتعافه النفس وذلك ان في
البيان اذا ورد بعد الابهام وبعد التحريك له ابدا لطفا وسلا لا يكون اذا لم يقع
ما تحرك وانت اذا قلت لو شبهت على السامع انك قد علقت هذه المشبه في المعنى
مبنى ولم يقع في نفسه ان ههنا شيا ينتظر بمشيئة الا ان يكون وان لا يكون فاما

قلت لم تفسد صاحة حاتم عرف ذلك الشيء ومحى الشيء بعد لو وبعد حروف الجزاء
وكذا امر فونه غير بعيد اذ الى كثير سابع كقوله تعالى ولو شاء الله لهداكم على الهدى
ولو شاء لهداهم اجمعين والسقه يرى ذلك كله على ما ذكرت فالاصل لو شاء الله ان يهديكم
على الهدى لهداكم ولو شاء ان يهديهم اجمعين لهداهم الآن الملاحظة في ان يجاب به عم
كذلك محذوفا وقد يحقق في بعضه ان يكون اظهار المفعول هو الاحسن وذلك في نحو قول
الشاعر ولو شيت ان ابكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر اوسع
فعياسي هذا لو كان على حذف ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ان تقول ولو شيت بكيت
دما ولكنه كانه ترك تلك الطريقة وعدل الى هذه لانها احسن في هذا الكلام خصوصا
وسبب حسنه انه كانه تلك بدع عجيب ان يشا الانسان ان يبكي دما فلما كان كذلك
كان الاولى ان يصرح بذكر المفرع في نفس السامع ويوسنه به واذا استغربت وجودت
الامر كذلك ابدا اسي كان مفعول المشيه اذا عظمها او بعدها عن شا كان الاحسن ان
يذكر ولا يضمر تقول لرجل يخبر عن عزم لو شيت ان ارد على الامير رددت ولو شيت
ان اعطي الدنيا بحذافيرها كل يوم لفعلت فاذا لم يكن مما يكرم السامع فالحذف كقولك لو شيت
خرجت ولو شيت قمت ولو شيت انصرفت ولو شيت لفعلت وفي التنزيل لو شا الله لفعلنا
وكذا تقول لو شيت كنت كريما قال

لو شت كنت كعمرو في عبادته ، او كابن طارق حول البيت واللوم ،

وكذا الحكم في غير من حروف المجازاة تقول ان شيت قمت وان اردت ذهبت قال
الله تعالى فان شا الله يختم على قلبك وقال عز اسمه من يشا الله يضلله ومن يشا
يجعله على صراط مستقيم ونظائر ذلك من الاي ترى الحذف فيها اكثر واعلم
ان ايش فيه لغير الحذف وحده تولك طرفه ، ع

وان شيت لم ترحل وان شيت ارتحلت ، محاذة ساوي من الغد يحصد ،

وقولك حميد ع

اذا شيت عنقني باجراع بيشه ، او الورق من ثلبت او ثلملما ،
مطوقة ورقا تصيح كلما ، دنا السيف هاب العاب ارتع فاعجما ،

وقولك الفحولي ع

اذا شا عادي سرعة اوبعد اهله ، عقائل سرب او تعنص ربربا ،

وقوله لو شيت عدت بلاد تغيب غموده ، فظلت بين عثيثه وزروده ،

يعلوم انك لو قلت وان شيت ان لا ترحل لم ترحل او قلت اذا شيت ان تعنقني باجراع
بيشه عنقني واذا شا ان يعادي سرعة عادي وان شيت ان تعود بلادا تجد
عودة عدت اذهبت المكاوي ونحوها وخرجت الى كلام عنت ولفظ رشوا فانول
الجوهري ، فلم يبق مني الشوق غير تفكري ، فلو شيت ان ابكي بكيت تفكرا ،
فقد نحا به نحو قوله ، ولو شيت ان ابكي دما لبكيته ،
فاظهر مفعول شيت ولم يقل فلو شيت بكيت تفكرا لاحل ان له غرضا لا يتم الا
بذكر المفعول وذاك انه لم يرد ان يقول لو شيت ان ابكي بكيت تفكرا ولكنه
اراد ان يقول قد اطال في الغول فلم يبق مني وفي غير خواطر غول حتى لو شيت بكا
شرت خوف وعصرت عيني ايسيل منها دمع لم يسيل مجرده وخرج بعد الدمع
التفكر فالبكا الذي اراد ايقاع المشيه عليه مطلق مبهم غير معدى الى التفكر الذي
والبكا الثاني مقيد مع الدمع والتفكر واذا كان الامر كذلك صار الثاني كانه غير
الاول وحري بحريك ان يقول لو شيت ان تعطي درهما اعطيت درهمين في
ان الثاني لا يصلح ان يكون تفسيرا للاول واعلم ان هذا الذي ذكرنا ليس صريح
اكرمت واكرمني عبد الله ولكنه شبيه به في انه انما حذف الذي حذف من مفعول
المشيه والارادة لان الذي اتى في جواب لو واخواتها يدل عليه وان اردت ما هو
صريح في ذلك ثم هو نادر لطيف يستطرف على بعد ويستحق وقوعه حليه فانظر الى بيت
البحتري ، وقد طلسا فلم تجد لك في السؤدد والمجد والمكارم مثلا ،
المعنى قد طلسا لك مثلا ثم حذف لان ذكره في الثاني يدل عليه ثم ان المعنى به كذلك
من الحسن والروعة ما لا يخفى ولو انه قال وقد طلسا لك في السؤدد والمجد والمكارم
مثلا فلم تجد لم تر من هذا الحسن الذي تراه شيا وسبب ذلك ان الذي هو الاصل
في المدح والغرض بالحقيقة هو نفي الوجود عن المثل واما الطلب فكما ان يذكر ليبنى
عليه الغرض ويوكد به امره واذا كان هذا كذلك فلو انه قال قد طلسا لك في السؤدد
والمجد والمكارم مثلا فلم تجده لكان يكون قد ترك ان يوقع نفي الوجود على صريح
المثل او توقعه على صريح ولن سلم الكناية سلم التصريح ابدا وبين هذا الكلام وذاك
بون عظيم فان الحاجظ في كتاب البيان وانا اكتب ذلك الفصل حتى استبين الذي هو
المراد قال وسمعت في خطبة النكاح ان يطيل الخاطب ويقصر الخاطب الا ترى
ان قيس ابن خارجة لما سرب بسيفه موضع الصدق الحاصل بين بني سنان حماه ان

واحسن وقالت مالي مريما ابتها الغضبا ما لابل ما عندك قالت عندي مراجل
ما ترى ومناجل ساخط وخطيبه من امر نطلع الشمس الى ان تغرب امرتها بالتوا صل
وابرى بها عن القاطع قالوا لخطب يوما الى الليل فما اعاده كلا ولا معنى فقيل لابي
بعضوب هلا اكتفى بالامر بالتواصل عن النهي عن التقاطع اوليس الامر بالصلة هو
النهي عن القاطع قال اوما علمت ان الكناية والتعريض لايحملان في العقول محمل
الافصاح والتكشف انتهى الفصل الذي اردت ان اكتبه فقد تركت هذا ان لم
يكون ابتاع الى الوجود على صريح لفظ المثل كما عاهد عليه سميره واذ قد عرفت هذا
فان هذا المعنى بعينه قد اوجب في بيت ذي الرمة ان يقع اللفظ عليه مكنيا وهو
التجريد فيحمل الاول من الفعلين وذلك قوله

«ولم امدح لارضيه بشعري ٭ لسما ان يكون اصاب مالا»

احمل لم امدح الذي هو الاول في صريح لفظ الذم وارضى الذي هو الثاني في ضمير
وذلك ان ابتاع نفي المدح على الذم صريحا والمجيء به معه مكشوفا ظاهرا هو الواجب
من حيث كان اصل العرض وكان الارضا تعليلا له ولو انه قال ولم امدح لارضى شعري
لسما لكان يكون قد ابهم الامر فيما هو الاصل وابانه فيما ليس الاصل فاعرفه وتحفظ
الذي ذكرناه من ان للتصريح محلا لا تكون مسائل ذلك الفصل الكناية وكان لاعادة اللفظ
في قوله تعالى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وقوله قل هو الله احد الله الصمد
اللفظ من الحسن والبهجة ومن الفخامة والنبل بالمحل الذي وسعه على يسير وكان
لو ترك فيه الظاهر بان الاضمار فقيل وبالحق انزلناه وبه نزل وقل هو الله احد هو
الصمد لعدمت الذي انت واجده الان [illegible] فدبان الان وضع
لمن نظر نظرا المتثبت المحصف الراغب في تبتدا ح زناد العقل والازدياد من
الفضل ومن حاشيه التوق الى ان يعرف الاشياء على حقايقها ويتفاضل في ذلك ما يريها
ويريانسه عن مرتبه المقلد الذي يجري مع الظاهر ولا يعدوه والذي يقع في
اول الخاطر الذي قلت في بيان الحذف وتفخيم امره والتنويه بذكره وان ما
ماخذ شبيه السحر ويريك الكرة كالتي قلت وها هنا فن اخر من بعاليه عجيب
وهو ما ذكره لك قال الحوتري في قصيدته التي اولها ع

«اعن سفه يوم الاجيفر ام حلم» وهو يذكر محاماة الممدوح عليه وسياسته

له ودفعه نوايب الزمان عنه ع

«وكم ذدت عني من تحامل حادث ٭ وسورة ايام حززن الى العظم»

المعنى لاتحامله وسورة ايام حززن الى العظم الا انني بحثته به محدودا واسعا
له من النطق وتركه في الضمير مزية عجيبه وفايدة جليله وذلك ان من حق السامع
ان يوقع المعنى في نفس السامع ابتاعا يسعه به من ان يتوهم في بدء الامر شيا غير
المراد ثم يتصرف الى المراد ومعلوم انه لو اظهر المراد المفعول فقال وسورة ايام حززن
اللحم الى العظم لجاز ان يقع في وهم السامع الى ان يجيء الى تونيه الى العظم ان هذا الحز كان
في بعض اللحم دون كله وانه قطع ما بقي الجلده ولم يبنه الى ما بلي العظم فلما كان كذلك
ترك ذكر اللحم واسقطه من اللفظ ليجري السامع من هذا الوهم ويجعله بحيث يقع
المعنى منه في نفس الفهم ويصور في نفسه من اول الامر ان الحز مضى الى اللحم حتى
يرده الا العظم افيكون دليل اوضح من هذا او بين وابلغ في صحة ما ذكرت لك من
انك قد تترك ذكر الصحيح من الذكر والاستماع من ان يجري اللفظ من الضمير
احسن للتصوير ع

[illegible]

اول ما ينبغي ان يعلم منه انه ينتظم الى خبر هو جزء من الجملة فالجزء هو الذي
وضع ليس بجزء من الجملة ولكنه زيادة في خبر اخبر سابق له فالقول خبر المبتدا كقولك
في قولك زيد منطلق والفعل كقولك خرج زيد تكل واحد من هذين جزء من الجملة
وهو الاصل في الفايدة والثاني هو الحال كقولك جاني زيد راكبا وذلك لان الحال
خبر في الحقيقة من حيث انك بنيت بها المعنى الذي الحال كائنة بحز المبتدا المسند
والفعل الفاعل المتروك قد اثبت التركيب في قولك جاني زيد راكبا لزيد الاترى
الفرق انك جيئت به ليزيد معنى في اخبارك عنه بالمجيء وهو ان حملته فيزيده الحزء
في مجيئه ولم تجرد اسنادك التركيب ولم تباشره به بل اسندت واثبت المجيء وسلطت
به التركيب والنفس به الاثبات على سبيل التبع لمجيء وشرط ان يكون في جملته وانا
في الخبر المطلق كقولك زيد منطلق وخرج عمرو فانك سندت المعنى اليا مجرده لذاته
وجعلته مباشره من غير واسطة ومن غير ان جعلت لخبر انبه فاعرفه واذ قد
عرفت هذا الفرق الذي بدايه من حزون الخبر هو الفرق بين الاثبات اذا كان
بالاسم وبينه اذا كان بالفعل وهو فرق لطيف تنبي الحاجة في علم البلاغة اليه
وبيانه ان موضوع الاسم على ان يثبت به المعنى الذي من حيله ان يقتضي تجدده شيا
بعد شيء واما الفعل فموضوعه على انه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيا بعد شيء فاذا

فاذا قلت زيد منطلق فقد اثبت الانطلاق فعلا له من غير ان تجعله يتجدد ويحدث منه شيئا فشيئا بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك زيد طويل وعمرو قصير فكما لا تقصد هاهنا الى ان تجعل الطول والقصر يتجددان ويحدثان بل يوجبهما وشبههما فقط وبعد في وجودهما على الاطلاق كذلك لا تعرض في قولك زيد منطلق لاكثر من اثباته لزيد ما الفعل فانك تقصد فيه الى ذلك فاذا قلت زيد هو منطلق فقد رفعت ان الانطلاق يقع منه حزا فحزا وجعلته يزاوله ويرجع ان شئت ان تحس الفرق بينهما من حيث تلطف فتامل هذا البيت ع

لا بالف الدرهم المضروب حرفتنا ... الا يمر علينا وهو مستطيل

هذا ابو الحسن اللائق بالمعنى واللائق بالفعل لكي يريدها وهو منطلق فيحسن فان اردت ان تعتبر حيث لا يجيء ان احدهما لا يصلح في موضع صاحبه فاعمد الى قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد فان احدا لا يشك في استماع الفعل هربنا وان قولنا وكلبهم بسط ذراعيه لا تودي الى الغرض وليس ذلك الا لان الفعل يقتضي مزاولة وتجدد الصفة في الوقت ويقتضي الاسم ثبوت الصفة ونحو من غير ان يكون هناك مزاولة وترجيحة فعل ومعنى يحدث شيئا فشيئا ولا ترى بين وكلبهم باسط وبين ان يقول وكلبهم واحد لتلا ترى انك لا تثبت مزاولة ولا تجعل الكلب يفعل شيئا بل يثبته بصفة هو عليها فالغرض اذا اداة بهيئة الكلب وشكله اعتبرت الحال في الصفات المشبهة وجدت الفرق ظاهرا بينا ولم يعترض الشك في ان احدهما لا يصلح في موضع صاحبه فاذا قلت زيد طويل وعمرو قصير لم يصلح مكانه بطويل وبقصير وانما تقول يطول ويقصر اذا كان الحديث عن ذلك زيد وبمجيء الفعل والسمات والصفي ونحو ذلك مما يتجدد فيه الطول ليوجد فيه القصر فاما وانت تحدث عن هيئة ثابتة وعن شيء قد استقر طوله ولم يكن شيء تزايد وتجدد فلا يصلح فيه الا الاسم واذا ثبت الفرق بين الشيء والشيء في مواضع كثيرة وظهر الغرض بان شيئا احدهما لا يصلح في موضع صاحبه وجب ان يمشي بثبوت الفرق حيث جرى احدهما وسرى في مكان الاخر وتعلم ان المعنى مع احدهما غير معنى الاخر كما هو والعبرة في جعل المعنى على الحلي ويعكس ذلك هذا الحكم اعني انك كما وجدت الاسم يقع حيث لا يصلح الفعل مكانه كذلك تجد الفعل يقع ثم لا يصلح الاسم به ولم تؤت في ما تريد به من البين في ذلك قوله الاعشى ع

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة ... الى ضوء نار في يفاع تحرق

تشب لمقرورين يصطليانها ... وبات على النار الندى والمحلق

معلوم انه لو قيل الى ضوء نار محرقة لنبا عنه الطبع وانكره النفس ثم لا يكون ذلك النبو وذلك الانكار من اجل العامية وانها تعتمده بل من حيث انه لا يليق بالغرض ولا يتفق بالحال وكذلك قوله

اذ كلما وردت عكاظ قبيلة ... بعثوا الى عريفهم يتوسما

وذاك لان المعنى في بيت الاعشى على ان هناك موقدا يتجدد منه الاضطاء ولا حالة الا اذا قيل تحرقه كان المعنى ان هناك نارا قد ثبت طباعها وهيئتها هذه الصفة وحينئذ يحتمل ان يقال الى ضوء نار عظيمة في بابه لا يفيده فعلا يفعل وكذلك الحال في قوله بعثوا الى عريفهم يتوسم فيقيد بتوسم وذلك لان المعنى على توسم واطلب ونظر تجدده من التعريف حالا فحالا او يصح منه لوجوه واحد ايجد واحد ولو قيل بعثوا الى عريفهم متوسما لم يفد ذلك حق الافادة ومن ذلك قوله تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لو قيل هل من خالق يرزقكم لم يكن المعنى غير ما اريد ولا ينبغي ان نترك الاداة الجسا في مسائل نتبه فيها على فضل الفعل في هذا الموضع بعد ان لا نسركا نعول في زيد هو ذا قد في موضع قام فان ذلك لا يقتضي ان يكون المعنى فيهما سواء لا يكون من بعد افتراق فاما قولنا سواء هذا الامر لم يكن احدهما فعلا والاخر اسما لم يكن معنى ان لهما جميعا فعلين او يكونا اسمين ومن فروق الاثبات انك تقول زيد منطلق وزيد المنطلق والمنطلق زيد فيكون ذلك في كل واحد من هذه الوجوه الاخر ض خاص وفائدة لا تكون في الباقي وانا افسر لك ذلك اعلم انك اذا قلت زيد منطلق كان كلامك مع من يعلم ان انطلاقا كان لا من زيد ولا من عمرو فانت تفيده ذلك ابتداء واذا قلت زيد المنطلق كان كلامك مع من يعرف ان انطلاقا كان اما من زيد واما من عمرو فانت تعلمه انه كان من زيد دون عمرو وانك انما اثبت في الاول الذي هو قولك زيد منطلق فعلا لم يسمع من اسمه انه كان وبنيت في الثاني الذي هو قولك زيد المنطلق فعلا قد علم السامع انه كان ولكنه لم يعلم لزيد فافدته ذلك وقد وافق الاول في المعنى الذي له كان الخبر جزءا وهو اثبات المعنى للشيء وليس يقدح في ذلك انك كنت قد علمت ان انطلاقا كان من احد الرجلين لانك انما تنفي ان يكون الفعل قطع عليه بانه كان من زيد

دون عمرو كان حالك في الحاجة الى ان تبتدئ زيدا كحالك اذا لم تعلم انه كان من اصله
وتمام التحصيل وهذا الكلام يكون معك اذا كنت قد علمت انه كان لمن انسان انطلاق
من موضع كذا الى وقت كذا لغرض كذا فتحوزت ان يكون ذلك كان من زيد فاذا قيل
لك زيد هو المنطلق صار الذي كان معلوما على جهة الوجوب ثم انهم اذا اراد وا
تاكيد هذا الوجوب او جلوا الضمير المسمى فصلا بين الخبرين فقالوا زيد هو المنطلق
وهي الفرق بين المسائل وهو مما تمس الحاجة الى معرفته اذا تكررت الخبر جاز
ان تاتي بعده ايان على ان تشركه بحرف العطف في المعنى الذي اخبرت به عن الاول
واذا عرفت هذا لم تحتج لذكك تفسير هذا اذا تقول زيد منطلق وعمرو منطلق وزيد وعمرو
منطلق ايضا ولا تقول زيد المنطلق وعمرو ذاك لان المعنى مع التعريف على
انك اردت ان تثبت انطلاقا مخصوصا قد كان من واحد فاذا اضفته لزم ان يصح
اتيانه لعمرو ثم ان كان قد كان منه ذلك الانطلاق من اثنين فانه ينبغي ان يجمع بينهما
في الخبر فتقول زيد وعمرو هما المنطلقان لان اثنين منه لعمرو ومن الواضح في
تمثيل هذا النحو فانما هو الفاعل بيت كذا كقولك جرير هو الفاعل ع .

« وليس لبيتي في العظام بقيه » . فاعلم اولا وثانيا ان تشرك في هذا الخبر فتقول
جرير هو الفاعل هذا البيت وهلان حاولت محالا لانه قول بعينه فلا يتصور
ان تشرك جريرا فيه غيرك واعلم انك تجد الالف واللام في الخبر يحلى معنى الجنس يشهد
ذلك قولك زيد هو الجواد وعمرو هو الشجاع تريد انه الكامل الا انك تخرج الكلام
في صورة تريد ان الجود والشجاعة لم توجد الا فيه وذلك لانك لم تعمد كما كنت
تخرج لتصورج عن ان يبلغ الكمال غيره كما اذا قلت في استماع العطف عليه الادراك
فلو قلت زيد هو الجواد وعمرو كان خلفا من القول والوجه الساقط ان تقصر
جنس المعنى الذي تعيده بالخبر على الخبر عنه لا على معنى المبالغة وترك الاعتداد
بوجوده في غير المخبر عنه بل على دعوى انه لا يوجد الا منه ولا يكون ذلك الا اذا
قدرت المعنى الذي تجنسه وتجعله في حكم نوع برأسه وذلك كتحوان تعيد بالحالة
والوقت كقولك هو الوفي حين لا تظن نفس بنفس خيرا وهكذا اذا كان الخبر بعد
بعد ذي ثم استرطت له سعيا لا تحصوسا كقولك الاحمى ع .

« هو الواهب المائة المصطفاة المباحا واما عشارا »

فانت جعل الوفاء في الوقت الذي لا يفي فيه احد بوفاء خاصا من الوفاء وكذلك
تجعل همه المائة من الابل وفاء خاصا وكذا الباقي ثم تجعل كل ذلك اخبارا على معنى
الاختصاص وانه المذكور دون من عداه الا ترى ان المعنى في بيت الاعشى انه
لا يهب هذه العدة الا المدوح وربما ظن الظان ان اللام في هو الواهب المائة المصطفاة
بمنزلتها في نحو زيد هو المنطلق من حيث كان القصد الى هيه بمخصوصه كما كان القصد
الى انطلاق مخصوص وليس الامر كذلك لان القصد هناك الى جنس من العدة مخصوص
لا الى عدة مخصوصة بعينها ادلك على ذلك ان المعنى على انه يتكرر منه وعلى ان يجعله
هب المائة مرة بعد اخرى واما المعنى في قولك زيد هو المنطلق فعلى القصد الى
انطلاق كان مرة واحدة لا الى جنس من الانطلاق فاذكر هناك عرى تصور كيف
وانت تقول جرير هو القائل وليس لبيتي في العظام بقيه يريد ان يثبت له قول هذا
البيت والبقية فاصل بين ان تقصد الى نوع فعل وبين ان تقصد الى فعل واحد
متعين حاله في المعاني حال زيد في الرجال في انه ذات بعينها والوجه الثالث ان لا
تقصد قصر المعنى في جنسه على المذكور لا الى كما كان في زيد هو الشجاع تريد ان لا تقصد
قصر المعنى عند شجاعة عمرو ولا كما ترى في قوله هو الواهب المائة المصطفاة ولكن
على وجه ثالث وهو الذي عليه قول الخنسا .

« اغر اجل ابكا على نبل » . وابيت بكاك للحسن الجميلا .

لم ترد ان ما عده ابكا عليه وليس بحسن ولا جميل ولم يقصد الحسن شيء يتصور
ان يقصر على ابكا كما قصر الاعشى همه المائة على الممدوح ولكن اردت ان تقرر
في جنس ما عده الحسن الظاهر الذي لا ينكره احد ولا يشك فيه شاك ومثله
قول حسان .

« وان سنام المجد من آل هاشم . بنو بنت مخزوم ووالدك العبد »

اراد ان جنس له العبودية ثم جعله ظاهرا لا مرية فيها ومعروفا بها ولو قال ووالدك
عبد لم يكن قد جعل حاله في العبودية بحالة ظاهرة متعارفة وعلى ذلك قول الآخر
« العبود اذا ما ابدت الحرب نابها . وفي سائر الدهر العبوث الواطيء »

واعلم ان لفظ المعرف بالالف واللام معنى غير ما ذكرت لك وامثلة لم وضع
واضعه كالخنس يكون الشامل عنده كما يقال تعرف وتنكر وذلك نحو الرجل
الحيوان وهو المسمى المرتجى وانت لا تقصد شيئا مما قلت فتصير ان معنى قد

علم المخاطب انه كان ولم يعلم ممن كان كما سبق في قولك زيد هو المنطلق ولا تريد ان تقصر معنى عليه على معنى انه لم يحصل تعريف على الكمال كما كان في قولك هو الشجاع ولا اردت بقولك ظاهر انه هذه الصفة كما كان في قوله ... والدك الصيد ولكنك تريد ان تقول لصاحبك هل سمعت بالنطل المحامي وهل حصلت معنى هذه الصفة وكيف معنى ان يكون الرجل حتى يستحق ان يقول ذلك له وفيه فان كنت قبلته علما وتصورته حق تصوره وعلمت صاحبك واشدد به يدك فهو صاحبك وعنده بغيتك وطريقك اليه في قولك هل سمعت بالاسد وهل تعرف سامعه فان كنت تعرفه فريد هو هو نعم وزيادة هذا المعنى ظهورا بان يكون الصفة التي تريد الاخبار بها عن المبتدا بحيث يعلم ويتحقق كقولك ان الرومي

«هو الرجل المشروك في جمال ماله» ولكنه بالمجد والجود مفرد

تصدير كأنه يقول للسامع ذكرني رجلا لا تميز عمائه وجبرانه وبعارفه عنه في ماله واحدا ما واسمه فاذا احصلت صورته في نفسك فاعلم انه ذلك الرجل وهذا من عجيب البيان ولم يمكن من الفخامة والنبل وهو من سحر البيان الذي يقصر اعيا عن بلوغه الجهد والمعول فيه على مراجعة النفس واستفتاء التامل فاذا اصلت انه لا يريد بقوله الرجل المشروك في جمال ماله ان يقول هو الذي بلغك حديثه وعرفت من حاله وقصته انه مشترك في جمال ماله على حد قولك هو الرجل الذي بلغك انه انفق كذا والذي وهب المائة من الابل ولا ان تقول انه على معنى هو الكامل في هذه الصفة حتى كان ههنا اقواما مشركون في جمال اموالهم الا انه في ذلك الكمال وانما لان ذلك لا يصور ولكان ترك الرجل في جمال ماله معنى لا تقع به مناسل كما ان بذل الرجل لا يملك كذلك ولو قيل الذي مشترك في ماله جازان يتفاوت واذا كان كذلك علمت انه معنى ليس الا ما اشرت اليه من انه تقول للمخاطب ضع في نفسك معنى قولك رجل مشروك في جمال ماله ثم تامل الا تاك تستمل هذه الصورة منه وتجده يؤديها لك بعضا وبانيك بها كلها وان اردت ان تتبع في هذا المعنى ما تسكن النفس اليه سكون الصادي الى برد الماء فاسمع قوله

«انا الرجل الذي قد علمت عاشق نفرتي» اذا لم تكامني بصروف زماني

واذا اردت العجب من ذلك فقوله

«اهيبي ابا الحسين يدا» ارجوا الثواب بها لديه غدا

«وكذاك عادات الكريم اذا» اولى بها احببت عليه بدا

«ان كان يحمد نفسه احد فثل وجهك ذلك الاحذا»

اصل هذا الكلام على معنى الوهم والتقدير وان يصور في خاطره شيء لم يره ولم يعلمه ثم يجريه مجرى ما عهد وعلم ولبس بي اعلمك على هذا الضرب الموهوم من الذي هاهنا كثيرا جدا اعلم انك تقدر شيئا في نفسك ثم تعبر عنه بالذي وسائل ذلك قوله

«احوك الذي ان ساءه ابلغ العلا» سرك وان غضبا لمجدك يغضب

وقوله الآخر

«احوك الذي ان ريبه قال انما» اريبت وان عاتبته لان جانبه

فهذا وشبهه يحملك على انك قدرت انسانا هذه صفته وهذا شأنه ثم اخذت تسامح في الوهم دون ان يكون قد عرف وتعلم هذه الصفة فاعلمه ان المعنى لا تسع الاخوة هو ذلك الذي عرفه حتى كانك قلت احوك زيد هو الذي لا يكون عرفت انك ان ساءته لعلمه بحبك وتكون هذه النفس معهودة من طريق الوهم والتخيل جرى على ما توصف بالاستحالة كقولك الرجل وقد تحقق هذا هو الذي لا يكون وهذا ما لا يدخل في الوجود وكقوله

«ما لا يكون فلا يكون بحيلة» ابدا وما هو كائن سيكون

ومن لطيف هذا الباب قوله

«واني لمشتاق الى ظل صاحب» يرق ويصفو ان كدرت عليه

وقد قدرت كما ترى سالم نفسه موجودا ولذلك قال المامون حمد مني اخلاقه واعطني هذا الصاحب فقد التعريف الذي تراه في الصاحب لا يعرض به شك انه موهوم واما قولنا المنطلق زيد والفرق بينه وبين ان تقول زيد المنطلق فالقول في ذلك انك وان كنت ترى في الظاهر امرا سواء من حيث كان الغرض في الحالين اثبات الانطلاق لزيد فليس الامر كذلك بل بين الكلامين فصل ظاهر وبيان انك اذا قلت زيد المنطلق فانت في حديث انطلاق قد كان وعرف السامع كونه الا انك لم تعلم امن زيد كان ام من عمرو فاذا قلت زيد المنطلق ازلت عنه الشك وجعلته يقطع بانه كان من زيد بعد ان كان جوز ذلك على سبيل الجواز وليس كذلك اذا قدمت المنطلق فقلت المنطلق زيد بل يكون المعنى حينئذ على انك رأيت انسانا ينطلق بالبعد منك فلم تثبت ولم تعلم ازيد هو ام عمرو فقال لك صاحبك المنطلق بالقرب زيد اي هذا الشخص الذي تراه من بعد هو زيد وقد ترى الرجل انما يبين

حسك وعليه ثوب ، ياح والرجل من عرفته قد قام بعد عهدك به فسأسبه
ويعاد ذلك اللائمي الدياح صاحبك الذي كان يكون عبدك في وقت كذا الساعة
لسبه مناسبة ولا يكون الغرض ان مثبت له لعل الدياح لاستحقاره ذلك من حيث ان
دونك الدياح عليه بفتحك عن اخبار تحبر واثبات مثبت نسبة له فتى رأيت
اسم فاعل او صفة من الصفات قد بدى به فجعل مبتدأ وجعل الذي هو صاحبك
الصفة في المعنى خبرا فاعلم ان الغرض هناك غير الغرض اذا كان اسم الفاعل او الصفة
خبرا كقولك زيد منطلق واعلم انه ربما اشتبهت الصورة في بعض المسائل من
هذا الباب حتى يلتبس ان الذي يتلو اذا وقعا مبتدأ وخبرا هل يخالف المعنى معناه
وما هو وما هو يوضح ذلك قولك الحويين في باب كان اذا اجتمع معرفتان كقولك الجاهل
في جعل ايهما اسما والاخر خبرا كقولك كان زيد اخاك وكان اخوك زيدا فتقول من
هذا ان كان اخوك الا من في التعريف بعضهم انه يخالف المعنى بان يبتدأ الذي
بذلك وحتى كان الترتيب الذي يدعي بين المبتدأ والخبر وما يوضع احدهما من المرتبة
في التقدم والتاخير مسقط ومرتفع اذا كان الخبر اك معارفين ومما يوضح ذلك
انك تقول الامير زيد وسيفك والخليفة عبد الملك يكون المعنى على اساءة
الامارة لزيد والخليفة لعبد الملك كما يكون اذا قلت زيد الامير وعبد الملك
الخليفة وتقوله في الاساءة وهو عاب على حصر الامارة ومعدن الخلافة
وهكذا اسوتهم في نحو قوله

ابوك حباب سارق الضيف برده ... وجدي باحجاج فارس كرزم

انه لا فصل بينه وبين ان يقال حباب ابوك وفارس كرزم جدي وهو موضع غامض
والفصل بينهما وجه الصواب ويدل على وجوب الفرق بين المسألتين انك اذا تأملت
الكلام وجدت مالا يحتمل التسوية وما احد الفرق فانما هو شبيه بالمثال الاول فجعه
هو الاهم الاكثر فان اردت ان تعرف ذلك فانظر الى ما قدمت لك من قولك الاسى
الدياح زيد وانت تستبرئ له الى رجل بين يديه ثم انظر الى قولك العرب ليس الطيب
الا المسك وقولك خير ... السمر خير من ركب المطايا
وقولك المتنبي ... الست اسر الاول بعد واوساد وا

واساءة ذلك مما لا يخفى ولا يعد وارد المعنى على ان تسلم لك مع ما قلت طرفي الجملة
وقل ليس المسك الا الطيب ، والسمر خير من ركب المطايا انا كم وانت اول الاول بعد وا

وساد وانك تعلم ان الامر على ما عرفتك من وجوب اختلاف المعنى بحسب التقدم
والتاخير وهيهنا نكته يجب القطع بها بوجوب هذا الفرق ايضا وهي ان المبتدأ غير
كون مسندا اليه منطوقا به اولا ولا كان الخبر خبرا لانه مذكور بعد المبتدأ لكان المبتدأ
مسندا اليه ومثبتا له المعنى والخبر خبرا لانه مسند ومثبت به المعنى
تعبيرة ذلك انك اذا قلت زيد منطلق فقد اثبت الانطلاق لزيد واسندته اليه وزيد
مثبت له ومسند به واما مفهوم المبتدأ على الخبر فقط فحكم واجب من هذه الجهة
فيه وهو ان كان المبتدأ هو الذي ثبت له المعنى ومسند اليه والخبر هو الذي
ثبت به المعنى ومسند ولو كان المبتدأ مبتدأ لانه في اللفظ متقدم ومسند به لكان
ينبغي ان يخرج عن كونه مسندا بان يقال منطلق زيد وواجب ان يكون قولهم ان
الخبر متقدم في اللفظ والنية به التاخير محالا واذا كان ، ذلك كذلك لم يحسن عرض
لجعلهما مسندا وخبرا وقد وجب وجوبا ان يكون مثبتا بالمعنى معنى الاول
فاذا قلت زيد اخوك كنت قد اثبت باخوك معنى لزيد واذا قلت منذ واخوف
فقلت اخوك زيد وجب ان يكون مثبتا بزيد معنى لاخوك والا كان نسبتك له
الان مسندا واذا كان خبرا لتعبير الامر عليه من غير معنى ولاذي بال ان لا يكون قولهم
المسند اول الخبر مفيدة غير ان معدم اسم في اللفظ على اسم ، ن غير ان يتغير كل واحد
منهما حكم لا يكون نصا عليه وذلك مما لا شك في سقوطه ومما يدل على بطلان هذا الوهم
على اختلاف المعنى اذا احسنت معرفتين ثم جعلت هذه ... ذا كل خبرا ثانيا وبارة
بالعكس قولهم الحبيب انت وانت الحبيب وذلك ان معنى الحبيب انت انه لا فصل بينك
وبين من يحبه اذا صدق الحب وان مثل المحبين مثل نفس بثنيها خصان كما
جاء في بعض الخبر كانه قال الحبيب انت الذي انه عرفت قدره كما ترى معنى لطيف
وكنه شريف ولو حاولت ان تعبر عنها بقولك انت احبيب حاولت ما لا يتهيج لان
الذي يحصل من قولك انت الحبيب هو ما عناه المتنبي في قوله

انت الحبيب ولكني احاذره ... وان يكون محبا غير محبوب

ولا تحسبن بعد ما بين الغرضين والمعنى في قولك انت الحبيب انك انت الذي اخلصه
بالمحبة من بين الناس واذا كان ذلك كذلك عرفت ان الغرض واجب ابدا واياه
لا يجوز ان يكون اخوك زيد وزيد اخوك لمعنى واحد وهاهنا شيء يجب النظر فيه
وهو ان قولك انت الحبيب كقولنا ات الشجاع تريد انه الذي تمثلت به الشجاعة

اركموا زيد المنطلق زيد انه الذي كان منه الانطلاق الذي سمع المخاطب به
واذا نظرنا وجدناه لا يحمل ان يكون كقولنا انت الشجاع لانه يقتضي ان يكون
المعنى انه لا شبيه في الدنيا الا انت هو به حبيب كان المعنى في هو الشجاع انه لا شبيه
في الدنيا الا انت لجنسه عنده وما هو شجاع به وذلك محال واسوا حظ وهو ان الخبيث
يعمل بمعنى معمول فالخبيث اذا لست شيء بالحقيقة وانما هي صفة لخبر وقد
لابسته وعلقت به تعلق الفعل بالمفعول والصفة اذا وصفت بالكذب وصفت
به محالا ان يرجع ذلك الكذب الى من هي صفة له دون من يلابسه ملابسة المفعول
واذا كان كذلك بعد ان يقول استند الخبيث على معنى انت الكامل في كونك خبيثا
كان بعيدا ان يقال هو المضروب على معنى انه الكامل في كونه مضروبا وان جاز
من ذلك ما على تعسف وتاويل لا يتصورها هنا وذلك ان يقال زيد هو
المظلوم على معنى انه لم يصب احد اظلم منه في الشدة والساعة الظلم الذي
لحقه فصار كل ظلم سواه عدلا في جنبه ولا يخفى هذا التاويل في انت الخبيث لانا نعلم
انه لا يريد ان نقصد الكلام ان يقولوا ان احدا لم يحب احدا يضيفك وان ذلك
قد ابطل المحبات كلها حتى ضرب الذي لا تعقل المحبة معنى الا هيه واما الذي يريد
ان المحبة متى عدلها مقصوره عليك وانه ليس لاحد غيرك حظ في محبته مني واذا
كان كذلك بان انه لا يكون نسبة انت الشجاع زيد الذي يتكامل الوصف فيه الا
انه يبقى من بعد ان نعلم ان بين انت الحبيب وبين زيد المنطلق فرقا وهو ان
لك في المحبة التي انتها طرفا من الجنسية من حيث كان المعنى ان المحبة متى
عدلها مقصورة عليك ولم تعد الى محبته واحدة من محبائك الا ترى انك قد
اعطيت بقولك انت الحبيب انك لا تحب غيرك وان لا محبة لاحد سواه عندك
ولا تصور هذا في زيد المنطلق لانه لا وجه هناك للجنسية اذ ليس ثم الا انطلاق
واحد قد عرف المخاطب انه كان واحتاج ان يعين له الذي كان منه وتعريفه عليه
فان قلت زيد المنطلق في جاءني زيد الذي من شانه ان يسعى فجاءني ذلك
عرض فيه معنى الجنسية حتى يعد على احدها في انت الحبيب وهاهنا اصل يجب
ان يجعله وهو ان من شان انما الاحاسن كلها اذا وصفت فان خروج بالصفة
تصير الرجل الذي هو جنس واحد اذا وصفت فقلت رجل ظريف ورجل طويل
ورجل قصير ورجل شاعر ورجل كاتب انواعا مختلفة تعد كل نوع شاملا لما

ومناسب في امر الرجل كل صفة تعرفها اليه جنسيه وهكذا القول في المصادر وتقول
العلم والجهل والضرب والقتل والسير والقيام والقعود تعد كل واحد من هذه المعاني
جنسا كالرجل والفرس والحمار فاذا وصفت فقلت علم كذا وعلم اذا كوناك علم نبيه
وعلم مكتسب وعلم جلي وعلم خفي وضرب شديد وضرب خفيف وسير سريع وسير
بطيء وما شاكل ذلك انقسم الجنس بنيها اقساما ومسايرا نواعا وكان ملحقا مثل الشيء
المجموع المؤلف تقدره قرنا وشعبه سحما وهذا مذهب بعيد هذا هو
اصل متعارف في كل جيل وامة ثم ان عربنا اصلا هو كالمتفرع عن هذا الاصل او
كان كالنظير له وهو ان من شان المصدر ان يفرق بالصلة كما تفرق الصفات
ومعنى هذا الكلام اوك تقول الضرب ضربا حسنا واحدا اذا اردت الضرب بالسيف
سار بعد ذلك له الى السيف نوعا مخصوصا الا ترى تقول الضرب بالسوط غير
الضرب بالعصا تريد انهما نوعان مختلفان وان اجتماعهما في اسم الضرب لا يوجب
اتفاقهما لان الصلة قد فصلت جنسا منهما وفرقتهما ومن امثلة الدين وفي ذلك قول المسيبي

«وهو هو الطعن الوغا والطعن في الهيجا غير الطعن في المدان»

فلولا ان اختلاف صلة المصدر تقتضي اختلافه في نفسه وان حدث به انقسام
ونوع لما كان لهذا الكلام معنى ولكان في الاستحالة كقولك والله من غير الطعن
فقد بان اذا انه انما كان كل واحد من الطعنين جنسا براسه غير الاخر وان كان
هذا في الصحة وذاك في المية وهكذا الحكم في كل ما عدى الذي المصدر وتعلق
فاختلاف معمول المصدر يقتضي اختلافه وان يكون المتعدي الى هذا المفعول
غير المتعدي الى ذاك وعلى ذا كل بعول ليس اعطاوك الكثير كاعطائك القليل هكذا
اذا عدته الى الحال تقول ليس اعطاوك معسرا كاعطائك موسرا وليس ذلك وزن
مثقال كذا ك وانت تكثر واذا قد عرفت هذا امر حكم المصدر فاعتبره حكم
الاسم المشتق منه واذا اعتبرت ذلك علمت ان قولك هو الوفي حين لا يفي احد
وهو اوجب المايه المسطفاء وقوله

«وهو اضارب الكتيبه والخصه تعلوا والضرب اعلى واعلى»

واشباه ذلك كلها اخبار ومعنى الجنسيه وانها في نوعها الخاص بمنزلة الجنس المطلق
اذا اصلته خبرا فقلت انت الشجاع فكانك لا تقصد تقول انت الشجاع الى جماعة
بعينها قد كانت وعرفت من امثالك واردت ان تعرف ممن كانت بل تريد ان تقصر

حتى الشجاعة عليه ولا تجعل لاحد عندك منه حظا كد لك لا تقصد بقولك انت الوفي
حين لا بغي احد الى وفا واحد كيف وانت تقول حين لا بغي احد وهكذا المحال ان
يقصد في قولك هو الواهب المائة المسطاة الى جهة واحدة لانه يقتضي ان يقصد
الى مائة من الابل قد وهبها سرع ثم لم يعد فيها ومعلوم انه خلاف الغرض لان
المعنى انه الذي من شانه ان يهب المائة ابدا والذي يقع عطاؤه هذا الموقع لا
يقول هو الذي يعطي بادحة الاف والالفين وكقوله

« وحاتم الطائي وهاب المئين »

وذلك اوضح من ان يحتاج الى ان يحمى . واصل
الحمو وهو ان حقنا ان تعلم ان مذهب الجمهور في الاسم وهو خبر يصير مبتدا
وهو مستند الى مضمر هنا اما اذا قدرنا ان اللام في قولك انت الشجاع للجنس كما تقوله
في قولك الشجاع موفى والجبان ملفى فان الغرض بهما عظيم وذلك ان المعنى في قولك
الشجاع موفى انك تثبت الوفاء لكل ذات من صفتها الشجاعة فيوفي بعض قولك
الشجعان كلهم موفون ولست اقول ان الشجاع كالشجعان على الاطلاق وان كان لك
ظن كثير من الناس ولكني اريد انك تجعل الوفاء مستغرق الجنس في صفة وتجمع
فيه واما في قولك انت الشجاع فلا تحتمي فيه للاستغراق اذ لست تريد ان تقول
انت الشجعان كلهم حتى كانك تذهب به مذهب قولهم انت الخلق كلهم وانت العالم
كما قال « ان مجدا العالم في واحد » ولكن لجدت الجنسية هنا ما اخذ
ذلك وهو انك تعمد بها الى المصدر المشتق منه الصفة وتوجهها اليه لا الى نفس
الصفة ثم ذلك في توجيهها اليه مسلك دقيق وذلك انه ليس المستدان ما في تجاعا
كثير تجمعها له وتوجد هاتين ولا ان تقول ان الشجاعات التي يوصم وجودها
في الموصوفين بالشجاعة هي موجوده فيه لانهم هذا محال بل المعنى على انك تعمد
كما قد عقلنا الشجاعة وعرفناها حقيقتها ومباديها وكيف ينبغي ان يكون الانسان
في اقدامه وبطشه حتى يعلم انه شجاع على الكمال واستقرينا الناس فلم نجد في
جميعهم شجاعة ما عرفناه حتى اذا صرنا الى مخاطب وجدناه قد استكمل هذه الصفة
واستحكم مراسها فاختلس جوهرها وريح فيه سخنها وبين لك ان المراد لك
اتفاق الجميع على تصويرهم له بمعنى الكامل ولو كان المعنى على انه استغرق الشجاعة
التي يوصم كونها في الموصوفين بالشجاعة لما قال الا انه بمعنى الكامل في الشجاعة لان
الكمال هو ان تكون الصفة على ما ينبغي ان تكون عليه وان لا تحالفها ما يقدح فيها

وليس الكمال ان تجمع آحاد الجنس وتضم بعضها الى بعض بل اذا عرضنا اذا عودنا اسم
الشجاع هو العرض تعوام وذلك هي الشجاعة على الحقيقة وما عدا اها حين وهكذا لكون
العلم وما عداه من محل وهذا الواشعر وما سواه فليس بشيء وذلك اظهر من ان يخفى
وضرب آخر من الاستدلال في ابطال ان يكون انت الشجاع بمعنى انك كانك
جميع الشجعان على حد انت الخلق كلهم وهو انك في قولك انت الخلق وانت الناس كلهم
وقد جمع العالم سكنى واحد يدعى انه جمع المعاني الشريفة المتفرقة في الناس من غير
ان تخل تلك المعاني وتغيرها عن الناس بل على ان تدعي انها انما لها الاترى انك اذا
قلت في الرجل انه معدود بالف رجل وليست تعني انه معدود بالف رجل لانعدم
ولا فضيلة لهم بوجه بل تريد انه يعطيك من معاني الشجاعة او العلم او كد او
محمود غاما لا تجده عند افراد معدا الالى الف رجل واما في نحو انت الشجاع فانك لا تريد
انه قد انفرد بجميع الشجاعة وانه تفرد فيها من بين جماعة وحاشية لم يوتها احد حتى يصح
الذي تعدح الناس شجاعة غير شجاعة وحتى كان كل اقدام اقدامهم وكل فرد عرفت في الجنس
سعد وعلوبك فالواحد حتى يحمل كل جواد وحتى يصح ان يسمى اسم الجواد كما قال

« وانك لاتجود على جواد ... فما نك ان تلقب بالجواد »

وكما يقال حيا حتى كان لم يعرف لاحد جود وحتى كان قد كذب الواصفون الغيث
بالجود كما قال

« اعطيت حتى تركت الريح حاسرة ... وجدت حتى كان الغيث لم يجد »

فصل في الذي يحصل

اعلم ان لك في الذي عملا اكيدا واسرارا احرجه وحبابا اذا احتت عنها وتصورتها
اطلعتك على فوائد تونس النفس وتطرب الصدر وتعلي قدرك اليه من النفوس وتوجب لك
من حسن التبيين والوجه في ذلك ان تتامل عبارات لهم فيهم وضع ولاي عرض اجتلت
واشياء وصفوها بها فمن ذلك اي في الذي قولهم ان الذي اختلف تكون وصلة الى
وصف المعارف بالجمل كما اجتلبت « ولتبصر بعد الذي ابوه سنطيق » و « بالرجل الذي كان عزيزا امس
تحدك قد توصلت بالذي الى ان اتيت بزيد الذي هو امس عزيز بالجملة التي هي قولك ابوه سنطيق
ولولا الذي لم تصل الى ذلك كما انك لو قلت مررت برجل قد كان مال فتوصل بذي الى ان
تبين الرجل من عزيز بالمال ولولا ذي لم تبن لك ذلك اذ لا تستطيع ان تقول مررت برجل

« ولولا حسان الفعل ما آل عامر » الى جعفر بن بلعم لم يمزر »

وما ظاهره انه منه قوله

« اذا البيت ابنى من تسالمه » وحد به حاضرا له الجود والكرم »

فقوله حاضرا له الجود والكرم جملة من المبتدا او الخبر كما مر وليس فيها واو والوضع موضع حال الاراك تقول ابتنه موحد به جالسا فيكون جالسا حالا اذ لا تقول وحده جالسا على هذا اذ الكلام لا يكون المتعدية الى مفعولين ولكن المتعدية الى مفعول واحد كقولك وحدت الضالة الا انه ينبغي ان تعلم ان احد مجيء الخبر الذي هو حاضرا له بمعنى المعنى عن الواو انه لو قال وحده له الجود والكرم حاضرا لم يحسن حسنه الآن وكان السبب في حسنه مع التقديم انه يقرب في المعنى من قولك وحده له حاضر الجود والكرم او حاضرا عنده الجود والكرم وان كانت الجملة من فعل وفاعل او الفعل مضارع منفي بغير منفي لم تكد تجيء الواو فلن تراي الكلام على كثرتها عارية من الواو كقولك جاءني زيد يسعى غلامه بين يديه وكقولك

« وقد علوت قتود الرحل منعفرا » يوم قتلت همة الهوزان مسمورا »

وقوله

« ولقد اعتدي بدافع ركبي » احوذي ذو سعة اسريع »

وكذا قولك جاءني زيد يسرع لا فصل بين ان تكون الفعل الذي الحال وبين ان يكون لمن هو من سببه فان ذلك كله يستمر على المعنى من الواو وعليه التنزيل والكلام ومثاله في التنزيل ولا تمنن تستكثر وقوله وسحبها الاهلي الذي يوفي مآلبه تركي وكقوله عز اسمه وبذرهم في طغيانهم يعمهون فاما قول ابي همام السلولي

« فلما خشيت اظافيره » نجوت وارهنهم مالكا »

في رواية من روى ارهنهم وما شبهوه به من قولهم قمت واصك وجهه ولكن ارهن واصك حكاية حال مثل قوله

« ولقد امر على اللئيم يسبني » فمضيت ثمت قلت لا يعنيني »

الغرض من قوله ولقد امر على اللئيم يسبني فكان امر بهذا في معنى مررت فذلك تكون ارهن واصك في معنى رهنت وصككت وبين ذلك الكثير العالي وكذا الواو في مثل هذا وذلك كقولهم ما اتى في الخبر في حديث عبد الله بن عتيك حين خل على ابي رافع اليهودي بحصنه قال فانتهيت اليه فاذا انا في بيت مظلم لا ادري

ابن هو من البيت فعلت ابا رافع فقال من هذا فاهويت نحو الصوت فاضربه بالسيف وانا دهش فكان اضربه مضارع قد عطفه بالفاء على ماض لانه في المعنى ماض كذلك تكون ارهنهم معطوفا على الماضي قبله وكالاشك في ان المعنى في الخبر فاهويت فضربت كذلك يكون المعنى فانتهيت البيت فحوت ورهنت الآن الغرض في اخراجه على لفظ الحال ان يحكي الحال في احد الخبرين ويدع الآخر على ظاهره كما كان ذلك في الواو اذا رايتها تدخل على المضارع بعد الماضي في هذا البيت موخر معطوف وفي بيت بن همام وما كدنا نبعه مقدم عليه فاعرفه فان دخل حرف نفي على المضارع تغير الحكم فيها والواو وغيرها كثيرا وذلك مثل قولهم ركبت ولا اضربني الذيب وقوله مسكين الدارمي

« اكسبته الورق البيض ابا » ولقد كان ولا يدعى ابا »

وقال مالك بن رفيع وكان حبس ابنه فطلبه فشفع له الزبير

« يعاتبني في حبهم ابن اخيه » فان اجيد عنهم لا احيد »

« اقاد وامري مي وتوعدني » وكنت وما تنهى عن الوعد »

كان في هذا كله ناسه والجملة الداخل عليها الواو في موضع الحال الا ترى ان المعنى وقد عصيتني للذب ولقد وجدت غير مذعور ولا ذب وجدت غير منتهر ما توعد وغير مسال به ولا معنى لجعلها ناصبه وجعل الواو مزيده وليس تجيء الفعل المضارع حالا على هذا الوجه اعني في الكلام الاراك تقول جئت اسعى ولا ادري ان اسعى زيد وجعل يقول ولا يدري وقال ابو الاسود

« نعلمه ما يدري وهو عالم كل »

فاما مجيء المضارع منفيا حالا من غير الواو فبكثرة وحسن ذلك قوله

« معنى لا يريدون الرواح وعالم » من الدهر انسان جرين على مدر »

وقال ارطاة بن سهيه وهو لطيف جدا

« ان تلقني لا تري عيري ناظره » نصل السلاح وتعرف جبهة الاسد »

فقوله لا تري في موضع حال وسئل في الخطب والحسن قول الاعشى همدان وحسب عباءة بن ورقا الى اصبهان فلما عده، فقال

« انشا اصبهان لغيرنا » وكان فعل ذاك في غيرنا »

« وكان سفاهة مني جهلا » مسيري لا اسير الى حميم »

قوله لا اسير الى حميم حال من ضمير المتكلم الذي هو التاء في مسيري وهو داخل في المعنى فكانه قال وكان سفاهة مني وجهلا ان سرت غير سائر الى حميم ولن ذهبت غير سائر الى

الى عمرو وقال خالد بن يزيد بن معاوية

« لولا فوتنا الاوقاع بنيلة ، ما ظلوا النهار وحلزها لا اعجب »

وهو كثير الا انه لا يعتد بمثل وضعه بالموضع المرضي الامر كان صحيح الطبع ومراعي بالواو وغيرها الواو الماضي وهو لا يقع حالا الا مع قد مظهرة او مقدرة اما مجردها بالواو فالكثير الشايع كقولك اتاني وقد جهده السير واما بغير الواو فكقوله

« متى اذن الصبح قد لاحت محاجله ، والليل قد مرقت عنه المرابيل »

وقوله الاخر « فاتوا المراح مكسرات ، واتانا السيوف قد انحنينا »

وقال اخر وهو لطيف

« ممسون قد كسروا الجفون الى الوغى متبسمين وهم اشد استبسالا »

ومما يجيء الواو في الاكثر الاشيع ثم تاتي في مواضع بغير الواو مما لطف مكانه ودل على البلاغة الجملة وقد ذكرها الشيخ كقولك اتاني وليس عليه ثوب وراينه وليس عليه ثوب فتخرج هذا هو المعروف المستعمل وقد جاء بغير الواو وكان من الحسن بحيث ساغ وهو قليل الاعراف « اتاهم بياتا هم قائلون »

« اذا جرى في كفه الرمحا ، حكى الغلب لبسي فيه شطا »

ومما ينبغي ان تراعي في هذا الباب انك ترى الجملة قد جاءت حالا بغير واو فتحسن ثم تنظر فترى ذلك انما حسن من اجل حرف دخل عليها مثاله قول العزرمي

« فقلت عسى ان ابصرني كانما ، بي حولي الاسود الحوارد »

قوله كانما يجيء الى اخره في موضع الحال من غير شبهة ولو انك تركت كان فقلت عسى ان ابصرني بي حولي الاسود رابئه لاحسن حسنه الان وراينت الكلام يقتضي الواو كقولك عسى ان ابصرني وبي حولي كالاسود الحوارد وشبيه لهذا انك ترى الجملة قد جاءت حالا لا تعقب مغزه فلطف مكانها وانك اردت ان تجعلها حالا امر تحرات تقدير الواو ذلك المغزى لم تحسن مثال ذلك قوله اني الرومي

« والله يعفيك لنا شابا ، يرد اكف تبجيل وتعظيم »

فقوله يرد اكف تبجيل في موضع حال ثانية ولو انك اسقطت شابا من البين فقلت والله يعفيك يرد اكف تبجيل وتعظيم لم يكن شيا واذ قد رايت الجمل الواقعة حالا قد اختلفت بها الحال هذا الاختلاف الظاهر فلابد من ان يكون ذلك انما كان من اجل علل توجبه واسباب تقتضيه فحال ان يكون ها هنا جملة لا تصلح الا مع الواو

واخرى لا تصلح بها الواو وبالجملة يصلح ان تجيء فيها بالواو وان تدعها فلا يجيء بها ما لم يكن لذلك سبب وعلة وفي الوقوف على العلة في ذلك اشكال وغموض ذاك لان الطريق اليه غير سلوك والحجة التي منها تعرف غير مكشوفة وانا اكتب لك اصلا في الجواب الصحيح لك وجه العلة في ذلك اعلم ان الخبر ينقسم الى خبر هو جزء من الجملة لا تتم الفايدة دونه وخبر ليس بجزء من الجملة ولكنه زيادة في خبر اخر سواء فالاول نحو المبتدا كمنطلق في قولك زيد منطلق والفعل كقولك خرج زيد فكل واحد من هذين جزء من الجملة وهو الاصل في الفايدة والثاني هو الحال كقولك جاءني زيد راكبا وذلك لان الحال خبر في الحقيقة من حيث انك اثبت بها المعنى الذي الحال كائنة عن المبتدا او بالفعل للفاعل الا ترى انك قد اثبت الركوب في قولك جاءني زيد راكبا لزيد الا ان الفرق انك اثبت به اتيا زيد معنى في اخبارك عنه بالمجيء وهو ان جعلته لغيره لم يجز ولم يجز ايضا انك اثبت الركوب ولم تباشره به ابتدا بل بدات فاثبت المجيء وشغلت به القلب فاتبعت به الاثبات على سبيل التبع لغيرك وبشرط ان يكون في جملته ما يصلح للخبر المطلق نحو زيد منطلق وخرج عمرو فانك اثبت المعنى ايضا بما عدته وجعلته يباشره من غير واسطة ومن غير ان تسبب بغيره اليه وقد عرفت هذا فاعلم ان كل جملة جاءت حالا لم تسمع من الواو وذاك لانك جعلت الى الفعل الواقع في صدرها ضميره الى الفعل الاول في اثبات واحد وكل جملة جاءت حالا لم تقتض الواو وذاك لانك لست تاتي بها مخبرا وغير قاصد ان تضم الى الفعل الاول في الاثبات تقييد ذلك انك اذا قلت جاءني زيد يسرع كان بمنزلة قولك جاءني مسرعا في انك اثبت مجيئا فيه اسراع وتصل احد المعنيين بالاخر وتجعل الكلام خبرا واحدا وتريد ان تقول جاءني كذلك وجاءني هذه وهكذا قوله

« وقد علوت قتود الرحل يسفعني ، يوم قد يرجمة الجوزا مسموم »

كانه قال وقد علوت قتود الرحل بارزا للشمس صاحيا وكذلك قولهم جاءني اركب الصبح باديا بالاتيا بهذا متجليا وعلى هذا القياس اعد فاذا قلت جاءني وعلامته تسعى بين يديه ورايت زيدا وسيفه على كتفه كان المعنى على انك بدات فاثبت المجيء والرؤية لم استانفت خبرا وابتدات اثباتا ثانيا لسعي الغلام بين يديه وكونه على كتفه ولما كان المعنى على استيناف الاثبات احتيج الى ما يربط الجملة الثانية بالاولى يعني بالواو كما جيء بها في قولك زيد منطلق وعمرو ذاهب والعلم حسن والجهل قبيح وسنا

لها واو حال لا تخرجها عن ان تكون مجتلبة بضم جملة الى جملة ونظيرها في هذا الفاء في جواب الشرط نحو ان تاتني فانت مكرم فانها اذا لم تكن عاطفة فان ذلك لا تخرجها من ان تكون بمنزلة العاطفة في انها جاءت لتربط جملة ليس من شانها ان ترتبط بنفسها فاعرف ذلك وتنزل الجملة في نحو جاءني زيد وسرج وقد علوت فيها والحال يستغني عن الواو ويستغني عن الفاء الآن من شانه ان يرتبط بالشرط من غير رابط وهو ان تعطي اشتراك وتنزل الجملة في جاءني زيد وهو راكب منزلة الخبر الذي ليس من شانه ان يرتبط بنفسه ويحتاج الى الفاء كالجملة في نحو ان تاتني فانت مكرم فاسوا وموازنة صحيحة فان قلت قد علمنا ان علة دخول الواو على الجملة ان تستانف الاثبات ولا تصل المعنى الثاني بالاول في اثبات واحد ولا تنزل الجملة منزلة المفرد ولكن بقي ان نعلم لم كان بعض الجمل يأبى ان يكون تقديرها تقدير المفرد في ان لا تستانف بها الاثبات اول من بعض وما الذي منع في نحو جاءني زيد وهو سرج او وهو سرج ان يدخل الاسراج في صلة المجيء ويضامه في الاثبات كما كان ذلك حين قلت جاءني زيد يسرج فالجواب ان السبب في ذلك ان المعنى في نحو جاءني زيد وهو يسرج على استيناف اثبات للسرعة ولم يكن ذلك في جاءني زيد يسرج وذلك انك اذا اعدت ذكر زيد فجئت بضمير المبتدأ الموضوع كان منزلة ان تعيد اسم رجل فتقول جاءني زيد وزيد يسرج في انك لا تجد سبيلا الى ان يدخل يسرج في صلة المجيء وتضمه اليه في الاثبات وذلك ان اعادتك ذكر زيد لا يكون حتى يقصد استيناف الخبر عنه بانه يسرج وحتى يتبدى لك اثباتا للسرعة لانك انما تفعل ذلك متى كان المبتدأ الذي هو ضمير زيد واسمه الظاهر فيستبعده وتجعله لغوا في البين وجرى ايهو في جاءني زيد وعمرو يسرج امامه ثم توهم انك لم تستانف كلاما ولم تبتدئ للسرعة اثباتا وان حال يسرج ههنا حاله اذا قلت جاءني زيد يسرج فجعلت السرعة له ولم تذكر عمرا وذلك محال فان قلت انما استحال في نحو جاءني زيد وعمرو يسرج امامه ان عمرا يسرج الى زيد وتجعله بمنزلة نحو جاءني زيد يسرج من حيث كان في يسرج ضمير لزيد وتضمه ضمير عمرو تمنع ان يكون لزيد وان تؤدي حالا له وليس كذلك جاءني زيد وهو يسرج لان السرعة هناك لزيد لا محالة فكيف سأغ ان يقصد احد المستأنفين الى الاخر قيل ليس المانع ان يكون يسرج في نحو جاءني زيد وعمرو يسرج امامه حالا من زيد انه فعل لعمرو فانك لو اجعلت عمرا مرتفعة بيسرج والوليت يسرج زيدا فعلت جاءني زيد يسرج عمرو امامه وجدته قد سلح حالا لزيد مع انه فعل لعمرو واما المانع ما هو فانك من ان تدع عمرا مستبعده وهي به مستبد انم لا تعطيه خبرا وتماله على فساد ذلك انك تؤدي الى ان يكون يسرج قد اجتمع في موضعه النصب والرفع وذلك ان جعله حالا من زيد يقتضي ان يكون في موضع نصب وجعله خبرا عن عمر المرفوع بالابتداء يقتضي ان يكون في موضع رفع وقد تكلمنا في هذا النوع واذكرت عمرا فقلت جاءني زيد يسرج عمرو امامه لانك حينئذ ترفعه بيسرج على انه فاعل له واذا ارتفع به لم توجب في موضعه اعرابا فبقي مرتفعا لانك لم تقدر فيه النصب على انه حال من زيد وجرى مجرى ان تقول جاءني زيد مسرجا عمرو امامه فان قلت فقد بقي علي هذا الاصل الذي جعلته من مبتدأ وخبر حالا الا ترى الواو وقد ذكرت قبل ان ذلك قد جاءني مواضع من كلامهم والجواب ان القياس والاصل ان لا يجيء من مبتدأ وخبر حالا الا مع الواو واما الذي جاء من ذلك فسبيله سبيل الشيء يخرج عن اصله وقياسه والطاهر فيه ويضرب من التأول ونوع من التشبيه فتقول ضربي زيدا قائما وظننتني عمرا منطلقا وكذلك تقول ضربي زيدا وهو قائم وظننتني عمرا وهو منطلق فتجيء بالواو وان لم يكن في الكلام ضمير يعود منه الى المبتدأ ولان المعنى رجع فاعلمه في طريقه الذي جاء فيه واما قوله وحديثه حاضر الجود والكرم فلان تقدم الخبر الذي هو حاضر اراه بجعله كانه قال وحديثه حاضر عنده الجود والكرم وليس الحمل على المعنى وتنزيل التي منزلة غيرها تعرفه في كلامهم وقد قالوا زيد اضربه فاجازوا ان يكون مثال الامر في موضع الخبر لان المعنى على النصب كواضرب زيدا وموضع الجملة من المبتدأ والخبر موضع الفعل والفاعل في نحو قوله تعالى ادعوهم يوم ام انهم صامتون لان الاصل في الاخبار ان يكون الثانية كالاولى نحو ادعوهم يوم ام صمتهم ويدل على ان ليس محل الجملة من المبتدأ والخبر حال الا تصير الواو اصلا فيه وانه لا يجيء الا في التي بعد التي هذا او نحو ان يكون مبتدأ من ذلك انما جاء على اراده الواو كما جاء الذي على اراده وقد وضعنا ان الوجه فيما كان مثل قولك بتار مخرجت مع الذي على سواد ان الوجه فيه نصب اول الحسن فترفع سواد بالظرف دون الابتداء وتحرك الطرف هنا بالجر لاضافة الجملة صفة على النكرة نحو مررت برجل معه صقر صائد به غدا وذلك ان صاحب الكتاب رأى ان الحسن في هذا الموضع ترفع صقرا في معه من معنى

العمل ذلك يجوز ان يجري الحال مجرى الصفة ويرفع الظاهر بالظرف اذا وقعا حالا فيكون ارتفاع سواد هنا على ما مضى من معنى الفعل لا لانه اسم يشبه ان يعتمد وانما خصوصا ان الظرف في تقدير اسم فاعل لا فعل اعني ان يكون المعنى حرجت كائنا على سواد وبانيا على سواد ولا يجوز حرجت يكون على سواد او يبقى على سواد اللهم الا ان يقدر فيه فعلا ماضيا مع قد كقولك خرجت مع الساري وقد بقي على سواد الليل الا ان يقدر فيه فعلا والاول اظهر واذا تأملت الكلام وجدت الظرف وقد وقع مواقع لا تسعهم فيها الا ان يقدر تقديره اسم فاعل ولذلك قال ابو بكر في هو لزيد في الدار انك تحتاج ان تقدر فيه فعلا اذ هو لا يستقر في الدار وبين ان تقدر انسر واقعا على مفعول مستقر في الدار واذا عاد الامر الى هذا كان الحال في ترك الواو ظاهرة وكان سواد في قوله خرجت على سواد نظيره فيما انشد في قوله

• ساعسل حتى العار بالسيف حائلا • على فتصا الله ساكان حائلا •

في كونه اسما ظاهرا وقد ارتفع باسم فاعل يقتضي ان يعتمد على ذي حال معنى عمل الفعل وقد ذكرت لك ان الذي قدرته فيه ما ذكرت وانه من اجل ذلك حسن ان تقول جاءني زيد والسيف على كتفه وخرج والتاج عليه محمود لانه يحسن الا بالواو وتعلم انك لو قلت خرج زيد السيف على كتفه وخرج التاج عليه كان كلاما نافرا لانك تقطع في الاسم الذي هو ذلك لانه خبر له تولك جاءني وهو سيفه سيفه وخرج وهو يبتغي التاج في ان المعنى على انك اسندت كلامك واسندت اليها ما والك لم تزد جاءني كذلك ولكن جاءني وهو كذلك فاعرفه ه

القول في الفصل والوصل ه

اعلم ان العلم مما ينبغي ان يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض او ترك العطف بينها والمجيء بها مستورة بعضها من بعض واحدة بعد اخرى من اسرار البلاغة ومما لا يتأتى لاتمام الصواب فيه الا الاعراب الخلص والاقوام طبعوا على البلاغة واوتوا قياسا من المعرفة في فنون الكلام بهم بها افراد وقد بلغ من قوة الامر في ذلك انهم جعلوه حدا للبلاغة فقد حاكى بعضهم انه سئل عنها فقال معرفة الفصل من الوصل ذاك لعمري وقد سلكه وانه لاجمل لاحرار الفضل منه احد لاكمل لسائر معاني البلاغة واعلم ان سبيلنا ان ننظر الى فائدة العطف في المفرد ثم نعود الى الجملة فننظر فيها ونعرض حيث اراده يعلوم ان فائدة العطف في المفرد ان تشرك الثاني في اعراب

الاول وانما اشركه في اعرابه فقد اشركه في حكم ذلك الاعراب نحو ان المعطوف على المرفوع بانه فاعل مثله والمعطوف على المنصوب بانه مفعول به او نحو انه ترك له في ذلك واذا كان هذا اصله في المفرد فان الجمل المعطوف بعضها على بعض على ضربين احدهما ان يكون المعطوف عليها موضع من الاعراب واذا كانت اذ كان حكمها حكم المفرد اذ لا تكون الجملة موضع من الاعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد واذا كانت الجملة الاولى واقعة موقع المفرد كان عطف الثانية عليها جاريا مجرى عطف المفرد على المفرد وكان وجه الحاجة الى الواو ظاهرا والاشراك بها في الحكم موجودا فاذا قلت مررت برجل خلقه حسن وخلقه قبيح كنت قد اشركت الجملة الثانية في الحكم الاول وذلك الحكم كونها في موضع جر بانها صفة للنكرة وبظاهر ذلك يكفر والمرء فيه سهل والذي تشكل امره هو الضرب الثاني وذلك ان تعطف على الجملة الغير الموضع من الاعراب جملة اخرى كقولك زيد قائم وعمرو قاعد والعلم حسن والجهل قبيح لا سبيل لنا الى ان يدعي ان الواو اشركت الثانية في اعراب قد وجب للاولى بوجه من الوجوه فاذا كان كذلك ينبغي ان يعلم المطلوب من هذا العطف والغرض منه ولم يستو الحال بين ان تعطف وبين ان تدع العطف فتقول زيد قائم وعمرو قاعد بعد ان لا تكون هنا امر معقول تروم بالعاطف تشريك بين الاولى والثانية فيه واعلم انه انما عرض الاشكال في الواو دون غيرها من حروف العطف وذاك لان ذلك تعتمد مع الاشراك معاني مثل ان العاطف الترتيب من غير تراخ ثم توجبه مع تراخ واو ترده الفعل عن شيء وتجعله لاحد هما لا بعينه فاذا عطفت بواحد منها الجملة على الجملة ظهرت الفائدة فاذا قلت اعطاني فشكرته ظهر ان الشكر كان بسببها على العطاء وبسببه واذا قلت خرجت فخرج زيد اقتضت ثم ان خروجه كان بعد خروجك وان بينهما وقتا واذا قلت بعطيك او يكسوك دلت او على انه يفعل واحدا منهما لا بعينه وليس للواو معنى سوى الاشراك في الحكم الذي يقتضيه الاعراب الذي يقع فيه الثاني الاول فاذا قلت جاءني زيد وعمرو لم تعد بالواو شيئا اكثر من اشراك عمرو في المجيء الذي اثبته لزيد ولجمع بينهما وجيئه ولا يصور اشراك بين شيئين حتى يكون هناك معنى يعم ذلك الاشراك فيه فاذا كان ذلك كذلك ولم يكن معنا في قولنا زيد قائم وعمرو قاعد معنى نزعم ان الواو اشركت بين هاتين الجملتين فيه بقي اشكال المسئلة ثم ان الذي توجبه النظر والتأمل ان نعالج في ذلك انا وان نقول زيد قائم وعمرو قاعد فانا لا نرى عرضا

حكما برجحان الواو حيث للجمع بين الجملتين فيه فانما يحكم اسرا اخر يحصل معه على وجه الجمع وذلك انا نحن نقول زيد قائم وعمرو قاعد حتى يكون عرو مسبب من زيد وذلك بكونا كالنظيرين والشريكين وحسب الا تعرف السامع حال الاول عساه ان تعرف حال الثاني وبذلك يحكم ذلك انك حسنت تعطف على الاول حسبما يبين منه سببا ما هو مما نذكره وسنصل حديثه محدثه لم يستقم ولو قلت خرجت اليوم فمن داري ثم قلت واحسن الذي يقول ذلك كذا قلت ما يضحك منه ومن هنا عاد الى تمام في قوله

« لا والذي هو عالم ان النوى » مستمر وان اما الخسيس كريم »

وذاك لانه لا مناسبة بين كوم ابي الخسيس ومرار النوى ولا تعلق لاحد هما بالاخر وليس يقتضي الحديث هذا الجديث بذاك واعلم انه كما يجب ان يكون المخبر عنه في احدى الجملتين سببا من المحدث عنه في الاخرى كذلك ينبغي ان يكون المخبر عنه الثاني مما يجري مجرى الشبيه والنظير او النقيض للخبر عن الاول فان قلت زيد طويل القامة وعمرو قاصر كان خلفا لانه لا مناسبة ولا تعلق بين طول القامة وبين القصر واما الواجب ان يقال زيد كاتب وعمرو شاعر او زيد طويل القامة وعمرو قصير وجملة الامر انها لا بد حتى يكون المعنى في هذه الجملة لغفا المعنى في الاخرى وشبيها له سئل ان زيدا وعمرا اذا كانا اخوين او نظيرين وسببي الاحوال على الجملة كان لكل حال تكون عليها احد هما من قيام او قعود او ما شاكل ذلك مضمومة في النفس الى الحال التي يكون عليها الاخر من غير شك وكذا السبيل ابدا والمعنى في ذلك كما لا يخفاك اما اذا قلت مثلا العلم حسن والجهل قبيح لان كون العلم حسنا مفهوم في المعقول الى كون الجهل قبيحا واعلم انه اذا كان المخبر عنه في الجملتين واحدا كقولنا هو يقول ويفعل وينصر وينفع ويحسن ويسيء ويامر وينهى ويحل ويعقد ويأخذ ويعطي ويمنع ويشتري ويأكل ويشرب واشباه ذلك اراد ان يعطي الجمع في الواو قوة وظهورا وكان الامر حينئذ صريحا وذلك انك اذا قلت هو يضر وينفع كنت قد افدت بالواو انك جئت له الفعلين جميعا وحصلته بفعلهما معا ولو قلت تضر ينفع من غير واو لم يعرف ذلك بل يحتمل ان يكون قولك ينفع رجوعا عن قولك يضر وانطلاقا له واذا وضع الفعلان في سلة هذا في الصلة زاد الامر تمكنا والاقتران حتى لا تتصور تعدد بل افراد في احدهما عن الاخر وذلك في مثل قولك العجب من اني احسنت واسأت وبكيك ما قلت

وسمعت وحسن ان تنهى عن شيء وتأتي مثله وذلك انه لا يستقيم على حامل ان المعنى على جعل الفعلين في حكم فعل واحد ومن البين في ذلك قوله

« لا تطمعوا ان تهينونا وتكرمكم » وان يكف الاذى عنكم ونوذ منا »

المعنى لا تطمعوا ان تروا اكرامنا قد وحد مع اهانتكم وجامعها في الحصول ومما له ساحة لطيف في هذا الباب قوله الى تمام »

« لعلان عيلا ان نقول ونفعلا » وندكر بعض الفضل منك ونفضلا »

واعلم انه كما كان في الاسما ما يصله معناه بالاسم قبله فيستغني بصلته لمعنى واصل يصله ورابط يربطه وذلك كالصفة التي يحتاج في اتصالها بالموصول الى ضمير يعود منها اليه وكالتأكيد الذي لا تشتهر كذلك الا بما يصله بالمؤكد كذلك يكون في الجمل ما يتصل من ذاتها بالتي قبلها ويستغني بربط معناها عن حرف عطف يربطها وهي كل جملة كانت مؤكدة للتي قبلها ومبينة لها وكانت اذا حصلت لم يكن شيء سواها كالتي تكون الصفة غير الموصوف والتأكيد غير المؤكد فاذا قلت جاءني زيد الظريف وجاءني القوم كلهم لم يكن الظريف وكلهم غير زيد وغير القوم ومثال ما هو من الجمل كذلك قوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه قوله لا ريب فيه بيان وتأكيد وتحقيق لقوله ذلك الكتاب وزيادة تبيين له ويجوز له ان يقول هو ذلك الكتاب فتعيد مرة ثانية ليس يتبين الخبر عن الخبر ولا يتبين بعزيز عنه احتاج الى ضمير يضمه وعاطف يعطفه ومثل ذلك قوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم قوله لا يؤمنون تأكيد لقوله سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم وقوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم تأكيد ثان ابلغ من الاول لان من كان حاله اذا انذر ولم تنذر اذا لم تنذر كان في غاية الجهل وكان مطبوعا مطبوعا على قلبه لا محالة وكذلك قوله عز وعلا ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله اما فصل يخادعون ولم يقل يخادعون لان هذه المخادعة ليست شيئا غير قولهم امنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين وقوله الكلام الذي هو كلام اخر هو في معناه وليس شيئا سواه وهكذا قوله عز وجل واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون وذلك لان معنى قولهم انا معكم انا مثلكم في ان محمدا صلى الله عليه وسلم ولم نترك اليهودية وقولهم انما نحن مستهزئون غير بعيد الذي يعنيه انه

لا ترى بين ان يقولوا انا لم نعلم بانتفاء من انا امنا الا استهزاء وبين ان يقولوا انا لم نخرج من دينكم وانما نحكم بل نحاكي حكم الذي الواحد فصاركانهم قالوا انا معكم انا لم نغار فكيف لا يكون انا لم نغار نكم سيا هو انا معكم كذلك لا يكون انا نحن مستهزئون جزء فاعرفه

ومن المواضع التي في هذا المعنى ع

قوله تعالى واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون فان الفصل من التشبيه نحن في اذنيه وفر هو بجميعه المفصول من التشبيه نحن لم نسمع الاذان السامع الجامع واكد في الذي اريد وذلك ان المعنى في التشبيه بين جميعا ان يلقى ان يكون للاداة ما يلي عليه من الاثبات مادة نعمه ويكون لها ما يرفيه وان يجعل حاله اذا دلت عليه كحاله اذا لم تدل ولا تشبيه في ان التشبيه نحن في اذنيه وفر الجامع واكد في جعله كذلك حيث كان من الصحيح منه السمع وان اراد ذلك بعيد من ان يكون للاداة ما تدل عليه فايدع من الذي يصح منه السمع الا انه لا يسمع اما انتفاقا واما قصدا الى ان لا يسمع فاعرفه واحسن تدبره ومن اللطيف في ذلك قوله تعالى ساهذا سرا ان هذا الا افكك كرم وذلك ان قوله ان هذا الا افكك كرم مستانف لقوله ساهذا سرا وهو اصل في ضمنه من ثلاثة اوجه وجهان منها هو مما شبيه بالتاكيد ووجه هو فيه شبيه بالصفة فاحد وجهي كونه شبيها بالتاكيد هو انه اذا كان مستانفا يكن سرا واذا كان كذلك كانت اثبات كونه مفكا تحقيقا لامحالة وتاكيدا لنفي ان يكون بسرا والوجه الثاني الذي في الحرف والعادة انه اذا فصل ساهذا بسرا وساهذا بادي والحال حال تعظيم ومحبب مما يشاهد في الانسان من حسن خلق او خلق ان يكون الغرض والمراد من الكلام ان تعالى انه مفك وان يكون به عن ذلك حتى انه يكون مفهوما من اللفظ واذا كان من اللفظ قبل ان يذكر كان ذكره اذا ذكر تاكيدا لامحالة لان حد التاكيد ان يحقق باللفظ معنى قد فهم من لفظ اخر وقد سبق منك اذ لا ترى انه اما كان كلام في قولك جاني القوم كلهم تاكيدا من حيث كان الذي فهم منه من الشمول قد فهم بدا من ظاهر لفظ القوم ولو انه لم يكن فهم الشمول من لفظ القوم ولا كان من موجبه لم يكن كل تاكيد او لكان الشمول مستفادا من كل ابتداء واما الوجه الثالث الذي هو فيه شبيه بالصفة فهو انه اذا نفى ان يكون بسرا فقد اثبت له جنسا سواه اذ من المحال ان يخرج من جنس البسر ثم لا يدخل في جنس اخر واذا كان الامر كذلك كان اثباته مفكا حينئذ تعيينا لذلك الجنس الذي اريد ادخاله فيه واغنا عن ان يحتاج الى ان يقال فمتوفى فان لم يكن

نسرا فما هو وما جنسه كما انك اذا قلت ليس زيد بالفارس كان النفي تعيينا وتعيينا الذي اردت من بين من له هذا الاسم وكنت قد اعتمدت المخاطب في الفائدة الى انه مقوله اي الذي اردت وما حاذيته الاثبات بان والا يطل هذا الذي قوله عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين وقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى الا ترى ان الاثبات والانس جميعا تاكيد لنفي ما نفى فاثبات ما علمه النبي صلى الله عليه وسلم واوحي اليه ذكرا وقرانا تاكيد ونحسن لنفي ان يكون قد علم الشعر وكذلك اثبات ما يتلوه عليهم وحي من الله تاكيد وتعذر لنفي ان ينطق به عن هواه واعلم انه ما من علم من علوم البلاغة انت تعود منه بمعنى عاص ودقيق صعب الا وعلى هذا الباب اخمس منه واخفى واد ق واصعب ودع السائل فيه بان يقولوا اذا راوا جملة وقد ترك فيها العطف ان الكلام قد استوفى وقطع عما قبله لا يطلب افهامهم سوى ما ورده على ذلك ولقد عملوا عقولا شديدة وما هو اشكل في هذا الباب انك قد ترى الجملة وحالها مع التي قبلها حال ما يعطف ويقرن الى مثله ثم تراها قد وجب بها ترك العطف لامر عرض فيها صارت به اجنبيه مما قبلها مثال ذلك قوله الله عز وجل الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون الظاهر كالذي يقتضي ان يعطف على ما قبله من قوله انما نحن مستهزئون وذلك انه ليس احد يجيء بهو نظير ما حا معطوفا من قوله تعالى يخادعون الله وهو خادعهم وقوله ومكروا ومكر الله وما اشبه ذلك مما ورد فيه التجزع على الصدر ثم انك تجده قد جاء غير معطوف وذلك لامر اوجب ان لا يعطف وهو ان قوله انما نحن مستهزئون حكاية عنهم انهم قالوا ولفظ يخبر من الله تعالى وهو قوله تعالى الله يستهزئ بهم خبر من الله تعالى انه يخادعهم على اكثر هم واستهزاءهم واذا كان كذلك كان العطف ممتنعا لاستحالة ان يكون اذ كر هو من خبر من الله تعالى معطوفا على ما هو حكاية عنهم ولا يخالف ذلك ان يخرج من كونه خبرا من الله تعالى الى كونه حكاية عنهم وان الى ان يكونوا قد قرروا على انفسهم بانهم مواعدون وان الله تعالى قابلهم عليه ولبس كذلك الحال في قوله تعالى يخادعون الله وهو خادعهم ومكروا ومكر الله لان الاول من الكلامين ليس كالثاني في انه خبر من الله تعالى وليس كذلك وهذا هو العلة في قوله تعالى واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون الا ترى انهم لم يقصدوا ان يكونوا مستهزئين انما حاولوا بهم الفساد وانما كانوا مفسدين بالاضافة الى الله تعالى خبرا من الله تعالى بانهم كذلك والذي قبله من قوله انما نحن مستهزئون

حكايته عنهم ولو عطف الزم عليه مثل الذي قدمت ذكره من الدخول في الحكاية ويصار حينئذ الى الوجه الثاني وهو ان يكون قولهم لانفسهم بانهم مفسدون ولصار كانه قيل وقالوا انما نحن مصلحون وقالوا انهم هم المفسدون وذلك ما لا يشك في فساده وكذلك قوله واذا قيل لهم امنوا كما امن الناس قالوا انؤمن كما امن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون لو عطف انهم هم السفهاء على ما قبله لكان يكون قد ادخل في الحكاية ولصار حد بنا منهم عن انفسهم بانهم هم السفهاء من بعد ان زعموا انهم انما تركوا ان يؤمنوا لئلا يكونوا من السفهاء على ان في هذا امرا اخر وهو ان قوله انؤمن استفهام ولا يعطف الخبر على الاستفهام فان قيل هل كان يجوز ان يعطف قوله الله يستهزئ بهم على ما قالوا من قوله قالوا انا معكم لا على ما بعده وكذلك كان يفعل بانهم هم المفسدون وانهم هم السفهاء وكان يكون نظير قوله تعالى وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون وذلك ان قوله ولو انزلنا ملكا معطوف على جزء شرطه على قالوا دون ما بعده فصل ان حكم قالوا فيما نحن فيه مخالف لحكمه في الآية التي ذكرت وذلك ان قالوا انما هو جواب شرط فلو عطف قوله الله يستهزئ بهم عليه للزم ان يكون له في حكمه من كونه جوابا وهو ذلك لا يصح وذلك انه متى عطف على جواب الشرط شيء كان ذلك على ضربين احدهما ان يكون شيئين يتصور وجود كل واحد منهما من دون الاخر ومثاله قولك ان تاتني اعطك واكسك والثاني ان يكون المعطوف شيئا لا يكون حتى يكون المعطوف عليه ويكون الشرط كذلك سببا فيه بواسطة كونه سببا للاول ومثاله قولك اذا رجع الامير الى الدار استأذنته وخرجت فالخروج لا يكون حتى يكون الاستيذان وقد صار الرجوع سببا في الخروج من اجل كونه سببا في الاستيذان فيلزم العود في مثل هذا على كلا الوجهين جواز ارجع الامير استأذنت واذا استأذنت خرجت واذا عرفت ذلك فانه لو عطف قوله تعالى الله يستهزئ بهم على قالوا لكان يصير معه ان الذي يصور منه ان يكون من هذا الضرب الثاني وان يكون المعنى واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون واذا قالوا ذلك استهزأ الله بهم ومدهم في طغيانهم ومعلوم ان كان جرى انه يستهزئ فليس هو مستهزئا وذلك ان الذي انما هو على نفس الاستهزاء ولم يرد بهم انه وارادهم انه في نواتم انما استأنفوا لا على انهم صدقوا عن انفسهم بانهم مستهزئون والعطف على ما قالوا يقتضي ان يكون الخبر عما حدثوا به عن انفسهم بالاستهزاء لاحقيقة معه وسبق ما ذكرنا من ان الخبر الذي

ان يكون على قصدهم الاستهزاء وعلمهم انه لا على ما حدثوا به انفسهم بانهم مستهزئون انهم لو كانوا قالوا انكم انما نحن مستهزئون وهم يريدون بذلك ما فهم عن انفسهم هذا الكلام وان يسلموا من ضرر وان يوهموهم انهم صدقوا وانهم لم يكونوا بذلك لكان لا يكون عليهم مواخذة فيما قالوه من حيث كانت المواخذة تكون على الصفاء الاستهزاء والخديعة في اظهار الايمان لا في القول انا استهزأنا من غير ان يقترن بذلك اعتقاد وتبيه هذا وهيئا امر سوا ما مضى توجب الاستيناف وترك العطف وهو ان الحكاية عنهم بانهم قالوا كيت وكيت يحرك السامعين لان يعلموا مصير امرهم وما صاروا بهم وانزل الفزعة بهم عاجلا ام لا ينزل وبهاولون ويقع في نفوسهم الخوف لان بين الخوف ذلك واذا كان كذلك كان هذا الكلام الذي هو قوله الله يستهزئ بهم في معنى ما يصلح جوابا عن هذا المقدر ويقوم في اقصر السامعين واذا كان مصدرا بذلك كان رجحه ان يوتى به مبتدا غير معطوف لكون في صورته اذا قيل فان سالهم قيل لهم الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون واذا استقرت وجدت هذا الذي ذكرت اكمن نظم الكلام اذا اجاء عقب ما يقتضي سوالا استئنافيا اذا صرح بذلك السوال كما اقتضى تعطف ذلك قوله

« زعم العواذل انني في غمرة * صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي »

لما حكى عن العواذل انهم قالوا هو في غمرة وكان ذلك مما يحرك السامع لان يسأله فيقول لما قولك في ذلك وما جوابك عنه اخرج الكلام مخرجه اذا كان ذلك قد قيل له وصار كانه قال اقول صدقوا انا كما قالوا ولكن لا نظير مصيري في الماضي ولو قال زعم العواذل اني في غمرة وصدقوا لكان يكون لم يتبع في نفسه انه مسوق وان كلامه كلام محب وسئله قول الاخر في الحماسة

« زعم العواذل ان ناقة جندب * بجنوب حبث غريرة واجتنبا »

« كذب العواذل لو رأين سماحة * بالقاعسية من علو وقد ثبا »

وقد زاد هذا الشاعر امر القطع والاستيناف وقد ذكر الجواب تاكيدا ان وضع الظاهر موضع المضمر فقال كذب العواذل ولم يقل كذبن وذلك انه لما اعاد ذكر العواذل كان ظاهرا كان ذلك ابين واقوى لكونه كلاما مستانفا من حيث وضعه وضعا لا يحتاج فيه الى ما قبله وان يجيء ما ليس قبله كلام وصار موجبا ذلك قوله الاخر

« زعم ابن ايوب الزمان قرنتني * بابن اقرف ولبئس ما الزمان »

وذاك ان قوله ابن اقرف تكذيب لدعوى ابن قرنتني وازالة التهمة ان يقول كنت

لم الف وليس لكم الا ذ وقوله زعمتم ان اخوتكم قريش وانم الف وليس لكم الا ذ لصاير
ممزلة ان يقول زعمتم ان اخوتكم قريش وكذبتم فى انه كان يحرج عن ان يكون موضوعا
على انه جواب سايل يقول له فما اقول فى زعمهم ذلك وفى دعواهم فاعرفه واعلم
انه لو اظهر كذبهم لكان يجوز ان يعطف هذا الكلام الذى هو قوله انم الف على انا
نقول كذبتم وانم الف وليس لكم ذلك فاما الان فلا سماع لدخول الفا السلة لانه
يصير حينئذ معطوفا بالفا على قوله زعمتم ان اخوتكم قريش وذلك يخرج الى العجب
من حيث يصير كانه يستشهد بقوله انم الف على ان هذا الزعم كان منهم كما انك
اذا قلت كذبتم فانم الف كنت قد استشهدت بعد ذلك على انهم كذبوا فاعرف ذلك ومن
اللطيف فى الاستئناف على ما نحن فى جعل الكلام جوابا فى التقدير قول الشاعر يرثى

* ملكته حبل وكله الفاء من زهد على فاربك *

* وقال انى فى الخوف كاذب * استتم اسه من الكاذب *

استئناف قوله استتم اسه من الكاذب لانه جعل نفسه كانه يجب سايلا قال له فما تقول
فيما تحكيه عن انك كاذب فقال اقول استتم اسه من الكاذب ومن الفاء رايتها
فى ذلك قول العامل

* قال لى كيف انت قلت عليل * سهر دايم وحزن طويل *

لما كان فى العادة اذا قيل للرجل كيف انت فقال عليل ان يسال ثانيا فيقال مالك
وما علتك فقد ركانه قد قيل له ذلك فاتى بقوله سهر دايم جوابا عن هذا السوال
المفروم من نحو كى الحال فاعرفه ومن الحسن البين فى ذلك قول المتنبى

* وما عصفت الرياح له مجلا * عفاه من عهد ابرم وسافا *

لما نفى ان يكون الذى جرى به من آند رويس والعفا من الرياح وان يكون الى فعلت
ذلك وكان فى العادة اذا نفى الفعل للوجود الحاصل عن واحد فقيل لن تفعله فلا
ان يقال فمن فعله فقد ركان قال لا قال فقد وجدت ان الرياح لم يعف له مجلا فما عفاه
اذا فقال يحسبه عفاه من عهد ابرم وسافا وسئله قول الوليد بن يزيد

* لعمرك المنزل الخالى * عفاه كل جثان * عسوف الويل هطال *

لما قال عفاه من بعد احوالى فقد ركانه قيل له فما عفاه فقال عفاه كل جثان واعلم
ان السوال اذا كان ظاهرا مذكورا فى مثل هذا كان الاكثر ان لا يذكر الفعل فى الجواب

ويقتصر على الاسم وحده فاما مع الاستفهام فلا يجوز الا ان يذكر الفعل نحو
هذا انه يجوز ذلك اذا قيل ان كانت الرياح لم تعفه فما عفاه ان يقول من جفا بهم
وسان ولا يقول عفاه من حدا كما يقول فى جواب من يقول من فعل هذا زيد
ولا يحب ان يقول فعله زيد واما اذا لم يكن السوال مذكورا كالذى عليه البيتان
لا يجوز ان يقول ذكر الفعل فلو قلت مثلا ما عفت الرياح اه صلا من حدا بهم وسافا
ولم ان اردت عفاه من حدا بهم ثم تركت ذكر الفعل احسنت لانه انما يجوز تركه حيث
يكون السوال مذكورا الا ترى ذكره فيه بدلا على ارادته فى الجواب فان لم تات بالسوال
لم يكن الى العلم به سبيل فاعرف ذلك واعلم ان الذى يراه فى التنزيل من لفظ قال فعسى
غير معطوف هذا هو الذى عرفته وذكرته واسه اعلم اعنى مثل قوله هل اتاك حديث
ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون
فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم فقال الا تاكلون فاوجس منهم خيفة قالوا
لا تخف حتى اذا وضع الطعام بين ايديهم فى انس الخلوتين من السوال فلما كان فى العرف والعادة فيما
بين الخلوتين اذا قيل دخل قوم على فلان فقالوا كذا ان يقولوا اذا قال هو وقول
المجيب قال فلان كذا اخرج الكلام ذلك المخرج لان الناس خوطبوا بما يتعارفونه
وسلك باللفظ معهم المسلك الذى يسلكونه وكذلك قوله الا تاكلون وذلك ان لو
قيل فما عجل سمين فقربه اليهم فيقتضى ان يتبع هذا الفعل بقول فكانه قيل والله اعلم
ما قال حتى وضع الطعام بين ايديهم فاتى بقوله قال الا تاكلون جوابا عن ذلك
وكما قالوا لا تخف لان قوله فاوجس منهم خيفة يحتمل ان يكون من الملايكة كلام
فى نايسه وتسكينه مما خامره وكانه قيل فما قالوا حين راوه وقد تغير وحاله فقيل
فقيل قالوا لا تخف وذلك والله اعلم المعنى فى جميع ما يجى منه على كثرته كالذى يجى فى
قصة فرعون فى رد موسى عليه السلام عليه لقوله قال فرعون وما رب العالمين
قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله الا تستمعون
قال ربكم ورب اباكم الاولين قال ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون قال رب المشرق
والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين
قال اولو جيتك بشى مبين قال فات به ان كنت من الصادقين فجاء بذلك كله والله اعلم
على تقدير السوال والجواب كالذى جرت به العادة فيما بين الخلوتين فلما كان السامع
منا اذا سمع الخبر عن فرعون بانه قال ورب العالمين وقع فى نفسه ان يقول

قال موسى عليه السلام له اي قوله قال رب السموات والارض ما في الجواب مبتدا
مفصولا غير معطوف وهكذا التقدير والتفسير ابدا في كل ما جاء فيه لفظ قال هذا
المجيء وقد يكون الامر في بعض ذلك اشد وضوحا فما هو على هذا الوضوح قوله تعالى
قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين وذلك انه لا يخفى على
عاقل انه جاء على معنى الجواب وعلى ان نزل السامعون كانهم قالوا لما قال لهم الملائكة
فسلام قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين وكذلك قوله عز وجل في سورة يس واضرب
لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا
بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان
انتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين قالوا انا
تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم ائن ذكرتم
بل انتم قوم مسرفون وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا
من لا يسالكم اجرا وهم مهتدون التقدير الذي قدرناه من معنى السؤال والجواب
بين ظاهر في ذلك كله ونسال الله التوفيق للصواب والعصمة من الزلل ع

فصل

واذ قد عرفت هذه الاصول والقوانين في شان فصل الجمل
ووصلها فاعلم انا قد حصلنا من ذلك على ان الجمل على ثلاثة اضرب جملة حالها مع
التي قبلها حال الصفة مع الموصوف والتاكيد مع المؤكد فلا يكون فيها العطف البتة
لشبه العطف فيها لو عطفت بعطف الشيء على نفسه وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم
يكون غير الذي قبله الا انه يشاركه في حكم ويدخل معه في معنى مثل ان يكون كلا الاسمين
فاعلا او مفعولا او مضافا اليه فيكون حقها العطف وجملة ليست في شيء من الحالين
بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء فلا يكون اياه ولا مشاركا
له في معنى بل هو شيء ان ذكر لم يذكر الا بامر ينفرد به ويكون ذكر الذي قبله وترك الذكر سواء
في حاله لعدم التعلق بينه وبينه راسا وحق هذا ترك العطف البتة فترك العطف يكون
اما للاتصال الى الغاية او الانفصال الى الغاية والعطف لما هو واسطة بين الامرين
وكان له حال بين حالين فاعرفه ع

هذا

فن من القول خاص دقيق اعلم ان مما يقل نظر الناس فيه من امر العطف انه قد
يؤتى بالجملة فلا تعطف على ما يليها ولكن تعطف على جملة بينها وبين هذه التي تعطف جملة
او جملتان مثال ذلك قول المتنبي ع

تولوا بغتة فكان بينا * تهيبني ففاجاني اغتيالا
فكان مسير عيسهم ذميلا * وسير الدمع اثرهم انهمالا

قوله فكان مسير عيسهم معطوف على تولوا بغتة دون ما يليه من قوله ففاجاني
لانا ان عطفناه على هذا الذي يليه افسدنا المعنى من حيث انه يدخل في معنى كان وذلك
يؤدي الى ان لا يكون مسير عيسهم حقيقة ويكون توهما كما كان تهيب البين كذلك وهذا
اصل كبير والسبب في ذلك ان الجملة المتوسطة بين هذه المعطوفة اخيرا وبين المعطوف
عليها الاولى ترتبط في معناها بتلك الاولى كالذي ترى ان قوله فكان بينا تهيبني مرتبط
بقوله تولوا بغتة وذلك ان الثانية مسبب والاولى سبب الا ترى ان المعنى تولوا بغتة
فتوهمت ان بينا تهيبني ولا شك ان هذا التوهم كان بسبب ان كان التولي بغتة واذا
كان كذلك كانت مع الاولى كالشيء الواحد وكان منزلتها منها منزلة المفعول والظرف
وسائر ما يجيء بعد تمام الجملة من معمولات الفعل مما لا يمكن افراده عن الجملة وان يعتد
كلاما على حدته ع وهاهنا شيء اخر دقيق وهو انك اذا نظرت الى قوله فكان مسير
عيسهم ذميلا وجدته لم يعطف هو وحده على ما عطف عليه ولكن تجد العطف
قد تناول جملة البيت مربوطا اخره باوله الا ترى ان الغرض من هذا الكلام ان يجعل
توليهم بغتة على الوجه الذي توهم من اجله ان البين تهيبه مستدعيا بكاءه وموجبا
ان ينهمل دمعه فلم يعنه ان يذكر ذملان العيس الا ليذكر هملان الدمع وان يوفق
بينهما وكذلك الحكم في الاول فنحن وان كنا قلنا ان العطف على تولوا بغتة فانا لا نعني ان
العطف عليه وحده مقطوعا عما بعده بل العطف عليه مضموما اليه ما بعده الى اخره
وانما اردنا بقولنا ان العطف عليه ان نعلمك انه الاصل والقاعدة وان نصرفك عن ان
تطرحه وتجعل العطف على ما يلي هذا الذي تعطفه فتزعم ان قوله فكان مسير عيسهم معطوف
على فجاءني فتقع في الخطا كالذي اريناك فامر العطف اذا موضوع على انك تعطف تارة جملة
على جملة وتعمد اخرى الى جملتين او جمل فتعطف بعضها على بعض ثم تعطف مجموع هذي
على مجموع تلك وينبغي ان يجعل ما يصنع في الشرط والجزاء من هذا المعنى اصلا يعتبر به
وذلك انك ترى متى شئت جملتين قد عطفت احداهما على الاخرى ثم جعلتا بمجموعهما
شرطا ومثال ذلك قوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا
الشرط كما لا يخفى في مجموع الجملتين لا في كل واحدة منهما على الانفراد ولا في
واحدة دون الاخرى لانا ان قلنا انه في كل واحدة منهما على الانفراد جعلناهما شرطين

ان لاعجب المرية عما سنه به الشاعر والخطيب في كلامه من استعارة اللفظ الذي لم
يستعمله وان لا تكون الفضيلة الا في استعارة قد تعورفت في كلام العرب وكثر
جريانه على الالسنة وهذه الالفاظ الاثنا عشر التي جملة الخفايا والمستكرهات
عشرة منها في الحوشي وقد تحسن منها هذه التي نحن نصددها ولا اكثر فيها من
العوم والسلاسة وان الذي قاله العلما والبلغا في صفتها والاختيار عنها وصورتها
الاسن هو من سل جانبا من لطف الطبع ومن هو منها لعلم تلك الاشارات حتى كان
تلك الطباع اللطيفة وتلك القرائح والاذهان قد نوا صحت فيما جنيا على ناسلة
سبيل الترجمة بنواطها عليها فوم فلا تتعبه وهم ولا تعوزها من ليس منهم وليت شعري
من اين لمن لم يتعب في هذا الشان ولم يمارسه ولم يوفر عنايته عليه ان يطلع على مواقع
الخاطر وهو يذكر الحجار القرآن ولو ان رجلا قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سوقا
قصيرة او طويلة ليس فيها في نظامها وحرجها من لفظها وطابعها انه عاجز عن مثلها
ولو تحدى بها بلغ العرب لاظهر عجزه عنها وقوله وهو يذكر رواة الاخبار وذوا
عاسم قد طالت مشاهدتي لهم وسمعي لاتفعون على الالفاظ المتخيرة والمعاني
المنتخبة والمخارج السهلة والديباجة المكرمة وعلى الطبع الموكر وعلى السبك
المعدل وعلى كل كلام له ماء ورونق وقوله في بيت الخطبة ع

« سمي ايه تعسوا لي شوناء » محمد خير نار عندها خير موقد »

وما كان ينبغي ان يمدح احد البيت الاخير بوجه اهل الارض على ان لم يعجب بمعناه
الكريم بمعرفته وطبعه وتحنيه وسبكه منهم منه شيأ او يعرف للطابع والسبك
والتحبير والمخارج السهلة على معنى او على منه شيء وكيف بان يعرفه وقد
خفي على كثير من اهله واعلم ان الداء الدوي والذي عيى امره في هذا الباب لطف
مدخل الشعر ومعناه وامثل الاحتمال باللفظ وحمل لا تعطيه من نفسه ان هو اعطى الا
ما تفضل عن المعنى معول ساقي اللفظ لولا المعنى وهل الكلام الا معناه فاما ان
لا تقدم شعرا حتى يكون قد اودع حكمة او ادبا او اشتمل على نسيب عربي ومعنى
نادر فان ساق الى اللفظ شعرا ورأى ان تحمله بعض الفضيلة لم يعرف عنها الاستغناء
ثم لا يطرد له حال تلك الاستعارة احسب لمجرد كونها استعارة ام من اجل فرق
وجه ام لان تحول عند اوسرته قد قنع بطوا هر الامور وبان بالجهل وبان
يكون كن يحلب المتاع البيع اما همه ان يروح عنه بري انه اذا تكلم في الاحد والزهد

وانسى ان يقول اخذه من فلان وانما يقول فلان فقد استكمل الفضل وبلغ
اقصى ما يراد واعلم اباوان كنا اذا احببنا العرف والعادة وما تحسن به
عامة اما فذلك ان الصواب معهم والقول بقولهم لكن على انه ليس وراءه
ذلك لا يسوغ القول بخلافه فان الامر بالضد اذا جاء الى اقصاه والى اباعلم
المحصلون لا تالا تركي ستقد ماني علم البلاغة سيرنا في ساوفا لا وهو ذكر هذا
الرأي وتعصبه وتركي على القائل به وبعضي منه فمن ذلك ما روي عن الخريمي
روى ان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر سأله عن مسلم واي وانس ايهما اشعر
فقال ابو نواس فقال ان ابا العباس تعلبا لا توافقك على هذا فقال ليس هذا ان يجاد
تعلب وقد رويه من اشعاطين لعلم الشعر ودون عمله انما العلم ذلك من وجه في مشاكلة
طريق الشعر الى نضايقه وانتهى الى ضروراته وعن بعضهم انه قال رأى الخريمي
ومعي دفتر شعر فقال ما هذه اعلمت شعر الشعري فقال ولم اي معنى فعلت
الى ابي العباس اقرأه عليه فقال قد رأيت اباعباسكم هذا منذ ايام عند ابن
نواية فما رأيته ناقد الشعر ولا مميز الالفاظ ورأيته يستجيد سناء وينشده وما
هو بافضل الشعر فقلت له انا نقده وبيننا لقد سمعته اجزل واكثر اعرف
الناس باعرابه وغريبه فما كان بعد قال قول الحارثي وعدله

« قومي هم قتلوا اميم اخي » فاذا رميت يصيبني سهمي
« فلئن عفوت لاعفون جللا » ولئن سطوت لاوهين عظمي

فقلت والله ما اشد شعرا الاني احسن معنى ولفظا فقال ان الشعر اذ
منه عروق الذهب فقلت مثل ماذا فقال مثل قول ابيه وانشد ع

« ان تعدلوك فقد تلت عروشهم » بعضبه من اخاريت بهاب
« باسطو بهم كلبا على اعدائه » واعيرهم قدما على الاحساب

اسهرت الحكاية عن الخريمي وفي مثل هذا قال الاعرابي

« رواة الاشعار لا علم عندهم » بجيدها الا كعلم الاباعر
« لعمرك ما يدري البعير اذا غدى » باوساده او راح ما في الغرائر

وقال آخر

« ما ايا جعفر احكم في الشعر ومانك انه حكاك »
« ان نقد الدينار لا على الضرب صعب فكيف نقد الكلام »

• قد رأيتك قد فرقت في الاشعار بين الارواح والاجسام •

واعلم انهم لم يعيبوا بعدم الكلام بمعناه من حيث جهلوا ان المعنى اذا كان اولا وحكمة وكان غريبا نادرا وهو اشرف مما ليس كذلك بل عدوه من حيث كان من حكم من تحتى في جنس من الاجناس يفضل اذا نقص ان لا يعتبر في قصيده تلك الا الابيات التي تخص ذلك الجنس وترجع الى جملته وان لا ينظر فيها الى جنس اخر وان كان من الاول بسبيل ومتصلا به اتصالا لا ينفك منه ومعلوم ان سبيل الكلام سبيل التصوير والصناعة وان سبيل المعنى الذي تعبر عنه سبيل الفضة والذي تصوغ والصوغ فيه كالفضة والذهب يصاغ منها خاتم او سوار فكما ان محالا ان اردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل ورداءته ان ينظر الى الفضة الحاصلة تلك الصورة او الذهب الذي وقع فيه ذلك العمل وتلك الصنعة لذلك محال اذا اردت ان تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام ان تنظر في مجرد معناه وكما انا لو فضلنا خاتما على خاتم بان يكون فضه هذا اجود لو فضلنا الفضة التي في ذلك لفضيلة له من حيث هو خاتم كذلك ينبغي اذا فضلنا بيتا بيت من اجل معنا ان لا يكون ذلك لفضيلة له من حيث هو شعر وكلام وهذا قاطع فاعرفه واعلم انك لست تنظر في كتاب مصنف في علم البلاغة وكلام جاء عن العلماء الا وجدته يدل على فساد هذا المذهب ورأيهم بينة دون في انكاره وعيبه والعيب به واذا نظرت في كتب الحاظ وجدته يطبق في ذلك كل مبلغ ويشتد دعابة الشديد وقد اشرنا في ذلك الى ان جعل العلم بالمعاني مستركا ويوجي فيه من الحاسة والفطنة ما قد رأيت ناسا يهرجون اشعار المولدين ويستسقطون من رواها ويزري ذلك قط الا في رواية غير بصير بما يروي ولو كان له بصر لعرف موضع الجيد ممن كان وفي اي زمان كان والا سمعت ابا عمرو الشيباني وقد بلغ من استحسانه لهذين البيتين ونحن في المسجد الجامع يوم الجمعة ان كاد رجلا حتى احضر قرطاسا ودواة حتى كتبهما قال الحاظ وانا ازعم ان صاحب هذين البيتين لا يعول شعرا ابدا ولو ان ادخل في الحلوة بعض الغيب لرجوت ان ابيه لا يعول الشعر ايضا وهما قوله

لا تحسبن الموت موت البلى • وانما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا • اشد من ذاك على كل حال

ثم قال وذهب الشيخ الى استحسان المعاني والمعاني مطروحة في الطرق يعرفها العربي والاعرابي والقروي والبدوي وانما الشان في اقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وجودة الطبع وكثرة الماء وجودة السبك فانما الشعر صناعة وضرب من التصوير وانما الكتب اسقط اهل المعاني فاني ان اعجب بها افضل فقال وهي مطروحة في الطريق ثم قال وانا ازعم ان صاحب هذين البيتين لا يعول شعرا ابدا فاذا قد علمت ان ليس للشعر فضله لا معناه واذا اعدم الحسن في لفظه ونظمه لم تستحسن هذا القسم بالحقيقة واعاد طرفا من هذا الحديث في البيان فقال وقد رأيت ابا عمرو الشيباني يكتب اشعارا من افواه جلسائه ويدخلها في باب التحفظ والذكر وربما سمعته يقول لي اسألك الشعر الا يستطيعون ابدا ان يعولوا شعرا جيدا فكان اعراقهم من اولئك الاباعد الذين ولدوا في الاعراب ولولا ان اكون عيابا لم افعل احاشية لصورة تلك بعض ما سمعت من ابي عبيدة ومن هو ابعد في وحك من ابي عبيدة واعلم انهم لم يبلغوا في انكار هذا المذهب ما بلغوه الا لان الخطابة مطيرة وانه يفضي بصاحبه الى ان ينكر الانحاز ويبطل التحدي من حيث لا تشعر وذلك انه ان كان العمل على ما يدعون اليه من ان لا يجب فضل ومزية الا من اجل المعنى وحتى يكون قد نال حكمة او اداما او استخرج معنى غريبا او نسبها نادرا فقد وجب اطراح جميع ما قالت الناس في الفصاحة والبلاغة وفي بيان النظم والتالف وبطل ان يجب بالنظم فضل وان يدخله المزية وان يتفاوت فيه المنازل واذا بطل ذلك فقد بطل ان يكون في الكلام معجز وساغ لكل احد ان يقول ما يقوله اليهود ومن قال مثل مقالتهم في هذا الباب وقد دخل في مثل ذلك الجاحظ وتبعه من بعده من المعتزلة الا ان يكون لاحدكم العذر بان مزيه على الاخرين في ان يكون لمعانيه اثر لا يكون لصاحبتها فان فعلت فاذا افادوا قد ما لا فائدة فيه فليسوا عبارتين عن معنى واحد بل بما عبارتان عن معنيين اثنين فصل لك ان قولنا المعنى في مثل هذا انما هو العرض والذي اراد المتكلم ان يخبر به او يفيده من الحكم كقولك قصدت تشبيه الرجل الاسد فجعلت زيدا كالاسد ثم تريد هذا المعنى بعينه فتقول كان زيد الاسد فتفيد تشبيهه ايضا بالاسد الا انك تريد في تشبيهه به زيادة لم تكن في الاول وهي ان تجعله من شدة بطشه وقوة نفسه وانه لا يرد وجهه شيء بحيث لا تقصر عن الاسد ولا تقصر عنه حتى توهم انه اشد في ذلك

ادى واذا كان هذا كذلك فانظر هل كانت هذه الزيادة وهذا الفرق مما توخى في نظم اللفظ وترتيبه حيث وضع الكاف الى جنب الكلام وركبت مع ان واذا لم يكن الى الشك سبيل ان ذلك كان بالطبع فاجعله العمدة في الكلام كله ودع نفسك على تفهم ذلك وتتبعه واجعل فيها انك تزاول منه امرا عظيما لا تعاد وقدره وتدخل في بحر عميق لا يدرك قعره ... هو في آخره يرجع الى هذا الكلام ثم تدعم ان المعارض للكلام معارض له من الجنس الذي منها يوصف بانه فصيح وبليغ ومختار اللفظ جيد السبك ونحو ذلك من الاوصاف التي نسبوها الى اللفظ واذا كان هذا هكذا فاعلم انا نظرنا فيما اذا اتى به كان معارضا ما هو اوان مجيء لفظ فيضعه مكان لفظ آخر نحو ان يقول بدل اسد ليث وبدل يعدو يأتي ومكان قرب دنا ام كيف ذلك ما لا يذهب اليه عاقل ولا يقوله من به طرق كيف ولو كان ذلك معارضة لكان الناس لا يفصلون بين المرجوح والمعارضة ولكان كل من سرق شاعرا معارضا له واذا بطل ان يكون جهة المعارضة وان يكون الواضع نفسه في هذه المنزلة معارضا على وجه من الوجوه علمت ان الفصاحة والبلاغة وسائر ما يجري في طريقها اوصاف راجعة الى المعاني وان ما يبدل عليه بالالفاظ دون الالفاظ انفسها لانه اذا لم يكن في القسمة الا المعاني والالفاظ وكان لا يعقل معارضة في الالفاظ المجردة الا ما ذكرت لم يبق الا ان تكون المعارضة معارضة من جهة ترجع الى معاني الكلام المعقود له دون الفاظه المنوعة واذا عادت المعارضة الى المعنى وكان الكلام يعارضه من حيث هو فصيح وبليغ ومختار اللفظ حصل من ذلك ان الفصاحة والبلاغة وتخير اللفظ عبارة عن خصائص وجوه تكون معاني الكلام عليها وعن زيادات تحدث في اصول المعاني كالذي ترى من ان ترجيحك لاسد وكان زيدا الاسد وبان لا تنصب للالفاظ من حيث هي الفاظ فرقا بوجه من الوجوه واعلم انك لا تسلك الغلو ولا تنتهي الى علم الغيب حتى تحاول وتجد العلم بالشيء مجملا الى العلم به مفصلا وحتى لا يقنعك الا النظر في زواياه والتغلغل في مكامنه وحتى يكون لكن تتبع الناحي عرف متتبعه واتري في الجون عن جوهر العود الذي تعتزم فيه الى ان تعرف منبته وتجري عرق البحر الذي هو منه وانا لو اردنا ان نقيس الكلام في معنى المعارضة على الاعمال الصناعية كصحيح الديباج وصنوح السمة والسوار وانواع ما تصاغ وكل ما هو صنعة وعمل يدخل فيه

سلطانها تتبع المماثل فيه ثم تعظم حتى يرتقي به الصانع على الصانع زيادة يكون له بها مزية ويدخل في حد ما يعجز عنه الاكثرون وهذا القياس وان كان قياسا ظاهرا معلوما وكالشيء المركوز في الطباع حتى ترك العادة فيه كالخاصة فان فيه امرا يجب العلم به وهو انه يتصور ان يريد هذا فيعمد الى بيت شعر او بيت ديباج او سوار او سمة او غير ذلك مما يعمل ويصاغ فيتصور في نفسه صورة ثم يعمد الى شيء آخر يعمله ويصوغه في نفسه وهيئته وحليته صفته حتى لا يفصل الرائي بينهما ولا يقع لمن يعرف الصفة ولم يعرف المثال الا بعد استعمال روية وفكر ويحتاج من تحت يده واحدا واحدا وهكذا الحكم في سائر المصنوعات كالسوار يصوغه هذا ويحتذي ذاك فيعمل سوارا مثله ويودي صنعته كما هي حتى لا يعاد بينهما شيء ليس يتصور مثل ذلك في الكلام لانه لا سبيل الى ان يجيء لمعنى بيت من الشعر او فصل من النثر مقصود به بعينه وعلى حاسبته وصفته بعبارة اخرى حتى يكون المعبور من هذه هو المفهوم من ذاك لمخالفته في سعة ولا وجه ولا امر من الامور التي تعرف قولنا للناس فيما ادعي بعينه واحد يعني كلامه فاداه على وجهه فانه لا بد ان يسلم والمراد انه اذا عرض فانا ان نودي المعنى على الوجه الذي يكون عليه في الكلام الاول حتى لا يعقل ههنا الا ما عقلته هناك وحتى يكون حالهما في نفسك حالة الصورتين المتباينتين في عينك كالسوارين والشعرين فتعلم بهما الاخباء وطن يقضي صاحبه الى جملة عظيمة ويمكن ان يكون الالفاظ مختلفة المعاني اذا افرغت وصنعتها اذا اجمعت والف منها كلام وذلك ان ليس كل ما يعلم من اعطيت يعلم من اعطى بعد حبس ولكن مما يعلم من كلام مجموع ومجموع كلام ترى بطرفي قوله تعالى ولكم في القصاص حياة وقولهم قتل البعض احياء للجميع فانه وان كان قد جرت العادة من الناس بان يقولوا في مثل هذا انما عبارتان تعبر عما واحد فليس هذا القول منهم قولا يمكن الاحتجاج ظاهره او يقوم لمثل شك ان ليس المفهوم من احد الكلامين المفهوم من الآخر ... الكلام على ضربين مرتب انت تصل منه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده وذلك اذا قصدت ان تخبر عن زيد مثلا بالخروج على الحقيقة فقلت خرج زيد او بالانطلاق عن عمرو فقلت عمرو منطلق وعلى هذا القياس وضرب آخر انت لا تصل منه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن بدلالة اللفظ على معناه الذي اقتضيه موضوعه في اللغة ثم تجد انك المعنى ولا لانه يليه تصل به الى الغرض ومدار هذا الامر على الكناية والاستعارة

والمثل وقد مضت الامثلة فيها مشروحة مستقصاة ولا تزى انك اذا اطلت هو كثير وساد الفدفد او قلت طويل البعاد او قلت في المراد مرام المعنى فانك في جميع ذلك لا تزيد على عرضك الذي تعني من مجرد اللفظ ولكن بدلالة اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهر ثم تعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال لا المعنى نفسه فهو مثلا كما تعرف انك من كثير وساد الفدفد انما تعني طويل البعاد انه طويل الفدفد وكذلك مرام المعنى في المراد انما معناه قصد ومسافة لها من يكفيها امرها وكذا اذا قال رأيت اسدا وانت تريد ان الحال تدل على انه لم يرد السبع علمت انه اراد التشبيه لانه بالفعل الذي رآه حسب لانه يعرف من الاسد شجاعته وكذلك تعلم من قوله للمعنى انك تعلم رجلا وتوخر اخرى انه اراد التردد في امر البعثة واحتلاف العزم في الفعل وتركه على ما مضى الشرح فيه واذ قد عرفت هذه الجملة فها هنا عبارة مختصرة وهي انا نقول المعنى ومعنى المعنى نعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي يصل اليه بغير واسطة ومعنى المعنى ان تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى الى معنى آخر كقولك كثير رماد القدر فانك تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى الى معنى آخر وكذلك قولك طويل النجاد فانك تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى الى معنى آخر وكذلك قولك رأيت اسدا فانك تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى الى معنى آخر وكذلك قولك رأيت رجلا فانك تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى الى معنى آخر وقد عرفت ذلك فاذا رأيتهم يحصلون الالفاظ ويبنون المعاني وحديثنا اذا يحصلون المعاني كالجواري والالفاظ كالمعارض لها وكالوشي المحبر واللباس الفاخر والكسوة الرائعة الى اشباه ذلك مما يخصون به امر اللفظ ويحصلون المعنى خلية وبراية فاعلم انهم يصنعون كما اردت اعطاك المثل اعراضه فيه من طريق معنى المعنى فكني وعرض وتمثل واستعار ثم احسن في ذلك كله واصاب ووضع كل شيء منه في موضعه واصاب به شاكلته وعمد فيما كنى وشبه ومثل الى ما حسن مأخذه ودق مسلكه ولطفت اشارته وان العرض وساقي بعناه ليس هو اللفظ المنطوق به ولكن معنى اللفظ الذي دللت به على المعنى الثاني كقولك فلان جبان الكلية بريء الغيل الذي هو دليل على انه مضياف فالمعاني الاول المفهومة من نفس الالفاظ هي المعارض والوشي والحلي والاشباء ذلك والمعاني الثواني التي يومأ اليها بذلك المعاني هي التي تسمى بذلك المعارض والوشي والحلي والاشباء ذلك وكذلك اذا اجعل المعنى يتصور من اجل اللفظ يتصور ويرد في هيئة وشكل فشكل يرجع المعنى في ذلك كله الى الدلالات العقلية ولا تعلق منه حيث الكلام على ظاهره وحيث لا يكون كناية وتمثيل ولا استعارة ولا استعانة في الجملة بمعنى على معنى ويكون الدلالة على العرض من مجرد اللفظ فلو ان قائلا قال رأيت الاسد وقال اخر ما رأيت البتة

لم يجز ان يقال في الثاني انه تصور المعنى في هذه صورته الاولى ولا يقال ان رآه في معرض شيء سوى صورته ولا شيء من هذا الجنس وهذا الامر ان تصور المعاني لا شيء غير تعلقها من اللفظ الى اللفظ حتى يكون هناك انتباع ومجاز حتى لو اردت ان تعلم ما هو وما وضعت له في اللغة ولكن يشار بمعانيها الى معان اخر واعلم ان هذا كله كذلك دائما انظر واحدا فاما اذا تغير النظر فلا يجب عند ذلك ان يتغير المعنى على ما مضى البيان في مسائل التقديم والتاخير وعلى ما ذكرت في المسئلة التي مضت الآن انه يعني بقولك ان زيدا الاسد وكان زيدا الاسد ذاك لانه لم يتعرض للفظ حتى يراعي تغير النظر فيه واما قولك ان عمرا تزوج المكان وكانت سكنه فلا اعتداد به هاهنا لان معنى الكلام في حاله واعلم ان السبب في ان احلنا في اشباه هذه الفصول التي ذكرتها لك على اللفظ انها ليست بالنفس المعاني التي هي زيادات في المشاء وخصائص لا تزى ان ليست المزية التي يجوز بها ان تقول كان زيد الاسد على ان تقول كان زيدا كالاسد شيء خارج عن التشبيه الذي هو اصل المعنى وانما هي زيادة فيه وفي حكم المحسوسة في الشكل يجوز ان تصاغ خاتم على وجه وان تجعل على وجه اخر تحبر به صورة الخاتم وتغيرها فان خاصته وشي تعلم لانه لا يعلم شيء من ذلك فاذا كان الامر كذلك لم يمكنهم ان يطلقوا اسم المعاني على هذه الخصائص اذ كان لا يتفرق الحال حينئذ بين اصل المعنى وبين ما هو زيادة في المعنى وكيفية له وخصوصية فيه فلما امتنع ذلك توسلوا الى الدلالة عليها بان وصفوا اللفظ في ذلك باوصاف تعلم انها لا تكون اوصافا له من حيث هو لفظ كقولهم في وصفهم له انه لفظ شريف وانه قد زان المعاني وانه في ديباجة وان عليه طلاوة وان المعنى منه في مثل الوشي وانه عليه كالحلي الى اشباه ذلك مما يعلم ضرورة انه لا معنى لمثله الصوت والحرف ثم انه لما جرت به العادة واستمر عليه العرف وصار الناس يقولون اللفظ واللفظ لزم ذلك بالنفس امور ارباب من الفساد وطائفة منه هي اشد واحسن وسرقة من الصفات التي عددنا لك وذكرناها على اللفظ ثم لا تعرض لك شبهة وانكون ذلك موقوفا في انها ليست له ولكن لمعناه فواضح لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه ولا يكون لفظه اسبق الى سمعك من معناه الى قلبك وقوافيه يدخل في الاذن بلا اذن فقد اما الاشكال العائل في انه يرجع الى دلالة المعنى على المعنى فانه لا يتصور ان يراد به دلالة اللفظ على معناه

الذي وضع له في اللغة ذلك لانه لا يخلو السامع اما ان يكون عالما باللغة وبمعاني الالفاظ التي تسمعها او يكون جاهلا لذلك وان كان عالما فلا يتصور ان سقوط حال الالفاظ بعده ويكون معنى لفظ اسرع الى فهمه من معنى لفظ اخر وان كان جاهلا كان ذلك في وسعه ابعد وجملة الامر انه انما يتصور ان يكون السامع لمعنى اسرع فهما منه لمعنى اخر اذا كان ذلك مما يدرك بالعقل واذا كان مما يجوز ان العلم به عند سماع الكلام وذلك محال في دلالات الالفاظ اللغوية لان طريق معرفتها التوقيف والتقدم بالتعريف واذا كان ذلك كذلك علم على القطع والبت ان مصرف ذلك الى دلالات الفاظ على المعاني وانهم اراد وان من شرط البلاغة ان يكون المعنى الاول الذي يجعله دليلا على المعنى الثاني هو وسيطا بينك وبينه ممكنا في دلالته مستقلا بوساطته بسيطا بينك وبينه احسن سفارة وشبه لك انه ابين اشارة حتى يحيل ادراك ان رمته من حاق اللفظ وذلك نحو قوله الكناية ابلغ من الصريح

«الا تنهض الغوث بالفصال ، ولا اساع الامريه الاحمل»

ومن الاستعارة مثل قوله

«وصدر راح الذل عار به عمه ، تضاعف فيه الحزن من كل جانب»

ومن التمثيل مثل قوله

«لا اد والطير عن تحجر ، قد بلوت المر من مره»

وان اردت ان تعرف ما حاله في الحسن من هذا وكان منحوسا الحظوة في بابه مارا به منه لانه يعترضه ما يمنعه ان يقضي حق السفارة فيما بينك وبين معناك ويوضح تمام الايضاح عن معزاك فانظر الى قول العباس بن الاحنف رحمه الله

«سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا ، وتسكب عيناي الدموع لتجمدا»

بدا ولك تسكب الدموع على ما تويه الفراق من الحزن واكده واحسن واسد لان من شان البكاء ان يكون امارة للحزن وان يحصل دلالة عليه وكناية عنه كقولهم ابكاني واضحكني على معنى سائني وسرني ولذلك قالت

«ابكاني الدهر وياربما ، اضحكني الدهر بما يرضي»

ثم ساق هذا القياس الى نتيجته فالتمس ان يدل على ما يوجبه دوام الذلاني من الشرود بقوله لتجمدا وظن ان الجمود يبلغ له في افادة المرة والسلامة من الحزن

ما يبلغ سكب الدموع في الدلالة على البكاء والوقوع في الحزن وتطرق الى ان الجمود خلو العين من البكاء لاستغنا الدموع عنها وانه اذا قال لقد بكيت اكثر من اليوم ليلا احزن عودا وتبكي عيناي جهدها ليلا تبكي ابدا وغلط فيما ظن من ان الجمود هو ان لا تبكي العين مع ان الحال حال بكاء ومع ان العين عوادها ان تبكي وتستزاد في ان لا تبكي ولذلك لا ترى احدا يدعو عينه بالجمود الا وهو يشكوها ويذمها وينسبها الى البخل وبعد استغنائها عن البكاء تركا لمعونة صاحبها على ما به من الم الاحزان الى قوله

«الان عيشا لم تجد يوم واسط ، عليك بجاري في نعيما الجمود»

فان الجمود تاكيد النفي الجمود ومحال ان يحملها لا تجمد البكاء واسعفناك البكاء لان الجمود والبخل يتضمنان مطلوبا بعد ذا ومنع ولو كان الجمود يتعلق لاراده السلامة من البكاء ويصح ان يدل به على ان الحال حال سرح وحبور فان بعد تعلق به فرجل ابقا لا راى عينك حامدة كما قالت لا تكن عينك وذلك مما لا تشك في بطلانه وعلى ذلك قول اهل اللغة عين جود لا ماء فيها وسنة جماد لا مطر فيها وارض جماد كما لا تجعل السنة والارض جمادا الا على معنى ان السنة تحمل القطر والارض لا تحمله لم تجعل ذلك حكم العين لا تجعل جمودا الا وهناك ما يقتضي ارادة البكاء منها واعطائها اذا كنت محسنة موصوفة بان تجاود وتحمد وانك مسيئة موصوفة بان تسخ وتبخل فان قلت انه اراد ان يقول اني الوم اخرج عصير الفراق واحمل على عيني عن اخرج واحمل ما تود ان البه من حزن بفيض الدموع من عيني وسكبها الى انسب ذلك اليه وجعل يعد ويمر وسرح تفضل عني لا اعرف بعد ذلك الحزن اصلا ولا اعرف عين البكاء وتصبر في ان لا ترى ما اتبعها الجمود التي لا تكون لها معه وان ذلك لا يستقيم ولا يستتب لانه لو وقعه في الناس وجعله كما به قالت احمل البكاء هذا الفراق عاجلا لاصرف الاجل بعد وامر الوصل وانصال السرور فصور من يريد من عينه ان تبكي لم لا تبكي لانها خلقت حامدة ولا ماء فيها وذلك من البيانات والاستطرافات حيث لا تجمع الحيلة فيه وجملة الامر انا لا نعلم احدا جعل جمود العين دليل سرور واشاره غيلة وكنايه على ان الحال حال فرح فصح استدلال من يدعو بالجمود مما شرطوا من ان لا يكون لفظه اسبق الى سمعك من معناه الذي قد ذكر لانك متى اغفلت سمعك وعجاج ان يحب وتوضع في طلب المعنى وحري ذلك هذا الشرح والتحليل

في النظم كما مرى في اللفظ لانه اذا كان النظم سوا والتاليف سنة ما كان وصول
المعنى الى قلبك بلو وصول اللفظ الى السمع وبثبت في المعنى تطلبه وتشعب فيه ولو
امرط الامر في ذاك مسار الى التعقيد الذي قالوا انه يستهلك المعنى واعلم انك تسمع
العبارة ولم يقصر اللفظ ولم يتعلق الكلام في هذا الباب الا لانه قد سامى في الغرض
ولجا الى اقصى الغايات وانك لا ترى اعرب بيدا منها واعجب مذهبا واحرى بان
تضطرب فيه الآراء منه وما قولك في بيت قد طبق من امره ان يدعى على الدهر
بعلوه ولم يعطوا له قد ترى ان البحتري قال لحسين بن سلم بن وابي مواس ابا
اسحق قال ابو مواس فقيل فان العباس بن الاحنف قد قال على هذا فقال هذا الضرب
شان تغلب وذويه من المتعاطين لعلم الشعر دون عمله انما يعلم ذلك من وقع في
سلك طريق الشعر الى بعد غايته وانتهى الى منزوراته ثم لم يتوك القائلون بعد الغير
بهم من اهله من دخول الشبهة فيه عليهم ومن اعتراض المريب والغلط لهم روى
عن الاصمعي انه قال كنت اسدد واصوب ابا عمرو بن العلا وخلف الاحمر وكانا
يأتيان بشارا فيسلمان عليه تعاجة الاعظام ثم يقولان يا ابا معاذ ما اجود بيت
يخبر بهما وبنشدهما ويسالانه وكتبنا عنه نيفا وسبعين له حتى بلغ وقت الرواد
ثم ينصرفان واشياء يوما فقالا لاما هذه القصيدة التي احدثتها في سلم بن قتيبة قال
حتى اتى بقصكم قالوا بلغنا انك اكرمت فيها من الغريب قال نعم يعني ان سالما يتناسب
بالعروب فاحببت ان اورد عليه ما لا عروف فالا فاسند بالها يا معاذ فاسندهما

بكرا صاحبي قبل الهجير ، ان ذاك النجاح في التكير ،

حتى فرغ منها فقالت له خلف لو قلت يا معاذ فكان ان ذاك النجاح بكرا انما النجاح
في التكير كان احسن فقال بشار انما يشبهها اعرابيه وحشيه فقلت انه ذاك
النجاح كما تقول الاعراب البدويون ولو قلت بكرا فالنجاح كان هذا من كلام المولد
ولا يشبهه ذاك الكلام ولا يدخل في معنى القصيدة قال فقام خلف فقبل ما بين
عينيه فهل كان هذا القول من خلف وتعديد على بشار الا لاطف المعنى في ذلك
وخفاه واعلم ان من شان ان اذا جاءت على هذا الوجه ان تعني عنا الفاء فتقول
مثلا ان تعيده مني ربط الجواب كما قبلها امر لجيبها فانت ترى الكلام بها مستانفا
غير متسانف ومقطوعا موصولا معا فلا ترى انك لو اسقطت ان من قوله انه ذاك
النجاح في التكير لم يلتئم ولرايت الجملة الثانية لا تتصل بالاولى ولا يكون منها

بسبيل حتى يجيء الفاء نحو ، بكرا صاحبي قبل الهجير فذاك النجاح في التكير ، وسئله
قول بعض العرب ، فمنها وهي لك الفدى ، ان غنا الابل الحدا ،
فانظر الى قوله ان غنا الابل الحدا والى بلاغة الكلام قبله وحسن مساقه
به والى حسن تعطف الكلام الاول عليه ثم انظر اذا تركت ان دخلت فجيء بها وهي لك
الفدى غنا الابل الحدا كيف تكون الصورة وكيف يتواخذ الكلام من غير الاول
وكيف تجد هذا وتعرف ذاك حتى لا تجد حيلة في ابطاله الا ان يجعلك انما الفاء
تقول فمنها وهي لك الفدى فغنا الابل الحدا ثم تعلم ان ليست الالفة بينهما بمن
حتى يكان وان قد ذهبت الالفة التي كانت تجدها والحسن الذي كنت ترى
وروى عن ابن عيينة انه قال قد مر في الرمة الكوفة فوقف عند الناس الكناس
فصيده التي الخامسة التي منها

، حي البرى والاسفار والحصر والحمى ، وموت الهوى في العلنتى والهوج ،
، وكان الهوى بالنأي عني فبيني ، وحبك عندي مستجد وسوح ،
، اذا غير النأي المحبين لم اكد ، ارى حبي الهوى من حب ثلثة يبرح ،

قال فلما انتهى الى هذا البيت ناداه من شرفة يا عبيلان اراه قد برح قال فتنحنح
ذو الرمة ناقته وجعل ساخرها ويتكرهم قال

، اذا غير النأي المحبين لم احد ، ارى حبي الهوى من حب ستة يبرح ،

قال فلما انتهى الى هذا البيت قال اخطا ابن شرفة حين اكهم على ذي الرمة
يا اسفد واخطا حين غير شعره لقوله ان شرفة انما هذا كقولك اسم تعالى علما
بعضها فوق بعض اذا اخرج بعضه لم يكد يراها واما هو لم يرها ولم يكد يراها واعلم ان
سبب الشبهة في ذلك انه قد يجري في العرف ان يقال ساكاد يفعل ولم يكد يفعل
قد تدخل على يعني انهم يجعلون الابعد الجحد وبعده ان كان بعيدا في الظن ان يفعله
كقوله تعالى اذا يدعوها ولم يكادوا يفعلون فلما كان معنى النفي في كاد يفعل هذا السبيل
توهم ابن شرفة انه اذا قال لم يكد رئيس الهوى من حب ستة يبرح فقد رعم
ان الهوى يبرح ووقع لذي الرمة مثل هذا الظن ولعمري لامر كما ذكر سواء وان
الذي بقتضيه اللفظ اذا قيل لم يكد يفعل وما كاد يفعل ان يكون المراد ان الفعل
لم يكن مني اصله ولا قاربت ان يكون ولا ظن انه يكون وكيف بالشك في ذلك وقد
علما ان كاد موضوع لان يدل على شدة قرب الفعل من الوقوع وعلى انه قد سار

الوجود واذا كان كذلك كان محالا ان يوجب نفيه نفي الفعل لانه يودي الى ان يوجب نفي مقارنه الفعل الوجود وجوده وان يكون فوتك ما قارب ان يفعل مقتضيا على السنا حدوث فعل واذ قد ثبت ذلك فمن سبيلك ان تطرد فيما لم يكن النفي على انه قد كانت هناك صورة تقتضي ان لا يكون الفعل وحال يبعد معها ان يكون ثم غير الامر كالذي تراه في قوله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون فليس الا ان يلزم الظاهر ويحمل النفي على انك تزعم ان الفعل لم يقارب ان يكون فضلا عن ان يكون فاما ان يثبت ذي الرمة على ان الهوى من رسوخه في القلب وشوته فيه وغلبته على طباعه بحيث لا يتوهم عليه البراح وان ذلك منه لا يقارب ان يكون فضلا عن ان يكون كما تقول اذا سألك المحبون وفترواني محبتهم لم يبق لي فيهم ولم يحرز على بالك الا ان تقول على ما يتسنه السامع وما يبعد ذره فضلا عن ان يوجد ذلك مني واصراليه وينبغي ان تعلم انهم انما قالوا في التصوير لم يرها ولم يكد فيه وانما نفوا الرؤية ثم عطفوا لم يكد عليه لعلمهم ان ليس سبيل لم يكد هذا سبيل ما كادفي قوله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون في انه نفي يعقب على اثبات ان وليس النفي على ان رؤيه كانت من بعد ان كادت لا تكون ولكن النفي على ان رؤيتها لا تقارب ان تكون فضلا عن ان تكون ولو كان لم يكد يوجب وجود الفعل لكان هذا الكلام سبيله سبيل ما اجاز ان يقول لم يرها ورآها فاعرفه وهاهنا نكته وهي ان لم يكد في الآيه والبيت واقع في جواب اذا والماضي اذا وقع في جواب الشرط على هذا السبيل كان مستقبلا في المعنى فاذا قلت اذا خرجت لم اخرج كنت نفيت خروجا فيما يستقبل واذا كان الامر كذلك استحال ان يكون النفي في البيت او الآيه على ان الفعل قد كان لانه يودي الى ان يجيء الفعل ماضيا صريحا في جواب الشرط فتقول اذا خرجت لم اخرج امس وذلك محال فاعرفه وما يتضح فيه هذا المعنى قول الشاعر

ودبار لجمة مسا لحقتني ... سفاهن مرجرجا كدر

وراح عليهن ذو هيدب ... ضعيف القوى ماوه زاخر

اذا رام قصابها لم يكد ... كذي الساق اخطاها الجابر

واعود الى الغرض فاذا ابلغ من ذه هون المعاني ان تشبيه الامر فيها على سبيل خلق الامر وان سبيله سبيل ما هو حق يشبه على ذي الرمة في صواب قاله ورأى انه عبر سواء فاطنك بعبرهم وما اعجبك من ان يكون الخلط فيه ومن العجب في هذا المعنى قول

ابي النجم ... وقد اصحت ام الخيار تدعي ... علي ذنبا كله لم اصنع ...

قد حمله الجميع على انه ادخل نفسه من ربع في شيء مما يحور عند العرور من غير ان يكون به اليه ضرورة فالوالانه ليس في نصب كل ما يكرهه وزنا او سعة من معنى ارادة واذا ما ملت وجدته لم يركبه ولم يحمل نفسه عليه الالحاجه له الى ذلك والالانه رأى النصب تمنعه ما يريد وذلك انه اراد انها تدعي عليه وسائر يصنع منه شيئا البته لا قليلا ولا كثيرا ولا نصبا ولا كلا والنصب منع من هذا المعنى ويقتضي ان يكون فعلي من الذنب الذي ادعته نفسه وذلك انا اذا ذاما واحدا بانه افعال الفعل في كل والفعل ينفي ان يصلح الا حيث اراد ان نصبا كان ونصبا لم يكن تقول لم الق كل القوم ولم اخذ كل الدراهم فيكون النفي انك لقيت بعضا من القوم ولم تلق الجميع واخذت بعضا من الدراهم وتركت الباقي ولا يكون ان تريد انك لم تلق واحدا من القوم ولم تأخذ شيئا من الدراهم وتعرف ذلك بان تنظر الى كل في الاثبات وتعرف فائدته فيه واذا نظرت وجدته قد اجاب لان يعيد القول في الفعل الذي مسنده الى الجملة ان توقعه فتأمل تصير ذلك انما دلت على القوم كلهم لانك لو دللت على القوم وسكت لكان يجوز ان يتوهم السامع انه قد تخلف عنك بعضهم الا انك لم تعتد بهم او انك جعلت الفعل اذا وقع من بعض القوم وكما وقع من الجميع لكونهم في حكم الشخص الواحد كما تقول فعلهم وصنعهم تريد فعل واحد كان من بعضهم لو واحد منهم وكذا الحكم ابدا واذا دللت راست القوم كلهم ومررت بالقوم كلهم كنت قد جئت بكل ايلا يتوهم انه قد بقي عليك من لم تره ولم تمر به وينبغي ان تعلم انا لا نعني بقولنا يعيد القول ان سبيله في ذلك سبيل الشيء يوجب المعنى من اصله وانه لو لا امكان كل لما عقل القول ولم يكن مما سبق من اللفظ دليل عليه كيف ولو كان كذلك لم يكن سبيل اكيدا فالمعنى انه ممنوع ان يكون اللفظ المقتضي القول مستعملا على اختلاف ظاهر ومتجوزا فيه واذ قد عرفت ذلك فرها هنا اصل وهو ان من حكم النفي اذا دخل على كلام ثم كان في ذلك الكلام تقييد على وجه من الوجوه ان يوجه الى ذلك التقييد وان يقع له خصوصا يتصور ذلك انك اذا قلت انا في القوم مجتمعين فقال قائل لم يأتك القوم مجتمعين كان تقييدك منوطا الى الاجتماع الذي هو تقييد في الاتيان دون الاتيان نفسه حتى انه ان اراد ان ينفي الاتيان من اصله كان من سبيله ان يقول انهم لم يأتوك اصلا فاما معنى قولك

مجموعين هذا لا شك فيه غاية وإذا كان هذا حكم النفي إذا هو دخل على كلام فيه تأكيد فإن التأكيد ضرب من التشديد فهي بمثابة كلما فيه تأكيد فإن شككت فذلك بوجوه إلى التأكيد خصوصا وبمع له فإذا قلت لم أر القوم كلهم أو لم يأتني القوم كلهم أو لم يأتني كل القوم ولم أر كل القوم كنت عندك بنفيك أي معنى كل جاءه وكان حكمه حكم مجموعين في قولك لم يأتني القوم مجتمعين وإذا كان النفي يقع لكل خصوصا فواجب إذا قلت لم يأتني القوم كلهم أو لم يأتني كل القوم أن يكون قد أتاك بعضهم وكما يجب إذا قلت لم يأتني القوم مجتمعين أن يكونوا قد أتوك اثنين اثنين وكما يستحيل إن تقول لم يأتني القوم مجتمعين وأنت تريد أنهم لم يأتوك أصلا لا مجتمعين ولا متفرقين لأن ذلك محال أن تقول لم يأتني القوم كلهم وأنت تريد أنهم لم يأتوك أصلا فاعرفه واعلم أنك إذا تدبرت وجدت الأمر كالنفي بما ذكرت لك ووجدت النفي قد احتذاه فيه وتبعه وذلك أنك إذا قلت جاءني القوم كلهم كان كلاما يدرج خبرك هذا والذي يتوجه إليه إنما يشك بدلالة أن المعنى على أن الشك لم يقع في بعض المجيء أنه كان من القوم على الجملة وإنما وقع في جملة الكل وذاك الذي عناك أمره من كلامك وجملة الأمر أنه ما من كلام كان فيه أمر زائد على مجرد إثبات المعنى الذي الأكان الغرض الخاص من الكلام والذي تفصل به وترجئ العقول فيه فإذا قلت جاءني زيد راكبا وما جاءني زيد راكبا كنت وسعت لذلك لأن يثبت مجيئه راكبا ونفي ذلك لا لأن يثبت المجيء ونفيه مطلقا هو إذا لا يحتمل الشك فيه واعلم أنه يلزم من شككت في هذا أنه يجوز أن يقول لم أر القوم كلهم على معنى أنك لم تر واحدا منهم أن يجري النفي هذا المجرى فتقول لا تضرب القوم كلهم على معنى لا تضرب واحدا منهم فإذا قال ذلك لزمه أن يحتمل قول الناس لا تضربهم بعضا ولكن اضرب أحدهم بعد أحد ولا أحد جميعا جميعا ولكن واحدا منهم وكفى به فسادا وقد بان لك من حال النصب أنه يقتضي أن يكون المعنى على أنه قد وقع من الضرب بعضا وترك بعضا فاعلم أن الرفع على خلاف ذلك وأنه يقتضي نفي أن يكون قد وقع منه شيء قليلا وكثيرا وإذا كان إذا قلت كلهم لم يأتك وكل ذلك لا يكون وكل هذا أحسن كنت بعيت أن يأتيه واحد منهم وأبيت أن يكون أو يحس شيء مما أشرت إليه ومما مثلت لك بعد ذلك من الشعر قوله وكيف

وكل وكل ليس بعد وحمامه ... ولا لأمري مما قضى الله مرحل

المعنى على نفي أن يبعد واحد من الناس حمامه بلا شبهة ولو قلت وكيف وليس

بعد وكل حمامه فأخرجت كلا لأفسدت المعنى وصرت كأنك تقول إن من الناس من يسلم من الحمام ويبقى حتى لا مما لا تموت كما أنك إذا قلت ليس كل رجل هذا كان المعنى أن من الناس من لا يقوله وسئله قول

فواسني ما أدري بأي سهامها ... رمتني وكل عندنا ليس بالكذب

أم الجيد أم محجر الوشاح وأنني ... لأيتهم عيني بما مع الفاحم الخضب

المعنى على نفي أن يكون في سهامها ما سكد على وجه من الوجوه ومن الذين في ذلك ما جاء في حديث ذي اليدين حين قال النبي صلى الله عليه وسلم أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن فقال ذو اليدين بعض ذلك وقد كان المعنى لا محالة على نفي الأمرين جميعا وعلى أنه صلى الله عليه وسلم أراد أنهما لم يكن واحد منهما لا القصر ولا النسيان ولو وصل إلى كل ذلك لكان المعنى أنه قد كان بعضه واعلم أنه لما كان المعنى مع إهمال الفعل المنفي في كل يحول يأتي العوم كلهم ولم أر القوم كلهم على أن الفعل قد كان من البعض ووقع على البعض ولم يأتني القوم كلهم ولكن يأتي بعضهم ولم أر القوم كلهم ولكني رأيت بعضهم فأثبت بعض ما نفيت ولا يكون ذلك مع رفع كل إلا بعد أن قلت كلهم لم يأتني ولكن يأتي بعضهم وكل ذلك لم يكن ولكن كان بعض ذلك لم تحز لأنه يؤدي إلى التناقض وهو أن تقول لم يأتني واحد منهم ولكن يأتي بعضهم واعلم أن إيجاب الناس بما ذكرنا من إهمال الفعل وترك إهماله على الجميعة وإنما الناس بإزاء آخر وهو دخول كل في حيز النفي وأن لا يدخل فيه وإنما علقنا الحكم في الأبيات وسائر ما مضى بإهمال الفعل وترك إهماله من حيث كان إهماله فيه يقتضي دخوله في حيز النفي وترك إهماله يوجب خروجه منه من حيث كان الحرف النافي في البيت حرفا لا يتصل عن الفعل وهو لما لا يكون معمولا للفعل وغير محمول يقتضي ما رأيت من الفرق ألا ترى أنك لو جئت بحرف نفي حيث انفصاله عن الفعل لرأيت المعنى في كل مع ترك إهمال الفعل مثله مع إهماله وسألت ذلك قوله

ما كل ما يتمنى المرء يدركه ... ولو

ما كل رأي الفتى يحمو إلى رشد ... كلا كما ترى غير محمل منه الفعل ومرفوع إما بالابتداء وإما بأنه اسم تام أن المعنى مع ذلك على ما يكون عليه إذا أهملت فيه الفعل فعلت ما يدرك المرء كل ما يتمناه وما يحمو كل رأي الفتى إلى رشد وذاك لأن الناس لو توجهوا في حيز النفي وذلك حاصل في الحالين ولو قدمت كلا فقلت كل ما يتمنى المرء

لا يدركه وكل راى الغى لا يد عوالى رشد لغير الغى ولصار ممن له ان يقال انّ
المرء لا يدرك شيئا مما يتمناه ولا يكون فى راى الغى ما يد عوالى رشد بوجه من
الوجوه فاعرفه واعلم انك اذا دخلت كلا فى خبر النفى وذلك بان تقدم النفى عليه
لفظا او تقديرا فالمعنى على نفى الشمول دون نفى الفعل والوصف نفسه واذا اخرت
كلا من خبر النفى ولم تدخله فيه لا لفظا ولا تقديرا كان المعنى على انك نفيت الجملة
فنفيت الفعل والوصف عنهما واحدا واحدا والعلة فى انه كان ذلك كذلك انك اذا
بدات بكل كنت قد بنيت النفى عليه وسلطت الكلية على النفى واحدثت فيه وفيما
معنى الكلية فى النفى يقتضى ان لا يصدق على عن النفى فاعرفه واعلم ان من مسائل
الوجوه والفروق ان لا تزال تجد حدثا بسببها وعلى حسبها لاغراض والمعانى التى
تعرض فيها دقائق وخبايا لا تال جدا وبهاية وانها خفيا بانكم انشرتها تجدوا حقيق
لا يمنيه لا تدركها ولا تعلم انهاهى وحتى لا تزال ترى العالم يعرض الرجوع فيه وحتى انه
ليعتصد الى الصواب فيقع فى اثناء كلامه ما يوسم الخطا كل ذلك لشدة الغفاء وغرابة
الغموض واعلم انه اذا كان لبيانى التى انه لا يحتمل الا الوجه
الذى هو عليه حتى لا تشكل وحتى لا يحتاج فى العلم بان ذلك حقه وانه الصواب
الى فكر ورويّة فلا مزيد واما يكون المزيد وجب الفصل اذا احتمل ذلك ظاهر الحال
غير الوجه الذى جاء عليه وحتما الخبر رايت النفس تنبو عن ذلك الوجه الظاهر
ورايت الذى جاء عليه حسنا وصوابا بعد ما اوانه تركته الى الثانى وشاهد
ذلك قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن ليس يخاف ان تتقدم الشركاء حسنا ورونقه
وساحذا من القلوب انت لا تجد شيئا منه ان انت اخرت فقلت وجعلوا الجن شركاء
لله وانك ترى حالك حال من نقل عن الصورة البهجة والمنظر الرائق والحسن الباهر
الى التى العقل الذى لا تخفى منه كبير طائل ولا تصر النفس منها على حاصل والسبب
ان كان ذلك كذلك هو ان للتقديم فائدة ومعنى جليلا لاجله اليه مع الناس
بيانه انا وان كنا نرى ان جملة المعنى ومحصوله انهم جعلوا الجن شركاء عبيده وهم
مع الله وكان هذا المعنى يحصل مع التاخير بحصوله مع التقديم فان تقديم الشركاء فيه
هذا المعنى ويفيد بعده معنى اخر وهو انه ما كان ينبغى ان يكون لله شريك لا من
الجن ولا غيرهم الجن واذا اخر فقيل وجعلوا الجن شركاء لله لم يفد ذلك ولم يكن فيه الى
الخبر من الاخبار عنهم بانهم عبدوا الجن مع الله تعالى فاما الكار ان يعبد مع الله غيره

وان يكون من الجن وغير الجن فلا يكون فى اللفظ مع تاخير الشركاء دليل عليه وذلك ان المقدم
يكون مع التقديم ان شركاء مفعول اول فصل وبنى فى موضع المفعول الثانى ويكون الجن
على الكلام الثانى وعلى هذا يجوز ان يكون فصل الجن واذا كان التقديم
شركاء الله مفعولا اول وبنى فى موضع المفعول الثانى ومع الانكار على ان يكون شركاء لله على
الاطلاق من غير اختصاص من شئ دون شئ وحصل من ذلك ان اعتماد الشرك من غير
الجن قد دخل فى الانكار دخول الجناية من الجن لان السمع اذا ذكرت متعلقه غير
مجراه على شئ كان الذى يتعلق به من النفى عاما فى كل ما يجوز ان يكون له ذلك الصفة
فاذا قلت ما فى الدار كرم كنت نفيت ان يكون فى الدار من كل من يكون الكرم صفة له
وحكم الانكار هذا حكم النفى واذا اخرت الشركاء فقيل وجعلوا الجن شركاء لله صار الجن مفعولا
اول والشركاء مفعولا ثانيا واذا كان كذلك كان الشركاء مخصوصا غير مطلق من حيث كان
محالا ان يجرى خبرا على الجن ثم يكون عاما فيهم وفى غيرهم واذا كان كذلك احتمل ان يكون
القصد بالانكار الى الجن خاصة وشيوعا ان يكونوا شركاء دون غيرهم جل الله تعالى عن ان يكون
له شريك وشبيه محال فاعظم الان الى ترى ما حصل من المعنى بان قدم الشركاء واعتبر
فانه سيبدو لك كثير من الامور وبعد ذلك على عظم شان النظم وتعلم به كيف يكون الاخبار
وما صورته وكيف يزاد فى المعنى من غير ان يزاد فى اللفظ اذ قد ترى ان اسر الاقدم
وناخير فانه قد حصل لك بذلك من زيادة المعنى ما ان حاولته مع تركه لم يحصل لك وانك
الى ان تستانف له كلاما نحو ان تقول وجعلوا الجن شركاء له وما ينبغى ان يكون لله شريك
لانس الجن ولانس غيرهم لم يكون له اذا فصل من كلا من من الترك والجناية وسوء
الموقع فى النفس ما تجده الان وقد فصل من هذا الكلام الواحد قوله تعالى وتجد اكثر
اخرص الناس على حياة اما انت راجعت نفسك واذكيت حسك وجدت سبيل الانكار
واف فصل على حياة ولم يقل على الحياة حسنا وروعة ولطف موقع لا تعاد ردد وجربه
تقدم ذلك مع التعريف وتخرج عن الاريحية والانس الى خلافهما والسبب فى ذلك ان
المعنى على الازدياد من الحياة لا الحياة من اصلها وذلك انه لا يعرض لاحد ما يعرض
للحياة فلا يصح منه الحرص على الحياة ولا على غيرها واذا كان كذلك صار كانه قيل
وتجدنهم احرص الناس ولو عاشوا ما عاشوا على ان يزادوا الى حياتهم فى اتى لو
فرضته حياة فى الذى يستقبل فكانك لا تقول ههنا ان يزادوا الى حياتهم الحياة
بالتعريف واما تقول حياة اذا كان التعريف يصلح حيث يزاد الحياة على الاطلاق كقولنا

كل احد حب الحياة وكره الموت كذلك الحكم في الآية والذي ينبغي ان يراعى ان المعنى الذي وصف الانسان بالحرص عليه اذا كان موجودا حال وصفك له بالحرص عليه لم يتصور ان يحصله حريصا عليه من اصله كيف ولا يحرص على الزاهن ولا الناسي وانما يكون الحرص على ما لم يوجد بعد وشبيه بتنكير الحياة في هذه الآية تنكيرها في قوله عز وجل ولكم في القصاص حياة وذلك ان السبب في حسن التنكير وان لم يحسن التعريف ان ليس المعنى بجميع الحياة نفسها ولكن على انه لما كان الانسان اذا علم انه اذا قتل قتل ارتدع بذلك عن القتل وسلم صاحبه صار بذلك حيا هذا الامر مرتبطا بسببه في مستأنف الوقت مستفادا بالقصاص وصار كأنه حي فيما يجري به واذا كان المعنى بجملة حياة في بعض اوقاته وجب التنكير وامتنع التعريف من حيث كان التعريف يقتضي ان يكون الحياة قد كانت بالقصاص مراعاة وان يكون القصاص قد كان سببا في كونها في كافة الاوقات وذلك خارج المعنى وغير ما هو الغرض وبين ذلك انك تقول لك في هذا المعنى متنكرا اذا اردت ان تجعل ذلك من بعض ما يستعمل به فان ملت بذلك به الى ان الظاهر انك جعلت كل همك به وامره وهواه لان يكون ارتداع حتى يكون هم وارادة وليس واجب ان لا يكون انسان في الدنيا الا وهمه وهمّ بسببه ان يرتدع خوف القصاص واذا لم يجب ذلك فلم يهم انسان منذ كان ذلك الهم بخوف القصاص فليس هو من هو حي بالقصاص واذا دخل الخصوص فقد وجب ان يقال حياة ولا يقال الحياة كما وجب ان يقال شفاء ولا يقال الشفاء في قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس حيث لم يكن شفاء للجميع واعلم انه لا يتصور ان يكون الذي هم بالقتل فلم يقتل لخوف القصاص مرتدعا الا على الجملة وان يكون القصاص افاده حياة كما افاد المقصود قبله وذلك ان هذا حيا انما هي لمن كان يقتل لولا القصاص فيرتدع لذلك فمحال في صفة القاصد لقتل ما صح في وصفه ما ينوكما لنضده لهذا وهو ان يقال انه كان لا يخاف عليه القتل لولا القصاص واذا كان هذا كذلك كان هذا وجها ما لنا في وجوب التنكير [illegible] واعلم انه لا يصادف القول في هذا الباب موقعا من السامع ولا يجد له به قبولا حتى يكون من اهل الذوق والمعرفة وحتى يكون ممن يجد في نفسه بان لما نومي اليه من الجنس واللطف اصلا وحتى يختلف الحال عليه عند تأمل الكلام فيجده الآن يحيه مرة وتعرض منها اخرى وحتى اذا عجبته عجب واذا اوسنه فوضع المزية انسه فاما من كان خالا

والوجهان عنده اجد اعلى سواء وكان لا يتعقد من امر النظم الا الصورة المطلقة والامر ظاهر فما اقل ما يحتاج الكلام معه الى فكر فيمكن من هذه صفته عندك ممن له من عدم الانسان يوزن الشعر والذوق الذي يفهمه به والطابع الذي يميز صحيحه من مكسوره ومن جيده من رديه وما خرج من البحر صالح يخرج منه فيما انك لا تستدرك له ولا تكلف تعريفه فعلى انه قد عدم الاداة التي معها يعرف والحاسة التي بها يجد فليكن قد حك في زنده وارى ذلك في عودك فطبع منه في نار واعلم ان هؤلاء وان كانوا ممن لا ذوق له العلم بهذا الباب فان من الادلة ايضا ممن رام انه لا سبيل الى معرفة العلة في قليل ما يعرف المزية فيه وكثير وان ليس الامر كذلك ان يعلم ان هذا التقديم اوهذا التنكير وهذا العطف وهذا الفصل حسن وان له موقعا من النفس وحاصلا من القبول فاما ان يعلم لم كان كذلك وما السبب فلا سبيل اليه ولا مطمع في الاطلاع عليه او يكون سواء عنده والكمال فيه في حكم سواء فذلك واعلم انه ليس لعالم يمكن معرفة الكل فقد وجب ترك النظر في الكل بان تعرف العلة والسبب فيما امكنك معرفة ذلك فيه وان قل فتجعله مثلا هذا فيما لم تعرف ان تعرف من اين تشرب باب المعرفة على نفسك وتأخذها عن العلم والفهم وتعودها التأمل والتصويبا قال الجاحظ وبالجملة كثيرا ما تجري النسبة المتباينة والمضرة متقاربة ومرة مرة فمن امرة ذلك تواضعهم لم يدع الاول للآخر شيئا قال وليوان على اكل عصر ما ذخرت هذه الكلمة في اتهامهم تركوا الاستنباط لما لم يبلغه الهم عن فاتهم لرأيت العلم مختلا واعلم ان العلم انما هو معدن فكما انه لا يمتنع ان يترك الوقت وفرقه اخرت من معدن تبرا ان تطلب فيه وان تأخذ ما تجد ونوكده ونؤسسه كذلك ينبغي ان تصنع وان يكون رائدك في طلب العلم ومن اسأل التوفيق هو

هذا في من اختار لم يذكر فيما تقدم اعلم ان طريق المجاز والاتساع في الذي ذكرناه قبل ذلك ذكر الكلمة وانت لا تريد معناها ولكن تريد معنى ما هو رديف له لوجود ما يجوز به ذلك في دلالات الكلمة وفي اللفظ نفسه واذا قد عرفت ذلك فاعلم ان في الكلام مجازا على هذا السبيل وهو ان يكون التجوز في حكم يجري على الكلمة فقط ويكون مستقرا كما ترى ظاهرا ويكون معناها مقصودا في نفسه ومرادا من غير تورية ولا تعريض للسامع فيه قولهم نهارك صائم وليلك قائم ونام ليلي وصلى هي وقوله تعالى فما ربحت تجارتهم وقول الفرزدق

سعتها خروق في المسامع لم تكن ، عطاشا ولا محبوبة في لئامها .

انت ترى مجازا في هذا كله ولكن لا في ذوات الحكم وانما في الالفاظ ولكن في احكام اجريت عليها فالاول انك لم تجد ذوي جوكيفما دارك صائم ولا ذلك قائم في نفس صائم وقائم ولكن ان اجريتهما خبرين على الليل والنهار وكذلك ليس المجاز في الاسد في لفظه ومعناه ولكن في اسناده الى الحجاج وهكذا الحكم في قوله ستنزلها حيث ذوق لنفس العجوز في نفس سعتها ولكن في ان اسندها الى الخمر وفي قولك انك لا ترى منها الا وقد اريد به معناه الذي وضع له على حقيقته وحقيقته فلم يرد بصائم غير الصوم ولا بقائم غير القيام ولا بحرث غير الزرع ولا بسقت غير السقي كما اريد بسالت في قوله وسالت باعناق المطي الاباطح غير السيل واعلم ان الذي ذكرت لك في المجاز هناك من ان من سأنه ان يحمل عليه المعنى وحدث فيه الشاهة قائم لك مثله هيهنا فلس شبيهه على عادة ان ليس كحال المعنى وموضعه من النفس في قولك سالت وسيل وعلى هي كالم يكن الحال في قولك رأيت اسدا كالحال في قولك رأيت رجلا كالاسد ومن ذا الذي يخفى عليه مكان العلو وموضع المرتبة وصورة الغرابة من قوله تعالى شأ ونحت بحارنهم وان اردت ان تزداد للامر تبيينا فانظر الى قول جرير

عمى اذا اخرج السيوف مسائا ، ضرب تطير له السواعد ارعل

والى الالفة وما تآلفه من الطلاوة ثم ارجع الى الذي هو الحقيقة وقل عمى اذا اخرج السيوف بضرب تطير له السواعد ارعل ثم اسبر نفسك وانظر هل ترى ما كنت تراه شيأ وهذا الضرب من الحجاز على جدته كثير من كنوز البلاغة ومادة الشاعر المفلق والكاتب البليغ في الابداع والاحسان والاتساع في طرق البيان وارجح بالكلام مطبوعا مصنوعا وان يضعه بعيد المرام عزيز المرتام ولا يطرق سمع امرء الا بكر بكر حتى يقرع الرجل بقوله اني بك الشوق الى لقائك وسار بي الحنين اليك وبك واقد مني بلدك حتى على انسان واشباه ذلك مما تجده لنفسه وتشربه بحري بحري الحقيقة التي لا تشكل امرها فلس هو كذلك لبدأ بل بدق ويلطف حتى يمتنع مسلكه الا على الشاعر المفلق والكاتب البليغ وحتى يأتيك بالبدعة لم تعرضها النادرة ما يلقى لها وحملة الامر ان سبيل الضرب الاول الذي هو مجاز في نفس اللفظ وذات الكلمة كما ان من الاستعارة والمثل مما يعرفه الجميع مثل رأيت اسدا ورأيت بحرا وشاهدت بدرا وسل من رابع سيفا ماضيا وخاطبا لا كلمة لك احد مثل قوله وسالت باعناق المطي الاباطح كذلك الامر في هذا المجاز الحكمي واعلم انه

ليس بواجب في هذا ان يكون الفعل فاعل بالحقيقة اذا انت نقلت الفعل البه عدت به الى الحقيقة مثل انك تقول في قاربحت تجارتهم فارحوا في تجارتهم وفي عمى اخرج السيوف مسائا ضرب عمى مسائا ضرب فان ذلك لبيان في كل شيء لا ترى انه لا يمكنك ان تثبت الفعل بقولك اقدمني بلدك حتى لي على انسان فاعلا غير انك لا تستطيع في قوله

وصيرف هواك وفي يصبني بضرب المثل وقوله

يزيدك وجهه حسنا اذا ما زدته نظرا

ان تزعم ان لصيرف فاعلا قد نقل عنه الفعل فجعل للهوى كما جعل ذلك في وجه تجارتهم وعمى مسائا ضرب ولا تستطيع كذلك ان تقدر ازديد في قوله يزيدك وجهه فاعلا غير الوجه تالاعتبار اذا بان يكون المعنى الذي يدل عليه الفعل موجودا في الكلام على حقيقته معنى ذلك ان القدر الذي قولك ازديد حتى حتى اعمل انسان موجود على الحقيقة وكذلك الضرب في قوله يزيدك وجهه موجود تا على الحقيقة واذا كان معنى اللفظ موجودا على الحقيقة لم يكن المجاز فيه نفسه واذا لم يكن المجاز في نفس اللفظ كان لا محالة في الحكم فاعرف هذه الجملة واحسن سبطها حتى تكون على بصيرة من الامر ومن التطبيق قوله حاجر من عوف

ابى غدر الفوارس يوم داج ، وعمى مالك ووضع انبهانا ،

فلو شاهدتنا لرضيت عنا ، اذا لم يعبق الماء الفلانا ،

يريد اذا كان العام عام جدب وحفت حروع الابل وانقطع الدر حتى ان جلت منها ما لم يجل من قبل ما كون غيوث علام واحد فالفعل الذي هو عبق مسند في نفسه على حقيقته غير مخرج من معناه واصله الى معنى على اخر ويكون قد دخلت مجازا واما المجاز في ان اسندت الابل وجعل فعلا لها واسناد الفعل الى الشيء حكم في الفعل وليس هو نفس معنى الفعل فاعرفه واعلم ان من سبب اللطف في ذلك انه ليس كل شيء يصلح لان يتعاطى فيه هذا المجاز الحكمي فيرى له بل يجد ذلك في كثير من الامر وانت تحتاج الى ان تبغي الشيء وتصطنعه لذلك حتى تتوخاه في النظم وان اردت مثالا في ذلك فانظر الى قوله

تناس طلاب العامرية اذ نأت ، بأحور قال النحي بالنحر

اذا ما احسنه الا ناحي تمرت ، سواه الا ناحي من سلمه عمد

بحوب له الظلماء عين كأنها ... وحاجبه سرب غرير حلاي لا صغر

يصف حملا ويريد انه يصيدني بنور عينه في الظلماء ويمكنه بها ان يحرقها ويعميها ولولا هذا كانت الظلماء كاسدة والحاجز الذي لا تحد شيأ يرجه به ومحصل لفظه صبيحا فاتت الآن نعلم انه لولا انه قال بحوب له فعلق له بحوب لما صلح الخبر لان مبتدء بحوب الزنا ولكان لا يبين جهة النور التي في جعل الحوب فعلا العين كما هي وكذلك نعلم انه لو قال مثلا بحوب له الظلماء عينه لم يكن له هذا الموقع ولا صلحت عليه معناه والفطع السلك من حيث كان بعينه حسن ان يصف العين بما وسمها به الان فتامل هذا واعتبر فضله الرئاسة وهذا الاستعداد في هذا الجار الحكمي بطبعه تراك في الاستعارة التي هي مجاز في نفس الكلمة واحتياج في الامر الاكثر الى ان تجرد لها وتقدم او تؤخر ما تعلم به انك مستعير ومشبه وتفتح طريق المجاز الى الكلمة الا تري الى قوله

وساعة من فصله شكلي بها ... على اروس الامران خمس بحاجب

عنى بخمس بحاجب اناملة ولكنه لم يات بهذه الاستعارة دفعة ولم يرمها اليك بغتة بل ذكر ما هي عليها وبتدلك به عليها فذكر ان هناك ساعة وقال من فصله فبين ان تلك الساعة من نسل سيفه ثم قال على اروس الامران ثم قال خمس فذكر الخمس التي هي عدد الاصابع فبان من مجموع هذه الامور غرضه واشتد الغمز الاعراف فان تعافوا العدل والايمانا ... فان في ايماننا بيرانا

سيريد فان في ايماننا سيوفا نضربكم بها ولولا قوله اوا فان تعافوا العدل والايمان في ذلك دلالة على ان خوابيه انهم مجاربون ويتبرؤن على الطاعة بالسيف قوله فان في ايماننا لما عقل مراده ولما جاز له ان يستعير البران للسيوف لانه كان لا يعقل الذي يريد لانا وان كنا نقول في ايديهم سيوف تلمع كالنار شديد كما قال ... ناهضتهم والنار فات كانها ... شعل على ايديهم تلتهب

فان هذا التشبيه لا يبلغ مبلغ ما يعرف مع الاطلاق كمرضنا اذا قال رايت اسدا انه يريد الشجاعة واذا قال لقيت شمسا وبدرا انه يريد الحسن والمعنوي تلك القوة ومما طريق المجاز فيه الحكم قوله الحسنا

ترنح ما ترنحني اذا ... اذكرت فاتمامي امال وادبان

وذاك انهم نزعوا بالاقبال والادبار عن معنى مما فكون قد جوزت في نفس الكلمة

وانما جوزت في ان جعلتها تكرة ما تفعل وتدبر وفعلته ذاك عنها وانساك سرها وانه لم يكن لها حال غير ما كانها فصحت من الاقبال والادبار وانما كان يكون المجاز في نفس الكلمة لو انها كانت قد استعارت الاقبال والادبار لمعنى غير معناها الذي وضعاه في اللغة ومعلوم ان ليس الاستعارة مما اراده ثم في شيء واعلم انه ليس بالوجه ان يعود هذا مع الاطلاق معتدا حذف مضاف واقيم المضاف اليه مقامه مثل واسال القرية ومثل قوله النابغة

وكيف تواصل من اصبحت ... خلالته كابي مرحب ... وقوله الاعراف

حسبت بغام راحلتي عناقا ... وما بي يا سلمى غيرك بالعناق

وان كنا نراهم يذكرونه حيث يذكرون حذف المضاف ويقولون انه في تقدير وانما هي ذات اقبال وادبار فاك لان المضاف المحذوف من نحو الآية والبيت في سبيل ما يحذف من اللفظ ويراد في المعنى كقول ان تحذف خبر البسه او المبتدا الذي الفعل في سائر ما اذا حذف كان في حكم المنطوق به وليس الامر كذلك في بيت الحماسة الا اذا جعلنا المعنى فيه الآن كالمنطوق اذا عدنا فانما هي ذات اقبال وادبار اسندنا الشعر على انفسنا وخرجنا الى ما يسئول والى الكلام عامي مردول وكان سبيلنا سبيل من يزعم سلامى بيت المستهتر في

بدت ثم ما مالت خوط بان ... وفاحت عبيرا ورت عرفا لذا

اعني تقدير محذوف وانه معناه الآن كانه في اذا قلت بدت مثل قمر ومالت مثل خوط بان وفاحت مثل عنبر ورت مثل عرفي الى ما تخرج الى العناية نحو الى عمرو الطاعة عن سلطانها وتخصص من شائها وتصيرها وتخصها عن مجاسها وتسيرها باب المعرفة بها وبلطايفها فيتاتى لها فوجه ان يكون تقدير المضاف في هذا على معنى انه لو كان الكلام وتدعى به على ظاهره ولم يقصد الى الذي ذكرناه من انها نعت والتنا وان نجعل الفاظه كانها وقد صارت محتملها اما الاقبال والادبار كانها قد تحسن سرها لكان حسنه ان يجاء به بلفظ الذات ويقال فاتمامي ذات اقبال وادبار فاما ان يكون الشعر الآن موضوعا على ارادة ذلك وعلى تعرف مراد المنطوق به حتى يكون الحال فيه كالحال في حسبت بغام راحلتي عناقا واحتى كان المعنى والقصد ان تقول حسبت بغام راحلتي بغام عناق لان الامساع اذا عدت كان [illegible]

بعدما وذكرنا هربنا لان هذا اتصالا بعدا الذي صار بنا القول اليه قوله تعالى
ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي لمن اعمل قلبه فيما خلق القلب له من التدبر
والتفكر والنظر فيما ينبغي ان يتطرق اليه فعبر عن ان يجعل الذي لا يعي ولا يسمع كالغير
ولا يتفكر كانه لا قلب له من حيث ان الانتفاع به وفائدته الذي هو فائدة القلب ع
والمطلوب منه كالعدم الذي لا يتمتع ببصره وسمعه ولا يفكر بما يورد بان اليه
ولا يعمل من رديته ما يرى وسماع ما يسمع على فائدة ممن لا يسمع له ولا يبصر
فاما تعبير من يعبر على انه يعني من كان له عقل فانه انما صح على ان يكون قد
اراد الدلالة على الغرض على الجملة فاما ان يوجد به على هذا الظاهر حتى كان اصل
اسم للعقل كما يتوهمه الجهور من لا تعرف مخارج الكلام فمحال باطل لانه يودي ان
ابطال الغرض من الاية والتحريف الكلام عن سورته وازاله المعنى عن جهته
وذلك ان المراد به الحث على النظر والتفريع على تركه وذم من يخل به ويعمل عمله
ولا يصل ذلك الا بالطريق الذي قدمته والان يحمل من لا تعقله تقليه كالحجر
ولا يتذكر كانه ليس بذي قلب كالجعل كانه حمار وكانه ميت لا يشعر ولا يحس وليس
سبيل من فسر القلب هاهنا على العقل الا سبيل من فسره عليه السمع والبصيرة قول
الناس هذا بين لمن كان له عين وظن كان له سمع وفسر العمى بالصمم والموت في سمعه
من وصفه بالجهالة على مجرد الجهل واجرى جميع ذلك على الظاهر فالجواب ومن عادة
قوم من بعالج التفسير بغير علم ان يتعمدوا البدا في الالفاظ الموضوعة على الجهار
والمثل الصاعد على ظواهرها فيفسدوا المعنى بذلك ويطلوا الغرض ويمنعوا السمع
والسامع سنهم العلم بموضع البلاغة ومكان الترغيب والترهيب فاذا اخذ واني ذكر
الوجوه وجعلوا يكررون في قبيل طائل هناك ترى ما سبيت من اب جهل وما نحوه وترك
جملة له وقد رجوابه وسيأتيه العصمة والتوفيق ع فصل هذا فان
من الوجوه دقيق المسلك لطيف الماخذ وهو انا نريهم كانهم يعترفون في نفس الصنعة
بان يدعوا بها مذهب الكناية والتعريض كذلك يدعون في اثبات الصنعة هذا
المذهب هذا الذي واذا تعلموا ذلك بدت هناك محاسن تملا الطرف وتفاجئ
بحر الوصف ورايت هناك شعرا شاعرا وسحرا ساحرا وبلاغة لا يكل بها
الشاعر المفلق والخطيب المصقع وكان الصنعة اذا لم تاتك مصرحا بذكرها ملكوا
عن وصفها ولكن مدلولا عليها بصفة ما كان ذلك الحكم لشاعها والعلم لكانها كذلك

اسالك الصنعة التي وصفتها له اذا لم يلجئه الى التسابع صريحا وحسبه من جاء التعريض
والكناية والرمز والاشارة كان له من الفضل والمزية والحسن والرونق ما لا تفضل
فيه ولا يجهل موضع الفضيلة فيه وتفسير هذه الجملة وشرحها ان مرد وصف
الرجل ومدحه واثبات معنى من المعاني الشريفة له هو العلم بذلك والعلم
عرض جعلها الله تعالى التي يتوصل اليه ويتدبس به ويتوصلون في الجملة الى اراده وا
من الاشياء لا من الجملة الظاهرة المعروفة بل من طريق خفي ومسلك دقيق
ومسالة قوله زياد الاعجم

ان السماحة والمروة والندى ... في قبة ضربت على ابن الحشرج

اراد كما لا يخفى ان يثبت هذه المعاني والاوصاف خلالا لابن الحشرج وضرب فيه ومدح
ان يعرج فيقول ان السماحة والمروة والندى محصورة في ابن الحشرج او مقصورة
عليه او مختصة به او ما شاكل ذلك مما هو صريح في اثبات الاوصاف المذكورين لها
وعدك ان ما ترى من الكناية والتلويح لجعل كونها في القبة المضروبة عليه عبارة عن
كونها فيه واشارة اليه فخرج كلامه بذلك الى ما خرج اليه من الخزانة وظهر به ما انت
تراه من الفخامة ولولاه اسقط هذه الواسطة من الين لك ان لا كلاما عقلا وحدسا
ساء جاء هذه الصنعة في طريق الاثبات هي بطبع الصنعة في المعاني اذا جاءت كثيرا
من معان اخر نحو قوله

وما بك في من عيب فيالق ... جبان الكلى مهزول الفصيل

وكما انه انما كان مرمى امر الشعر ومما يقع في الاختيار لاجل انه اراد ان يذكر همه
بالعرى والمسافة وكان يمكن عن ذلك بجبن الكلب وهزال الفصيل وترك ان يصرح فيقول
مد عرف ان جيادي مالوف وكلبي موصوف لا يضيرني في وجوه من يعنيني من الاضياف
واني لجير الحي ان الى وادع فسلكها هذا المسلك لذلك انما اراد ان يذكر همه
بانه الضيافة والمروة والندى كانه في الممدوح بجعلها كانه في القبة المضروبة
عليه هذا وكما تعلم من شان الكناية الواقعة في نفس الصنعة ان هي على هذا الحد لم يكون في
ذلك ما يقتضي انه كان في الكناية عن الصنعة نفسها ما مر من هذا الكلام في قوله
يزيد بن الحكم بن زيد بن الدباب وهو في جعفر الحجاج

اصبح في بيت السماحة والحمد ... وفصل الصلاح والحسب

لواء نظير البيت زياد ونعلم ان مكان القيد هنا هو مكان القيد هناك كما انك
تنظر الى قوله حسان الكلب معلم انه نظير لقوله « زجرت كلابي ان تهر عقورها
من حيث لم يكن ذلك الحين الا لان ثم منه الزجر واستمر حتى اخرج الكلب بذلك
هو عاد به من الصوت والصيح في وجه من يريد من لان يعيش دوقها وينظر
الى قوله مهرول الفصيل فتعلم انه نظير قوله من هزيمة
« لاسبع العود بالفصال » وتنظر الى قول نصيب لعبد العزيز على تويه
وغيره « اخرج على تويه وغيرهم حين ظاهره « ضايك اهل البادية ودارك
ما هولة عامره ، وكلبك انس بالزائرين « من الام بالابنة السرائر »
فتعلم انه من قوله الاخر
« يكاد اذا ابصر الضيف مقبلا ، يكلمه من حبه وهو اعجم »
وان بين ما قرابة شديدة وسببا لاصقا وان صورتهما في عرف المناسب صورة
معنى زياد وزيد ومما هو اثبات الصنعة على طريق الكناية والتعريض فوصف المجد
على تويه والكوم في بردته وذلك ان قائل هذا توصل الى اثبات المجد والكرم
للممدوح بان جعلهما في تويه الذي لبسه كما توصل زياد الى اثبات السماحة والمروة
والندى لابن الخرشب بان جعلها في العنبة التي هو حالس دونها ومن ذلك قوله
« وحسبما بك ان مسلح تكن ، ومما جاء بمعناه قوله
« يصير لبان قرن السماح ، والمكرمات معا حيث صارا »
وقوله اي نواس
« فما جاره جود ولا حال دونه ، ولكن يصير الجود حيث يصير »
كل ذلك توصل الى اثبات الصنعة في الممدوح باثباتها في المكان الذي يكون فيه وال
لزومها له بلزومها الموضع الذي حله وهكذا ان اعتبرت قول الشنفرى تصف
امراة بالعفة « تبيت بمعطاء من اللوم بينها ، اذا ابيضوت بالمذاكير حلت »
وجدته قد جعل معنى بيت زياد وذلك انه توصل الى نفي اللوم عنها واعادها عنه
بان نفاه عن بيتها وباعد بينه وبينه فكان مذهبه في ذلك مذهب زياد في الاول
الى جعل السماحة والمروة والندى في ان الخرشب بان جعلها في العنبة المضروبة عليه
واما الفرق ان هذا ينفي وذلك يثبت وذلك فرق لا في موضع الجمع فهو لا يمنع ان يكونا
من باب واحد ومما هو في حكم المناسب لبيت زياد واشباهه التي ذكرت وان كان

قد اخرج في صورة اعرب وابدع قول حسان
« بنى المجد بيتا فاستقرت عماده ، علينا فاعيى الناس ان يتحولا »
وقول العبدي
« اوما رايت المجد القى رحاله ، في ال طلحة ثم لم يتحول »
ذلك لان مدار الامر على انه جعل المجد والممدوح في مكان وجعله يكون حيث يكون
واعلم انه ليس كل ما جاء كما جاء في اثبات الصنعة يصح ان يحكم عليه بالمناسب معنى
هذا ان جعلهم المجد والكرم والمجد عرض ممرض الممدوح كما قال العبدي
« فلا زلتنا نعود المجد من وعكك الذي وجدت وقلنا اعظم عوك المجد
وان كان يكون من القصد منه اثبات المجد والمجد للممدوح فالصحيح ان يقال
انه نظير لبيت زياد كما قدمنا ذلك في بيت ابي نواس ولكن يصير المجد حيث يصير
وغيره مما ذكرنا انه نظير له كما انه لا يجوز ان يجعل قوله وكلبك اروف بالزائرين
مثلا نظيرا لقوله مهرول الفصيل وان كان العرض بهما جميعا الوصف بالعرف
والضيافة وكما يجمعهما كما يجمع بين معنى واحد لان تعاقب الكنايات على المعنى
الواحد لا يوجب تناسبها لانه في هذا وفي ان تعلق الاشعار الكثيرة في كل واحد
بالسماحة مثلا او المجد وما شبهه ذلك وتجتمع في البيت الواحد كما يناسب
المعنى بعضها بعضا واحد لا يكون احدها نظيرا لحكم النظير الاخرى مما ذلك
انه لا يكون قوله حسان الكلب نظيرا لقوله مهرول الفصيل لكل واحد من هذين
الكنايتين اصل بنفسه وحسن على حدة وكذلك قوله ان هزيمة لا يدع العود
بالفصال ولا اتباع الى يزيد الاجل ليس احدى كنايتيه في حكم النظير الاخرى وان
كان لكل واحد منهما عنه واحدا اذا عرفته وليس يشعب هذا الاصل ويرجعه واشباهه
وصوره وطرقه ومسالكه حد ورسم يمشي ومن لطائف ذلك وبادره قول ابي تمام
« ابين فما ترين سوى كوكبه ، وحسبك ان ترين الباسعيد »
ومثله وان لم يبلغ مبلغه قول الاخر
« متى تاتهم من كل يوم ، وسلة من حمد مرتهم »
وكذلك نقض قول العرف
« اذا الله لم يسق الا الكرام ، فسقى وجوه بني السل »
« وسقى بارض سراكا ، من تحيتي ومن محجل »

ومن منه عرب قول بعضهم في البرامكة

سالت البذي والجود ما لي اراكما ... تدلهما لا يعرف موجد

وما بال ركن المجد اسى مهدما ... فقالا اصبنا بابن يحيى محمد

فما لكما لا تسمحان بمثله ... فانكما عنه في كل مشهد

فقالا اقمنا في حرى نفقده ... مساءة يوم لم يسؤنا في غد

[illegible] واعلم ان مما يعض الطريق الى معرفته ما نحن بصدده ان هذا فروق خفيه تجاهلها العامه وكثير من الخاصه ليس امرهم محمولا بانهم في موضع ومعرفة في اخر بل لا يجاوزون الصاهي ولا يحلونها في جده ولا تفضل روى عن ابن الانباري انه قال ركب الكندي المتفلسف الى ابي العباس وقال له اني اجد في كلام العرب حشوا فقال له ابو العباس في اي موضع وجدت ذلك فقال احد العرب يقول عبد الله قائم يقول ان عبد الله قائم ثم يقولون ان عبد الله لقائم فالالفاظ الثلاثة والمعنى واحد فقال له ابو العباس بل المعاني مختلفة لاختلاف الالفاظ فقوله عبد الله قائم اخبار عن قيامه وقوله ان عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل وقوله لقائم اخبار عن قيامه جواب عن انكار منكر قيامه فقد تكررت الالفاظ لتكرر المعاني فما اجاب المتفلسف جوابا فانصرف الكندي يذهب على حتى ركب فيه ثم سمع او معرض فانتبه بالعامه ومن هو في عداد العامه ممن لا يخطر شيء منها ببالهم واعلم ان هذا فائق لولا الكندي استغزى وتصحح وتبع مواقع الغلط النظر واكثر الناس يرى علم ضرورة ليس سواد خوطها وان لا بد دخل فاول ذلك ان تعلم ما قد ذكرناه في بيت شاعر

اسرا ساحتي قبل المحير ... ان ذاك النجاح في التبكير

وما انشده بعضه من قول بعض العرب

فقلت وهي كذاك الصدا ... ان غنا الابل الحدا

وذلك انه عمل مما بين في الغايه وادل على ان ليس سواد خوطها وان لا بد دخل سر اك من الجمله اذا هي دخلت ترتبط مما قبلها وما تلفظ معه وتحدد به حتى كان الكلامين وقد امرها امرا واحدا وكان احدهما قد سد في الاخر هو هي الصوره حتى اذا جئت ان فاسقطتها رايت الثاني منهما قد بناء على الاول وبحاني معناه حتى معناه ورايته لا تتصل به ولا تكون منه سبيل حتى يجيء الفاعل مفعوله كما اسا حتى

ان المحير منذ اك النجاح في التبكير وقولها وهي ذاك الصدا عنا الابل الحدا ثم لا ترى الفاضل عبد الحميد بن ابي ياكاسا عليه من الاناءه ولا يزد عليك الدرك كنت تجد بان من العيب وعدة الضرب كثيرة التنزيل جدا من ذلك قوله تعالى ياايها الناس انقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم وقوله عز اسمه يا ايها الذين امنوا اقيموا الصلاة وامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر واصبروا على ما اصابكم ان ذلك من عزم الامور وقوله سبحانه خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم ومن ابين ذلك قوله تعالى ولا تحاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقد يذكر ربي الانيه الواحده كقوله عز وجل وما ادري ما ان اسس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم وهي على الجمله من اكثر عدد لا يدركها الاحصاء ومن حسابها ما ذكرنا لعمر الامر والسنان معاذ الله والله سلاما زاد امامي امر يدخل عليه بل يراه لا يصلح حتى صلح الاعطاء وذلك سلوك الله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله انه من يحاد الله ورسوله وقوله من عمل سيئا فجزاء مثلها وقوله انه لا يفلح الكافرون ومن ذلك قوله فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما وقوله الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملان جهنم الآيه وقوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض قل الله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين فاما الا ترى ان قوله قل الله قد سد مسد الجواب الذي هو انا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وقوله تعالى ان الذين كفروا سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ومن هذا الباب وان كان ما تجده في اخر هذه الابيات اشد هذا فاجا لبعض المحدثين وهو

اذا ما لمتني يوما عراك فضوته ... كما بت باس كرها وطرادها

اكر عليها دأبي والمساء كثيرة ... اعالج منها جمرها والتهادها

وارمي بها عاص بحر اخرانه ... هو الري ان ترمي النفوس مرادها

المقصود قوله انه هو الري فقال ان الضمير في انه يحتمل امرين احدهما ان يكون ضمير الامر وقوله وهو ضمير ان رمى وقد اسمع قبل اذ كر على شريطة التفسير الاصل الآخر ان رمى النفوس مرادها هو الري ثم اضمر قبل الذكر كما انه مرت الاشارة في بيت الاغلب العجلي الذي مر مستشهدا به في اخر الكلام تعلم بذلك ان الضمير السابق لهو ايام المراديه والثاني ان يكون الهاء في انه ضمير ان رمى قبل الذكر ويكون هو فصلا ويكون اصل الكلام ان ان رمى النفوس مرادها هو

واحد او الحسي بادخالها الجوف هو الذي يكون الضمير فيها الاضمار قبل الذكر على شريطة التفسير وقد مضى ذكره فيما سلف من هذا الوجه كما كان في الوجه الاول فاعلم ذلك فانه مما عرض في هذا الفصل

الوزير امير على جزيرة النسر وان الامير كان قاله لابد منه من ان ولا سبيل الى
اسقاطها لانك ان اسقطتها افضى ذلك بك الى شئ سمج وهو ان تقول وارض بها من
بحر آخر هو الوزن ان رضي النفوس تمادها هذا وفي ان هذه شئ آخر يوجب الحاجة اليها
وهي لفظة اولى من ربط الجملة بما قبلها نحو ما ذكرت لك في بيت بشار الاخير الذي لك
واسقطت ان والضمير من معها وانتصرت على ذكرها يجلي من الكلام لم تحتله الا بالقلق
وارضي بها من بحر آخر هو الوزن ان رضي النفوس تمادها فالوان الذي وصف فذلك بيع
هذه المواضع لما ظن الذي ظن هذا واذا كان يخالف الاخضر وهو الغدير وهو من زهده
عنه ومن هو حيث يقول الشعر بخلاه النحول والجاهلين بتحريف ذلك له وبحوز
يستدبه ما يحسن به عليه يحق بقع له ان يتعقد على بشار فلا عبرة ان دخل الشبهة
في ذلك على الكندي وما تصنعه ان في الكلام لك مواقعا تبني النكرة وتصطلها لان تكون
لها حكم المبتدا اعني ان تكون محدثا عنها بحدث من بعدها ومثال ذلك قوله

ان سوا ونشوة وشباب النازل الاموات

فقد ترى حسنها وصحة المعنى معها لك ان جئت بها من غير ان فعلت سوا ونشوة
لم يكن كلاما فان كانت النكرة موصوفة وكانت لذلك صلح ان يبتدا بها فان تراها مع
ان احسن وتري المعنى حينئذ اولى بالصحة وامكن انك لا ترى الى قوله

ان دهرا لف شملي بسعدى لزمان يهم بالاحسان

ليس بحسن وان كان يستقيم ان تقول دهر يلف شملي بسعدى دهر صالح ان تغير
الحالان على سوا وكذلك ليس يخفى لك لو عدت الى قوله ان امرا اداد حاجة من جواز
تعلقك فاسقطت منه ان لعدمت الحسن والطلاوة والتمكن الذي انت واد
الان وحدت ضعفا وفتورا ومن بان ترى ان في الجملة التي هي قوله اذا كانت نهارا عن
الخبر في بعض الكلام ووضع صاحب الكتاب في ذلك بابا فقال بعد ان ساق حسن الكلام
عليه في هذه الامور الحسنة لانك ما لم تكن مستقرا لها موضعا لوظيفة وتعبره
الضمير يعني المظهر وذلك ان مالا وان ولدا وان جدودا اي ان اهم مالا فالذي اضرب هو
لهم ويقول الرجل لصاحبه هل لك احد من الناس اثب عندكم فيقول ان زيدا وان عمرا
الى لنا وان السلطان بحلا وان مرجلا وان في السعر ان نصوا رخيصا وغلا ويقول ان
غيرها الا سا كانه قال ان لنا وان عندنا غيرها قال والتصريف الابل والناس
كاصحاب الفارسي اذا قلت ما في الناس مثله فارسا ومثل ذلك قوله ع

بالبيت الامر الحجي واذا قال فقد اكد الامر الا ترى انك لو قلت ما زيد الا يقوم
الحجي ابدا لم تر واحدا وقد اراك في هذا الكلام ان الخبر محدد وقد ترى حسن الكلام
وصحته مع جده وهو ترك النطق به ثم ان عمدت الى ان تاسقطتها وجدت الذي كان
حسن من حذف الخبر لا يحسن الا لسوغ فلو قلت مالك وعمدة ومحل مرحل عنها
الا وشا لم يكن شيا وذلك ان ان كانت السبب في ان حسن حذف الذي حذف من اجله
والغاما حسنه والموجع عنه والمكمل شأنه اعلم ان الذي قلنا في ان من اغراضه دخل
على الجملة اذا هي اسقطت مزيلا ان تاج فيها الى انا لا نطرد في كل شئ وكل موضع ان يكون
في موضع دون موضع وحال دون حال فانك تراها قد دخلت على الجملة ليست هي
بحالة تقضي العادة ذلك فيها لا يحصى كقوله تعالى ان المتقين في مقام امين في جنات
وعيون وقد ذكر ان هذه ان هذا اكثر ما تقرون والمتقون في جنات وعيون لم تكن
كلاما وقد ذكر قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لانك
قد ذكرت ان فيها ما قد ذكر وهم فيها لا يحزنون والذي سبقت لهم منا الحسنى لم تجد له ذلك
العاصمة وتلقاه قد ذكر قوله ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى
والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة الذين امنوا اسم ان وما
بعده معطوف عليه وقوله ان الله يفصل بينهم يوم القيمة خبر ان وجواز
ان يكون الخبر لا يعطف على المبتدا ومثاله سوا ان الذين استوا وهم لا يصلون
ايضا لانك لا تجد لا يعطف على المبتدا اما يكون الذي ذكرنا في الجملة من حذف ايضا
ايضا العائد ان كان مصدرا بها مصدر بالكلام صحيح بها قبله وصحيح اه ومن وجه
العائدة فيه الاخرى ان العرض من قوله ايده الله الحجاج في استكراه بين الامرين في
قوله لصاحبه بكرا واد يجيء لصحته في الامر بالتبكير ومن وجه العائدة فيه ذكر
الحكمة الاولى بلوغا فيه قوله ان زيادة الساعة من عظيم سان الفوت في قوله
ايضا الناس يغدو اكثر ولم امروا بالتغدي وكذلك قوله ان من لواك سكن لهم شان
الضمير في امرا اني يصل الله عليه وسلم بالصلاة عاد بهم اي بالله عاجلا وهذا اول مسئل
كل ما ترى فيه الجملة يحتاج فيها الى انا فاعرف ذلك فاما الذي ذكره عن الناس
من جعله نه جواب سائل اذا كانت وجه فهو جواب منكر اذا كان معها الام الذي يدل
على ان لها اصلا في الجواب انا ساتم وقد اوضحها الجملة من اخبار او اخبار اذا كانت
جوابا للقسم نحو والله ان زيدا منطلق واعلم ان من ان يقول الله زيد منطلق غير

لم انا اسمع بهذا الكلام يوجد الا مرتبا في الكثير من مواضعها ان يقصد بها الى الجواب
كقوله تعالى ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض
وكقوله عز وعلا في اول السورة حين تعرض لذكر نبأهم بالحق انهم فتية امنوا بربهم
وكقوله وان عصوك فقل اني بريء مما تعملون وقوله قل اني نهيت ان اعبد الذين
تدعون من دون الله وقل اني انا النذير المبين وانشاء ذلك مما يعلم به انه كالامر
امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يجيب به الكفار في بعض ما جاءوا به او باطنوه به
وعلى ذلك قوله عز اسمه وانا نرى فرعون قولا انا رسول رب العالمين وذلك ان
تعلم ان المعنى انا بإزاء فرعون فقولا انا رسول رب العالمين وذلك ان تعلم ان المعنى
من رب العالمين هذا سبيله ومن البين في ذلك قوله في قصة البحيرة قالوا انا الى
ربنا منقلبون وذلك لانه بيان الجواب فرعون عن قوله امنتم له قبل ان
اذن اكثر احد الوجوه القول في نصرة هذه الحكاية ثم ان الاصل الذي ينبغي ان يكون
الناس عليه هو الذي دون في الكتب من اصل التأكيد وقد يقتضيه ذلك فاما ان
الخبر بابن ليس لخاطب طرية خلاية البتة ولا يكون قد عهد في نفسه ان الذي يعلم
انه لم يكن كائنا فانت لا تحتاج هناك الى ان وانما تحتاج اليها اذا كان له طريق الظن
وعهد ذلك في ما ثبت او اثبات ما تنفي ولذلك ما اجازوه او حسنا او اكان
الخبر بابن بعيد مستبله في الظن وبئ قد جرت عادة الناس بخلافه كقولك لي وانت

عليك بالياس من الناس ان خير نفسك في الياس

قد رأى حسن موقعها وكيف قبول النفس لها وليس ذلك الا لان الغالب على
الناس انهم لا يحبون القنوط على الناس ولا يحبون الرجاء والطمع ولا يعترف كل احد
ولا يسلم ان الغنى في الياس فلما كان كذلك كان الموضع موضع فقر الى التأكيد فلذلك
كان من حسنها ما ترى ومثله سواء قولك محمد شجاع وعمرو

اجارتنا ان التعفف بالياس وسير على اسمه وارد ساباس
حريان ان لا يوخذ فاجد له كريما وان لا يحوجاه الى الناس

اجارتنا ان الفواح كواذب والكواسات النجاح مع الياس

هو كما لا يخفى كلام مع من لا يرى ان الامر كما قال بل ينكره ويعتقد خلافه ومعلوم
انه لم يقله الا والمراد تحقيره وجعله على التعريض للمسألة ومن لطيف مواقعها ان يجيء

على الخاطب ظن لم يظنه ولكن يراد التحكم به وان يقال ان حالك والذي سمعت
منه ينبغي ان يكون قد ظننت ذلك ومثاله قولك قول الاول

حاسقيني عاريا رسمه ان بيتي عندهم رسم مباح

يقول ان عجبه هكذا احد لا يتعجبه واستحسانه قد وضع رسمه عرضة لمثل
هذا العجاب شديد وعلى اعتقاده منه انه لا يتوقعه احد حتى كان ليس مع احد منا
رسم يدفعه به وكانا كلينا عرله واذا كان كذلك وجب اذا اردت الجواب سائل
ان يشترط فيه ان يكون للسائل ظن في المسؤول عنه على خلاف ما انت تجريه به
فاما ان تجعل مجرد الجواب اسلامها فلا لانه يودي الى ان لا يستقيم لنا اذا قال
الرجل كيف زيد ان يقول صالح واذا قال ابن هو ان يقول في الدار وان لا يصح حتى
تقول انه صالح وانه في الدار وذلك مما لا يقوله احد واما حصلنا اذا جمع بينهما
وبين الامر بحو ان عبد الله لقيام الكلام مع المنكر فجيد لانه اذا كان الكلام مع المنكر
كانت الحاجة الى التأكيد اشد وذلك انك خرج ما تكون الى الزيادة في تحقيق حين
اذا كان هناك من يدفعه وينكر صحته الا انه ينبغي ان علم انه كما تكون الانكار قد
كان من السامع فانه يكون للانكار تعلم او توقع انه يكون من السامعين وحمله الامر
انك لا تقول انه لذلك حتى يريد ان تسمع كلامك وضرع من توقع هذا الانكار
واعلم انها قد تدخل الدلالة على ان الظن كان منك انما المتكلمة الذي كان انه
لا يكون وذلك قولك للنبي هو مرائي من المخاطب ومسموع انه كان من الامر ما ترى
وكان مني الى فلان احسان ومعروف ثم انه جعل جزائي ما رأيت فتحدث كأنك تعرف
على نفسك ظنك الذي ظننت وتباين الخطأ في الذي توهمت وعلى ذلك والله اعلم
قوله تعالى حكاية عن امر مريم عليها السلام قالت رب اني ونعم ما انى والله اعلم
بما وضعت وكذلك قوله عز وجل حكاية عن نوح عليه السلام قال رب ان قومي
كذبون وليس الذي تعرض بسبب هذا الحرف من الدقائق والامور الخفية بدرة
بالذي يدرك بالهوينا ونحن نقتصر الان على ما ذكرناه ونأخذ في القول عليها اذا
انتهت بنا ما هي مسائل انشا قال الشيخ ابو علي في الشعراء
يقول ناس من المفسرين في قوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش قال وما بطن ربنا
وما بطن ان المعنى ما حرم ربي الا الفواحش قال واعتمد ما ذهل على صحته منهم
في هذا وهو قول العرجي انا الذائد الحامي الذمار وانما يدافع

عن احصاء انا او مثلي فليس يخلو هذا الكلام من ان يكون موجبا او منفيا فلو كان
الراد به الايجاب لم يستقم الا ترى انك لا تقول يدافع انا ولا يقاتل انا وانما تقول
ادافع واقاتل الآن المعنى لما كان ما يدافع الا انا فصلت الضمير كما تفصله مع النفي
الذي لا يحسن معه الاضمار على المعنى وقال ابو اسحاق الزجاج في قوله تعالى انما
حرم عليكم الميتة والدم انتصب الميتة هو القراءة ويجوز انما حرم عليكم الميتة وقال
ابو اسحاق والذي اختاره ان يكون ما في الموضع ان من العمل ويكون المعنى ما حرم
عليكم الا الميتة لان انما اذا ما يذكر بعدها وتعمل ما سواه وقوله انما
وانما يدافع عن احسانه انا او مثلي المعنى ما يدافع عن احسانه الا انا او مثلي
انما يلزم الشيخ ابو علي واهلهم انهم وان كانوا قالوا هذا الذي كتبته لك فانهم
لم يعنوا بذلك ان المعنى في هذا انما هو المعنى في ذاك بعينه وان سبيلهما سبيل الاقطاع
موضعان لمعنى واحد وفرق بين ان يكون في الشيء معنى الشيء وبين ان يكون الشيء الشيء
على الاطلاق من ذلك انهما لا يكونان سواء الا ترى ان كل فاعل يصح منه ما لا يصح منه
انما الامر انما لا تصلح في قوله تعالى وما من اله الا الله ولا في نحو قولنا ما احد الا
وهو يقول ذلك اذ لو قلت انما من اله الا الله وانما احد وهو يقول ذلك لاحلت ما لا يحول
له معنى فان قلت ان ثبت ذلك ان احد الاثبوم الا في النفي وما يجري مجرى النفي
من الرجي والاستفهام وان من المزيدة في ما من اله الا الله كذلك لا يكون الا في اول
مسئل في هذا انما به فانه اعتراف بان ليس سواه الا انهما لو كانا سواء لكان يدعي ان يكون
ذا انما حيث الذي مسئلة يكون في ما والا ذكا وجدت انما لا تصلح فيما ذكرنا لك ذلك بحيث
ما والا لا تصلح ويذهب عني الكلام قد صلحت فيه انما وذلك في مثل قولك انما هو ذا هم
لا سار لو قلت ما هو الا ذا هم لم يكن شيئا واذا قد بان لك هذه الجملة فاصغ
حتى يعلموا انما في معنى ما والا لم يعنوا ان المعنى مرادفا واحد على الاطلاق وان سبيلهما
الترف فاني ابين لك امرهما وما هو اصل في كل واحد منهما بعون الله وتوفيقه
اعلم ان موضوع انما على ان يجيء لتصحيح الخاطب ولا يدفع صحيحه او لما نزل
هذه المنزلة تصديقا لك تقول للرجل انما هو اخوك وانما هو صاحبك القديم
لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته ولكن لمن يعلمه ويقر به الا انك تريد ان تنبهه
الذي يجب عليه من حق الاخ وحرمة الصاحب ومثله قوله

انما انت والد والاب قاطع احق من واصل الاولاد

لم يرد ان يعلم كافورا انه والد ولا ذاك مما يحتاج كافور فيه الى الاعلام وانما اراد
ان يذكره منه الامر المعلوم ليعني عليه استدعاما هو جبه كونه له بمنزلة الوالد
ومثل ذلك قولهم انما العجلة من خلق العوت وذلك ان من العلوم الثابت في الغوب
ان من لم يحسن العوت لم يعجل ومثاله من التنزيل قوله تعالى انما يستجيب الذين
يسمعون وقوله عز وجل انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب وقوله
انما انت منذر من يخشاها كل ذلك بتذكير ما ثبت معلوما وذلك ان كل عاقل يعلم
انه لا يكون استجابة الا ممن يسمع ويعقل ما يقال له ويدعى انه وان من لم يسمع ويعقل
لم يستجب وكذلك معلوم ان الانذار انما يكون لمن اذا وكون له ما يراد كان مع من
يومن بالله تعالى ويخشاه ويصدق بالبعوث والساعة فاما الكافر الجاهل بالبعث
وترك الانذار معه واحد فهذا مثال ما الخبر به خبر ما يعلمه المخاطب وكما يكون
مجال واما مثال ما ينزل هذه المنزلة فكقوله

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلما

ادعى له كون الممدوح بهذه الصفة انه ايرظاهر معلوم للجميع على عادة الشعراء
اذا مدحوا ان يدعوا في الاوصاف التي يذكرون فيها الممدوح حتى انهم ناسبه بهم وايهم
قد شهروا بها وانهم لم يتعوا الا ما هو معلوم الظاهر الذي لا يدعيه احد كما قال

وتعذلني بأسا عليهم وما قلت الا ان علمت سعد

وكما قال

لا ادعي لابي العلا ان فضيلة حتى يسلم لي بانه عداه

ومثله قولهم انما هو اسد وانما هو نار وانما هو سيف صارم اذا دخلوا انما جعلوا
ذلك في حكم الظاهر المعلوم الذي لا ينكر ولا يدفع ولا يخفى واما الخبر الذي هو
نحو ما هو الا كذا وانما هو كذا فيكون للامر ينكره المخاطب ويشك فيه واذا قلت ما هو
الا ضيف او ما هو الا صديق فلمن يدفع الخبر على ما قلت واذا رأيت شخصا من بعيد
فقلت ما هو الا زيد لم تعلم الا وصاحبك يتوهم انه ليس زيدا وانه انسان اخر
وصحيح في الانكار ان يكون زيدا واذا كان الامر ظاهرا هو الذي معي لم تعده كذلك فلا
تقول الرجل يرفعه على اخيه وغيره الذي يجب عليه من سلامه الرحم وحسن الجاورة
ما هو الا اخوك وكذلك لا تصلح في انما انت والد ما انت الا والد فاما نحو انما مصعب
شهاب تصلح فيه ان تقول ما مصعب الا شهاب لانه ليس من العلوم على العهد وانما

ادعى الشاعر فيه انه اذا ذلك واذا كان هذا احد ذي جاز ان تقوله بالنفي والاثبات
الا انك تخرج المدح حينئذ عن ان يكون على وجه المبالغة مرجحا لانكون قد
ادعيت فيه انه معلوم وانه بحيث لا ينكر منكر ولا يخالف فيه مخالف فقوله
تعالى انما انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا انما جاءوا بما يعلم
بان والاه دون انما فلم يعلل انما انتم بشر مثلنا لانهم جعلوا الرسل كانهم بادعائهم النبوة
قد اخرجوا انفسهم من ان يكونوا بشرا مثلهم وادعوا امرا لا يجوز ان يكون لمن هو بشر ولما
كان الامر كذلك خرج اللفظ مخرجه حيث جاء اثبات امر يدعيه المخاطب ويدعي
خلافه ثم جاء الجواب من الرسل الذي هو قوله قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم
كذلك بان والاه دون انما الان من حكم من ادعى عليه خصمه الخلاف في امر هو له ان
منه ان يعيد كلام الخصم على وجهه ويحكي به على هيئته ويحكيه كما هو فاذا قلت
للرجل انت من سألك كيت وكيت قال نعم انا من سألني كيت وكيت ولكن لا تصر على
في ذلك ولا تلزمني من اجل ذلك ما قلت انه يلزم فالرسل عليهم السلام كانهم قالوا انما
قلتم من انا بشر مثلكم كما قلتم ليست انكرة ذلك ولا تجحده ولكن ذلك لا يمنعنا ان يكون
الله تعالى قد من علينا بالوحي والرسالة واما قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم فانما جاء ما
لانه ابتدأ الكلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم بان يدفعه اليهم ويقوله بهم وليس هو
جوابا لكلام سابق وقد قيل فيه ان انتم الا بشر فحسب ان توقف به علي وقف ذلك الكلام وهو
فيه جيد وقد كان ذلك في الابتداء الاول وجملة الامر انك متى رأيت شيئا هو من العلوم
الذي لا يشك فيه وقد جاء ما ظاهره ينقض ذلك لتقدير معنى صار به في حكم المشكوك فيه
فمن ذلك قوله تعالى وما انت بمسمع من في القبور فان انت لا تشك ابدا انما جاء واما علم
بالنفي والاثبات لانه لما قال تعالى وما انت بمسمع من في القبور وكان المعنى في ذلك
ان يقال للنبي عليه السلام انك لا تستطيع ان تحول قلوبهم عما هي عليه من الاباء
والامتناع ان توقع الايمان في نفوسهم مع اصرارهم على كفرهم واستمرارهم على جهلهم
وصدهم باعراضهم عما تقوله لهم وتدعوهم عليه كان الامر في هذا ان يجعل حال
النبي صلى الله عليه وسلم حال من قد ظن انه يملك ذلك ومن لا يعلم يقينا انه ليس
في وسعه شيء اكثر من ان يبشر وينذر فاخرج اللفظ مخرجه اذا كان الخطاب
مع من يشك فضل ان انت الا نذير وبين ذلك انك تقوله للرجل يطيل مناظرة
الجاهل ومقاولته انك لا تستطيع ان تسمع الميت وان تفهم الجماد وان تحول الاعمى

بصيرا وليس بذلك الان صحيح وذلك لانك لم تقل له انك لا تستطيع ان تسمع
الميت حتى تجعله ممانعة من جهلك وترك الاحتجاج والبيان سببا وهذا واضح
فاعرفه ومثل هذا في ان الذي تعدم من الكلام اقتضى ان يكون اللفظ كانك
تراه من كونه بيانا والاخبار له تعالى قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو
كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم
يؤمنون فهذا بيان آخر في انما اعلم انما يفيد في الكلام بعدها
اجتلاب الفعل لنفي وتغيبه عن غيره فاذا قلت انما جاءني زيد فقد جعل منه ذلك اردت
ان تنفي ان يكون الجائي غيره فمعنى الكلام معها شبيه بالمعنى في قولك جاءني زيد لا عمرو
الا ترى انها ترد وهي انك تجعل معها اجتلاب الفعل لنفي وتغيبه عن غيره وقعه واحدة
وفي حال واحدة وليس كذلك الا ترى ان زيدا لا عمرو فانك تجعل انا في جانب وغيره
شبيه وهي انما تجعل الا ترى ظاهرا في ان الجائي زيد ولا يكون هو الا ظهورا اذا جعلت الكلام
بلا فقلت جاءني زيد لا عمرو لم تعلم ان قولنا في انما انها تفيد ما تفيده الا في ما
وجب الاول ليس مراده انما تنفي عن الثاني ان يكون قد جاء مع الاول في الفعل بل
انما تنفي ان يكون الفعل الذي دللت انه كان من الاول قد كان من الثاني وهو ان الاول
الا ترى ان ليس المعنى في قولك جاءني زيد لا عمرو انه لم يكن من عمرو مجيء البتة مثل
ما كان من زيد حتى كانه عكس قولك جاءني زيد وعمرو بل المعنى ان الجائي هو زيد
لا عمرو وهو كلام يقوله مع من يغلط في الفعل وقد كان من هذا اليوم انه كان من زيد
والنكتة انه لا شبيه في ان ليس هيهنا جاءان وانه ليس الا جاء واحد وانما الشبيه في
ان ذلك الجائي زيد ام عمرو فانت تحقق على المخاطب بقولك جاءني زيد لا عمرو انه
زيد وليس عمرو ولكنه آخر وهي انك لا تقول جاءني زيد لا عمرو حتى يكون قد بلغ
المخاطب انه كان مجيء من جاء الا انه ظن انه كان من عمرو فاعلمه انه لم يكن من
عمرو ولكن من زيد وقد عرفت هذه المعاني في الكلام بل المعاطفة واعلم
انها مجتلبة فاعلمه ذلك في الكلام بانما فاذا قلت انما جاءني زيد لم يكن عمرو بك ان تنفي
ان يكون قد جاء مع زيد غيره ولكن ان تنفي ان يكون المجيء الذي قلت انه كان منه
كان من عمرو وكذلك يكون الشبيه مرة فيه في ان ليس هيهنا جاءان وان ليس الا جاء
واحد وانما يكون الشبيه في ان ذلك الجائي زيد ام عمرو فاذا قلت انما جاءني زيد لا عمرو
الامر في انه زيد وكذلك لا تقول انما جاءني زيد حتى يكون قد بلغ المخاطب ان قد جاء

حاجي وتكره من انه عمرو سلاما عليه انه زيد فان قلت فانه يصح ان تقول انما جاءني
الذي هو الغور زيد وجهه وانما ذاك من حيث هم عمرو فقط فان ذلك شيء كالتكلف والكلام
هو الاول ثم الاعتبار بما ذكرناه فلو جعلت زيدا وحده وكما في معناه ومعلوما انك اذا
قلت انما جاءني زيد ولم ترد على ذلك انه لا يسبق منك قلب الى المعنى الآخر مما قدمنا
خرجه من انك اردت النص على زيد انه الجائي فان سبيل على الخاطب اذا لم
لم يكن منه ولكن كان من عمرو وحسب ما يكون اذا قلت جاءني زيد لا عمرو فاعرفه
واذا قد عرفت هذه الجملة فانا نذكر جملة من القول في ما والا وما يكون في حكمها
اعلم انك اذا قلت ما جاءني الا زيد احتمل امرين احدهما ان تريد اختصاص زيد
بالمجيء وان سببه ممن عداه وان يكون كلاما مفعوله لا لان المخاطب جاءه الى
ان تعلم ان زيدا قد جاءك ولكن لان به حاجة الى ان يعلم انه لم يجيء اليك غيره وانك
ان تريد الذي ذكرناه في انما ويكون كلامنا تقوله ليعلم ان الجائي زيدا لا غيره فيقول
قائله للرجل يدعي انك قلت قولا لم قلت قولا هو خلافه ما قلت اليوم الا ما قلته امس
جيئه وتقول لم تر زيدا وانما رأيت فلانا مفعوله بل لم ار الا زيدا وعلى ذلك قوله
تعالى ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم لانه ليس المعنى انه لم يزد
على ما امرتني به شيئا ولكن المعنى انه لم يدع ما امرتني به ان اقوله لهم وقلت خلافه
ومثال ما في الشعر من ذلك قوله

قد علمت سلمى وجارتها ما قطر الفارس الا انا

المعنى انا الذي قطر الفارس ونصب المعنى على انه يريد ان يزعم انه انفرد بأن يقطره
وانه لم يشركه فيه غيره وهاهنا كلام ينبغي ان تعلمه الا ترى انك لو سئلت
مسئلة لكان فيها عونا على معرفته قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء
في تقديم اسم الله عز وجل معنى حلاف ما يكون لو اخر وانما بين ذلك اذا
اعتبرت الحكم في ما والا وحصلت الفرق بين ان تقول ما ضرب زيدا الا عمرو وبين
ان تقول ما ضرب عمرو الا زيدا والفرق بينهما انك اذا قلت ما ضرب زيدا الا عمرو فقد
اثبت المنسوب كان الغرض بيان الضارب من هو والاخبار بانه عمرو خاصة دون
غيره فاذا قلت ما ضرب عمرو الا زيدا فقد اثبت المرفوع كان الغرض بيان المضروب
من هو والاخبار بانه زيد خاصة دون غيره واذا قد عرفت ذلك فاعتبر به الآتي
واذا اعتبرته رأيته محالا ان تقدم اسم الله انما كان لاجل ان الغرض ان يبين ذلك

الخاشعون منهم ويجيء غير العلماء خاشعة دون غيرهم ولو اخر فكان الله وقع
العلماء فصار انما يخشى العلماء الله فصار المعنى على ضد ما هو عليه الآن وصار الغرض
بيان المخشي من هو والاخبار بانه الله سبحانه وتعالى دون غيره ولم يجب حينئذ ان
يكون الخاشية من الله تعالى مقصورة على العلماء وان يكون المحسوسون بها كما هو الغرض
في الآية بل كان يكون المعنى ان غير العلماء يخشون الله تعالى ايضا الا ترى انهم مع خشيتهم الله
يخشون معه غيره والعلماء لا يخشون غير الله وهذا المعنى وان كان قد عرفناه في الدرس
في غير هذه الآية كقوله تعالى ولا يخشون احدا الا الله فليس هو الغرض في الآية
ولا اللفظ محتمل له البتة ومن اجاز حمل احدهما على ضده كان قد ابطل فائدة التقديم وسوى
بين قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وبين ان يقال انما يخشى العلماء الله
واذا سوى بينهما لزمه ان يسوي بين قولنا ما ضرب زيدا الا عمرو وبين ما ضرب
عمرو الا زيدا وقد ذكرنا ما لا شبهة في استحالته في اول المسألة واذا قد عرفت هذا الامر
فيتبين ان الكلام ما والا قد يكون في معنى الكلام بانما الآتي ذكره في توضيح الصورة
في قولك ما ضرب زيدا الا عمرو وما ضرب عمرو الا زيدا انه في الاول لبيان من الضارب
وفي الثاني لبيان من المضروب وانه لا تشكك ان عمرا في قولك ما ضرب زيدا الا عمرو
زيدا الا عمرو انه لم يضربه الا ساعة وما ضرب عمرو الا زيدا انه لم يضربه الا ساعة
ان السبب في ان لم يكن المقدم المفعول في هذا كما خبر ولم يكن ما ضرب زيدا الا عمرو
وما ضرب عمرو الا زيدا سواء في المعنى ان الاسم ما رفع في واحد من الفاعل والمفعول
ولا يقع فيما غيره عالم انه يقع في الذي يكون بعد الا فيهما دون الذي قبلها بالاستحالة
ان يحدث معنى الحرف في الجملة من قبل ان يجيء الحرف واذا كان الامر كذلك وجب ان
يفترق الحال بين ان تقدم المفعول في الا مفعول ما ضرب زيدا الا عمرو وبين ان
تقدم الفاعل عليها مفعول ما ضرب عمرو الا زيدا لان ذلك يؤدي الى ان يصير الحال لا تفرقة
جعلنا المتقدم كالمتأخر في جواز حذفه وفي ذلك ما يقتضي الحال الذي هو احدث
معنى لا في الاسم من قبل ان يجيء ما واذا عرفته واذ قد عرفت ان الاختصاص موضع
الا يقع في الذي يؤخر من الفاعل والمفعول فكذلك يقع في انما في المؤخر منهما دون
المقدم فاذا قلت انما ضرب زيدا عمرو كان الاختصاص بنفي الضارب واذا قلت انما
ضرب عمرا زيد كان الاختصاص بنفي المضروب وكما يجوز ان يسوي الحال بين المقدم
والمتأخر مع الا فكذلك لا يجوز مع انما واذا استبنت هذه الجملة عرفت سرها الذي

صنعه الفرزدق في قوله وانما يدافع عن احسابهم انا او مثلي حتى لو لم يصنعه لم يصح له المعنى وذلك لان غرضه ان يخص المدافع لا المدافع عنه ولو قال وانما ادافع عن احسابهم لصار المعنى انه يخص المدافع عنه وانه يزعم ان المدافعة منه يكون عن احسابهم لا عن احساب غيرهم كما يكون اذا قال وما ادافع الا عن احسابهم وليس ذلك معناه انما معناه ان يزعم ان المدافع هو لا غير فاعرف ذلك فانك الغلط كثيرا الظن يدخل على كثير ممن يتكلم يقولون انه فصل الضمير ليحمل على المعنى وترى انه لو لم يفصله لكان يكون معناه مثلا الان هذا ولا يجوز ان يذهب فيه الى الضرورة فيجعل مثل انظر بر قوله الاخر كانا يوم قرى انما نقتل ايانا لانه ليس به ضرورة الى ذلك مع جواز ان ادافع وبدافع واحد في الوزن فاعرف هذا ايضا واعلم انك ان عمدت الى الفاعل والمفعول فاخرتهما جميعا الى ما بعد الا فان الاختصاص يقع حينئذ في الذي يلي الاستثناء فاذا قلت ما ضرب الا عمرو زيدا كان الاختصاص في الفاعل وكان المعنى انك قلت ان من المضروب زيدا لا من سواه وحكم المفعول حكم الفاعل فيما ذكرت لك تقول لم يكس الا الزيدا جبته فيكون المعنى انه خص زيدا من بين الناس بكسوة الجبة فان قلت لم يكس الا جبته زيدا كان المعنى انه خص الجبة من اصناف الكسوة وكذلك الحكم حيث يكون بدل احد المفعولين جار ومجرور كقول السيد الحميري

لو خير المنبر فرسانه ما اختار الا منكم فارسا

الاختصاص في منكم دون فارسا واعلم ان الامر في المبتدا والخبر اذا كانا بعد انما على العبرة التي ذكرت لك في الفاعل والمفعول اذا انت قدمت احدهما على الا معنى ذلك انك ان تركت الخبر في موضعه ولم تقدمه على المبتدا كان الاختصاص به وان قدمته على المبتدا صار الاختصاص الذي كان منه في المبتدا الى الخبر هذا انك تقول انما هذا لك لا لغيرك وتقول انما لك هذا فيكون الاختصاص في هذا ان انه لك تقول انما لك هذا لا لك والاختصاص يكون ابدا في الذي اذا جيت بالا العاطفة كان العطف عليه وان اردت ان تزداد ذلك عندك وضوحا فانظر الى قوله تعالى وانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقوله عز وجل انما السبيل على الذين يستاذنونك وانك ترى الغرض فيهما ان الاختصاص في الاية الاولى في المبتدا الذي هو البلاغ وفي الثانية دون الخبر الذي هو عليك وعلينا وانه في الاية الثانية في الخبر الذي هو على الذين دون

المبتدا الذي هو السبيل واعلم انه اذا كان الكلام مما والا كان الذي ذكرته من ان الاختصاص يكون في الخبر ان لم تقدمه وفي المبتدا ان قدمت الخبر ابين واوضح تقول ما زيد الا قائم فيكون المعنى انك اخصصت القائم من بين الاوصاف التي يتوهم كون زيد عليها بجعله صفة له وتقول ما قائم الا زيد فيكون المعنى انك اخصصت زيدا بكونه موصوفا بالقيام وقد قصرت في الاول الصفة على الموصوف وفي الثاني الموصوف على الصفة واعلم ان قولنا في الخبر اذا اخر نحو ما زيد الا قائم انك اخصصت القيام من بين الاوصاف التي يتوهم كون زيد عليها وعنيت ما عدا القيام عنه فاما معنى انك نفيت عنه الاوصاف التي تنافي القيام نحو ان يكون جالسا او مضطجعا او متكئا او ماشيا فليس ذلك في شيء ولم يرد انك نفيت ما المتكلم من القيام بسبيل اذ لست ممن يقول انا ما هو الا قائم ان يكون اسود او ابيض او طويلا او قصيرا او عالما او جاهلا كما انا اذا قلنا ما قائم الا زيد لم يرد انه ليس في الدنيا قائم سواه وانما معنى ما قائم حيث نحن ونحضرنا وما شاكله ذلك واعلم ان الامرين في قولنا ما زيد الا قائما ان ليس المعنى على نفي الصفة ولكن على نفي ان يكون المذكور ويكون بدلا من اخر الا ترى ان ليس المعنى انه ليس له مع القيام صفة اخرى بل المعنى ان ليس له بدل القيام صفة لم يثبت بالقيام وان ليس القيام منتفيا عنه ولا كذلك قولك ما زيد الا منطلق او نحو ما فان قلت فصور المعنى اذا امورته اذا ومنعوت الكلام بانا قلت انما هو قائم ونحن نرى له مجوزة وهذا ان تعطف بالواو تقول انما هو قائم لا قاعد ولا نرى ذلك جائزا مع ما والا اذ ليس من كلام الناس ان يقولوا ما زيد الا قائم لا قاعد فان ذلك انما لم يجز من حيث انك اذا قلت ما زيد الا قائم فقد نفيت عنه كل صفة تنافي القيام وصرت كانك قلت ليس هو بقاعد ولا مضطجع ولا متكئ وهلم جرا حتى لا تدع صفة يخرج فيها من القيام فاذا قلت من بعد ذلك لا قاعد كنت قد بلا العاطفة شيئا قد بدات فنفيته وهي موجوده لان ينفي ربما بدا له وجوده لا لان يعيد نفيا لشيء قد نفيته ومن لم يجز ان تقول ما جاءني احد لا زيد على ان اخرج الى بعض ما دخل في النفي بحرف اخذ فنسقه على المحسوس بل كان لو جاز اذا اردت ذلك ان تقول ما جاءني احد ولا زيد فتجيء بالواو من قبل لا حتى يزيح بذلك عنك ان يكون عاطفا وقد عرفت ذلك واذ قد عرفت فساء ان تقول ما زيد الا قائم لا قاعد فانك تعرف بذلك استماع ان تقول ما جاءني الا زيد لا عمرو وما مررت

الا زيدا الاخر او ما شاكل ذلك وذلك انك اذا قلت ما جاءني الا زيد فقد نفيت ان
يكون قد جاء احد غيره فاذا قلت لا عمرو كنت قد طلبت ان تنفي بلا العاطفة شيا
قد تقدمت فنفيته وذلك كما عرفتك خروج رجا عن المعنى الذي وضعت له
الى خلافه فان قيل فانك اذا قلت انما جاءني زيد فقد نفيت فيه ايضا ان يكون
الجي قد كان من غيره فكان ينبغي ان لا تحتاج ههنا ان تعطف بلا ما مفعول انما جاءني
زيد لا عمرو قيل ان الذي قلناه من انك اذا قلت انما جاءني زيد فقد نفيت فيه ايضا
المجيء من غيره غير مسلم لك على حقيقته وذلك انه ليس معك الا ان تقول جاءني زيد
وهو لم يكن قد رآه سمعت ليس فيه نفي البتة كما كان في قولك ما جاءني الا زيد وانما فيه
انك وضعت بدل على زيد فجعلته المجيء وذلك وان اوجب ايضا المجيء من غيره
فليس بوجبه من اجل ان ذلك اعمال لمعنى فيه وانما اوجبه من حيث كان المجيء
الذي اخبرت به مجانا مخصوصا اذا كان لزيد لم يكن لغيره والذي احتياج ان ينفي بلا
العاطفة الفعل عن شيء قد نفيته عنه لفظا ونظير هذا ايضا قولنا زيد
هو الجاءني ان هذا المجيء لم يكن من غيره ثم لا نمنع ذلك من ان نجيء فيه بلا العاطفة
فنقول زيد هو الجاءني لا عمرو لانا لم نفعل ما عدناه من ايضا المجيء عن غيره ينفي
او نضاعه على شيء ولكن بانه لما كان المجيء المقصود مجيئا واحدا كان النص على زيد
بانه فاعله واثباته له نفيا عن غيره ولكن من طريق المفهوم لا من طريق ان كان
في الكلام نفي كما كان ثم فاعرفه فان قيل فانك اذا قلت ما جاءني الا زيد وهو لم يكن
ان ينفي ان يكون قد جاءه واحدا خر كان المجيء ايضا مجيئا واحدا قيل انه وان
كان واحدا فانك انما احتجت ان زيدا الفاعل له بان نفيت المجيء عن كل من سوى
زيد كما تضع ان اردت ان تنفي ان يكون قد جاءه حالا خر واذا كان كذلك كان ما
قلناه من انك ان جئت بلا العاطفة فقلت ما جاءني الا زيد لا عمرو كنت نفيت الفعل
عن شيء قد نفيته عنه مرة صحيحا ثابتا كما قدمناه فاعرفه واعلم ان حكم غير نفي ان
يكون قد جاءه انسان اخر وان تريد نفي ان لا يكون قد جاءه حالة واحدا خر
ولا يصح ان تقول ما جاءني غير زيد لا عمرو كما لم يجز ما جاءني الا زيد لا عمرو ع

في بكنه سحل بالكلام الذي نصعه مما والا اعلم ان الذي ذكرناه
من انك تقول ما ضرب الا عمرو زيدا فتوقع الفاعل والمفعول جميعا بعد الا ليتم
بآخر الكلام وانما لا تجوز ان تقدم المفعول على الا نحو ما ضرب زيدا الا عمرو وحتى لا يتم

د هو وانه اعني في قولك ما ضرب الا عمرو زيدا الى انه على كلامين وان زيدا
منصوب بفعل مضمر حتى كان المتكلم بذلك ابهم في اول امره فقال ما ضرب الا عمرو
ثم قيل له من ضرب فقال ضرب زيدا وهاهنا اذا تاملت معنى لطيف يوجب ذلك
وهو انك اذا قلت ما ضرب زيدا الا عمرو كان عرضك ان تخبر عمرا بضرب زيد اياه فهو
على الاطلاق واذا كان كذلك وجب ان تعدي الفعل الى المفعول من قبل او تذكر عمرا
الذي هو الفاعل لان السامع لا يعقل عنك انك اختصصته بالفعل ما لم تعدي حتى يكون
قد بدات تعد به اعني لا يفهم عنك انك اردت ان تخصص عمرا بضرب زيد حتى تدع
له مفعولا يلي زيدا فاما اذا ذكرته غير معدى فقلت ما ضرب الا عمرو فان الذي وقع
في نفسك انك اردت ان ترعم انه لم يكن واحد غير عمرو ضرب وانه ليس غير عمرو ضرب
الا وضاربه عمرو فاعرفه اصلا في شان التقديم والتاخير

ان
قيل قد مضى في كلامك كله على ان انما الخبر لا يجهله المخاطب ولا يكون ذكرك له
الى تعريفه اياه وانا نراها في كثير من الكلام والقصد بالخبر به ان يعلم السامع
امرا قد غلط فيه بالجملة واحتاج الى معرفته كقول ما ذكرت في اول الفصل انك
من قولك انما جاءني زيد لا عمرو فانه وان كان يكون اعلاما لا مرا لا يعلمه السامع فانه
لا يدع ذلك من ان يدعي هناك فضل انكشاف وظهور في ان الامر كما الذي ذكرته قد
مضت في اول ما اقمت القول فيها فقلت انها حتى الخبر لا يجهله السامع ولا ينكر صحته
او لما يتوقف هو في المزاله واما ما ذكرته من انها تجيء في الكتب ابدا لاعلام المتعلم بما الاعلام
فانك اذا تاملت مواقعها وجدتها في الاعم الاكثر قد جاءت لامر قد وقع العلم لوجه ولكن
يدل عليه مثال ذلك ان صاحب الكتاب قال في باب كان اذا قلت كان زيد قائما
ابتدات بما هو معروف عنده مسلم عندك وانما ينتظر الخبر اذا قلت حليما انعقد
اعلمه مثل ما علمت واذا قلت كان حليما فانما ينتظران تعرفه صاحب الصفة وذلك
انه اذا كان معلوما انه لا يكون مبتدا من غير خبر ولا خبر من غير مبتدا كان معلوما
انك اذا قلت كان زيد فالمخاطب ينتظر الخبر واذا قلت كان حليما انه ينتظر الاسم
فلم يقع اذا بعد انما الا الذي كان معلوما انه قد ذكر من قبل ان ينبغي اليه وهذا الامر فيه
بين من قوله في باب ظننت وانما حكى بعد قلت ما كان كلاما لا قولا وذلك انه معلوم
انك لا تحكي بعد قلت اذا كنت تجعل نحو المعنى لكنا كان جملة مفردة ولا تقول قال فلان
زيد وتسكت الا ان تريد انه نطق الاسم بحاله وانه كما لك تريد انه ذكره مرفوعا

وسئل ذلك فوضح انما حذف الذي اذا كان في الكلام دليل عليه الى اشياء ذلك مما لا يحسن فان زدت قد دخلت على كلام مواتيا اعلام المخبر لم يعلمه السامع فلان الدليل عليه حاضر معه والذي يحسن مع العلم به عن كنت واعلم انه ليس مكانا ينبغي بنا تعريض بسبب هذا الحرف من الدقائق ومما يجب ان تعلم انه اذا كان الفعل بعدها فعلا لا يصح الا من المذكور ولا يصح من غيره كالمذكر الذي تعلم انه لا يكون الا من اولي الالباب فحسن العطف لانه كما يحسن مما يختص بالمذكور ويصح من غيره تفسير هذا انه لا يحسن ان تقول انما يتذكر اولوا الالباب لانه محال كما يحسن ان تقول انما يجيء زيد لاخروج ان الذي يصح مما يجيء فيه الذي يتقدم تارة ويتاخر اخرى فمثاله في التاخير ما تراه في قولك انما يجيء زيد لاخرج وكقوله تعالى انما انت منذر كرات عليهم مسيطر وكقوله لبيد انما يجري الفتى لبس الجمل ومثال التقديم قولك ما جاءني زيد وانما جاءني عمرو وهذا مما انت تعلم به مكان العايد فيها وهو اك انك تعلم ضرورة انك لو لم تذكر انما وقلت ما جاءني زيد وجاءني عمرو لكان الكلام مع من ظن انهما جاءاك جميعا وان المعنى الان مع دخولها ان الكلام مع من غلط في غير الجائي فظن انه كان زيدا لا عمرا واسر اخر وهو انه ليس يمتنع ان يظن الظان انه ليس في الضمام مالي ان فايدة الكف من اضافتها حتى يرى النحويين لا تزيدون في الكف كلامهم على انها كافة وما اصنع بتاويل هذا الظن وبطلانه وذلك انك ترى انك لو قلت ما جاءني زيد وان عمرا جاءني لم يحتمل منعاك اردت ان الجائي زيد لا عمرو بل يكون دخول ان كالشيء الذي لا يحتاج اليه ووجدت المعنى بتوهمه عدم اعلم انك اذا استقريت وجدتها التي ما يكون واعلق ما ترى بالقلب اذا كان لا يراد بالكف بعدها مسرى معناه ولكن التعريض بامر هو مقتضاه نحو انا نعلم ان ليس التعريض من قوله تعالى انما يتذكر اولوا الالباب ان يعلم انسا معون ظاهر معناه ولكن ان يذم الكفار ويعاتبهم من فرط العناد ومن غلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بذي عقل وانكم ان علمتم منهم في ان يتطروا وينذكروا كنتم كمن طمع في ذلك من غير اولي الالباب وكذلك قوله عز اسمه انما انت منذر من يخشاها وانما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب المعنى على ان من لم يكن له هذه الخشية فهو كانه ليس له اذن تسمع وقلب يعقل والانذار معه كلا انذار وسئل ذلك من اسمعه قوله انما انت منذر من يخشاها انما اللعبد ما رزقا التعريض ان تم ذلك

من باريق التعريض انه قد صار يجيء نفسه ويعلم انه ينبغي ان يطاع الطمع من وسلطانا وحتى من ان يكون مزيا العفاف ومن ذلك قوله وانما يعذر العشاق من عشقا يقول انه ينبغي للعاشق ان يلوم من يلومه في عشقه وانه ينبغي ان لا يكره ذلك منه فانه لا يعلم كنه البلوى في العشق ولو كان اياه لعرف رايه فيه بعذره وقوله

ما انت بالسبب الضعيف وانما ... يجح الامور ذوو الاسباب
فالوم حاجتنا اليك وانما ... يدعى الطبيب لساعة الاوصاب

يقول في السبب الاول انه ينبغي ان انجح في امري حين جعلتك السبب اليه ويقول في الثاني انا قد وضعنا الشيء في موضعه وطلبنا الامر من جهته حين استعنا بك فيما عرض من الحاجة وهو لنا على فضلك كما ان من عول على الطبيب فيما يعرض له من السقم كان قد اصاب بالتعويل موضعه وطلب الشيء من بعد نهج الصحيح فاردد التعريض الذي ذكرت لك لا يحصل منه وبين انما فلو قلت بتذكر اولوا الالباب لم يدل على ما دل عليه في الامر وان كان الكلام لم يتغير في نفسه وليس للالباب فيه انما والسبب في ذلك ان هذا التعريض انما وقع بان كان من شان انما ان تضمن الكلام معنى النفي من بعد الاثبات والتصريح باسماع المذكر ممن لا يعمل وان اسقط من الكلام فصل يتذكر اولوا الالباب كان تجريد وصف الاولى الالباب بانهم يتذكرون ولم يكن فيه معنى في التذكر عن ليس منهم ومحال ان يقع تعريض مثلي ليس في الكلام ذكره ولا فيه دليل عليه فالتعريض مثل هذا اعني بان يقول تذكر اولوا الالباب باسقاط انما يقع اذا ان وقع ممدح انسان بالتيقظ وبانه يعمل ما يفعل وفيه لمادحه له لعقله وليس تسميره كما يقال كذلك يفعل العاقل وهكذا يفعل الكريم وهذا موضع فيه دقة وغموض وهو مما لا يكاد يقع في نفس احد انه ينبغي ان يعرف سببه وبحث عن جهته الا ترى انه ينبغي ان تجعله على ذكر ذلك من معاني انما ما عرفت ذلك اولا من اضافتك ذلك الى الذي على ان يحمل منه المتكلم انه معلوم بينهما من التهمة بحيث لا يجد فيه دافع كقوله انما سعيك شهاب من اسه ومن اللطيف في ذلك قوله قلب بن حسين

الا انما الدنيا غرارة بعدما ... احدث لعمر وانما انت حالم

ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن اليهود واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا

جعلته نسبا الاعلى معنى انك جعلته فى معنى الاسد ولا تقال جعلته زيدا او ولدا الا
ان فعلته ربا والمانع دخل الغلط فيه وانك على من لا تحصل فاما قوله تعالى وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فانما جاء على الحقيقة ان وصفها وذلك ان المعنى
على انهم اثبتوا الملائكة صفة الاناث واعتقدوا وجودها فيهم وعن هذا الاعتقاد
صدر عنهم ما صدر من الاسم اعنى اطلاق اسم الاناث وليس المعنى انهم وضعوا لها
اسم الاناث لفظ الاناث او لفظ البنات اسما من غير اعتقاد معنى والبنات صفة وهذا
محال لا يقوله عاقل اما سمع قول الله تعالى الحمد والخلقهم سنكتب شهادتهم ويسألون
فان كانوا لم يزعموا انهم اثروا الاسم على الملائكة ولم يعتقدوا الاناث صفة وهى
باجزاء عليهم فاى معنى لان يقال اتحمد واخلقهم هذا او كانوا لم يقصدوا البنات به
ولم يريدوا به اعلى ان وضعوا اسما لما استحق الا التنبيه من الذم ولما كان هذا القول
منهم كفرا والامر فى ذلك اظهر من ان يخفى جعله الامر انه ان قيل ليس فى الدنيا علم
قد عرض فيه الناس من لحن الغلط ومن قبح التوزط ومن الذهاب مع الظنون الكاذبة
ما رضى لهم فى هذا الشان فليت ان لا يحكى على من يقوله الكذب وهل عيب اقبح
من ان يعرفوا لا يجلون قوله الله قل ان اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا
القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وهم مقرون به وعالمون بان القرآت
معجزهم بقصد وتاديهم عن برهان الاعجاز وذلك ليله ويسلكون غير سبيله ولعمر
جميع الورى وذلك عظيما ... واعلم انه وان كان الصورة فى الذى اعتقد
واعتد انا فيه من انه لا معنى للنظم غير توخى معانى النحو فما بين الكلم قد يعرض فى الوضع
والظهور والاستكشاف الى اقصى غاية والى ان يكون الزيادة عليه كالتكلف لما الاحتياج
اليه فان النفس ساذج الى جميع كل ضرب من الشيء ترى اء يعرض للسمع منه عند
احد اس الشك والتردد ان فى الناس من اذا راى انه يحوج فى العباس وضرب للمثل ان
تشبيه الكلم فى نظم بعضها الى بعض بنظم عزائم الاعراب بعضه الى بعض وراى ان الذى يصح
ان يباح ويحمل المعنى والوحى الى السمع بالاعراب الذى يصح ساء سلسا عيان يضم بعضه
الى بعض وتحتر الاتساع الضروب التى يعلم انه اذا وقع فيها فيه حدث له فى النحو
ما رد من النفس والصورة حرى بى ان حال الكلم فى نظم بعضها الى بعض وفى تحير
المواقع لها حال خيوط الاعراب سواء وراب كلامه كلام من لا يعلم انما تكون النظم فرعا
معاولة الوقوع موقعا حتى يكون قد توخى فيها معانى النحو وذلك اذا عمدت الى الفاظ

فصل

فهو

فهو لست نتبع بعضها بعضا من غير ان توخى فيها معانى النحو لكن يستحيل ان
فيه ويتعاداه وتشبه بعضه من جهل بحالها وضع فى الجملة مستبعدا ولم يتصور ان يكون قد
تحيرت لها المواقع وفساد ذلك وشبهه من الظن وان كان معلوما ظاهرا فان ههنا
اسبد لا لا طبقا كمؤتبه الغابر وهواه يتصور ان يوجد عارف الى نظم لازم بعينه
وتزيله عن الصورة التى اراد ها الناظم له ويعتمد ها عليه من غير ان يكون قد اعطا
عن موضعه او يرد له بغيره او يغير شيئا من ظاهر امره على حال مثال ذلك
ان تدرت فى بيت ابى تمام ع

لعاب الاقاحى الغالثات لعابه ... وازرى الحتى بسارة ابو عاصل

ان لعاب الاقاحى مبتدا واعابه خبر كان وجمله الظاهر اسندت عليه كلامه وابطلت
الصورة التى اراد اعابيه وذلك ان العرض ان يشبه مرداد قبله بلعاب الاقاحى على
معنى انه اذا كنت فى اقامة السياسات الحاذت به النفوس وكذلك العرض ان يشبه
مرداده بارى الحتى على معنى انه اذا كنت فى العطاء والصلات اوصل به الى النفوس ما
يحلو مذاقه عندها وادخل السرور واللذة عليها وهذا المعنى انما يكون اذا كان
لعابه مبتدا ولعاب الاقاحى خبرا فاما اذا قدرت ان يكون لعاب الاقاحى مبتدا ولعاب
مرداد خبرا فيبطل ذلك ويمنع منه الشبه ويخرج الكلام الى ما لا يجوز ان يكون مرادا فى عرف
ابى تمام وهو ان يكون اراد ان يشبه لعاب الاقاحى المداد وشبهه بذلك الاثر
به فلو كان حال الكلم به فى نظم بعضها الى بعض كحال عزف الاعراب لكان يسعى ان لا تعد
الصور الحاصلة من نظم الكلم حتى تراك عن مواقعها كما لا تعد الصورة الحادثة عن
نظم عزف الاعراب بعضه الى بعض حتى تراك الخطاء ن واسبها واعلم انه لا يجوز
ان يكون مثل لعاب الاقاحى العالمات لعابه مثل لطعم عنابك السيف وذلك ان
المعنى فى قولك شبيه عنابه شمائلى وجامع شمائلى وسيف وليس المعنى فى عنابك
السيف على انك تشبه عنابه بالسيف ولكن على ان ترجع به تجعل السيف بدلا
من العنابك الاترى انه يصح ان تقول مرداد قبله قاتل كالسم الاقاحى ولا يصح ان تقول
عنابك كالسيف اللهم الا ان تجرح الى باب اخر وهى ليس عرضنا بعد الكلام وتريد
انه قد عانت عنابا حسنا موتا ثم انك ان قلت السيف عنابك خرجت به الى معنى
ثالث وهو ان ترعم ان عنابه قد بلغ فى الاثر وشدة تاثيره ما بلغ سائر انواع السيف
كانه سيف واعلم انه ان نظر ناظر فى سائل المعانى والالفاظ ان حال الصانع فانما

فصل

وأي المعاني وقع في نفسه من بعد وقوع الالفاظ في سمعه ظن اذلك ان المعاني مع
الالفاظ في ترتيبها فان هذا الذي يبتاه ويريده فاسد هذا الظن وذلك انه لو كانت
المعاني تكون تبعا للالفاظ في ترتيبها لكان محالا ان يتغير المعاني والالفاظ محفوظة لم ترل
عن ترتيبها فلما رأينا المعاني قد جازت فيها التغيير من غير ان تتغير الالفاظ وترول
عن اماكنها علمنا ان الالفاظ هي التابعة والمعاني هي المتبوعة واعلم انه ليس من ابواب
تعهد واصنعه منه الى معرفتين تعلمها مبتدا او خبرا ثم يقدم الذي هو الخبر الا مثل
الامر فيه عليك فلم تعلم ان المقدم خبر حتى ترجع الى المعنى وتحسن التدبر فانك
الشيخ ابو علي في التذكرة . ثم واعلم انهم كما يقولون
كراي خبرا معه ذا ويكون الاصل كراك كراي اي ثم وان لم انهم منوسك نوبي كاموله
نعوان جلست فعيانك فبيانك هذا هو معرف الاستعمال في نحو ثم مال واذا كان
ان ذلك فقد قدم الخبر وهو معرفة وهو ينوي به التاخير من حيث كان خبرا قال
ابو تمام الحماسة . ينوبا ينوبا ويانا ويانا . يؤمن ابنا الرجال الا ابعدي
فقدم خبر المبتدا وهو معرفة وانما دخل على اعني ينوي التاخير للمعنى ولو لا ذلك لكان
للعروة اذا وقعت بين المبتدا والخبر النصب فاعرفه ذلك هذا كلامه فاعطه واعلم ان
ان القاعدة تعطيك هذا العرب من الكلام اذا انت امعنت النظر فيما ذكرت
لك من انك تستطيع ان تنقل الكلام في معناه عن صورة الى صورة من غير ان تغير
اعلامه شيئا او تحول كلمة عن مكانها الى مكان اخر وهو الذي وسع مجال التاويل
والتفسير حتى صار ابيانا ولونا في الكلام الواحد تاويلين واكثر ويصور ذلك البيت
الواحد عدة تفاسير وهو على ذلك الطريق المرأة الذي ورط كثيرا من الناس في
الغلط وهو ما اعلم به العاقل بداءة الحاجة الى هذا العلم ويكشف سعة عوار الغافل
فيه ويفتح عن البصائر الغبي فيه وذلك انه قد يدفع الى الشيء الا يتبين بغير
ما يريه الظاهر ثم لا يكون اه سبيل الى معرفة ذلك التبين واذا كان هذا واعلم
فتسع عندك في المعنى وقع في الضلال مثال ذلك ان من نظر الى قول علي
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ثم لم يعلم ان ليس المعنى في
ادعوا الدعاء ولكن اذكروا الاسم كقولك موزيد على زيد او يدعى الاخير وان في الكلام
محذوفا وان في الترديد ما يدل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى
كان يعرض ان يقع في الشرك من حيث انه ان اجرى في خاطره ان الكلام على ظاهره خرج

فكذبه

ذلك به والعياذ بالله تعالى الى اثبات ند دعوى تعالى الله عن ان يكون له شريك
وذلك من حيث كان محالا ان تعمد الى اسمين للاسم اسم شيء واحد فتعطف احدهما
على الاخر مدعول مثلا ادع زيدا والامير والامير هو زيد وكذلك محال ان تقول
ايا تدعو وليس هناك الا مدعو واحد لان من شان اي ان يكون بين اواحد امن
اثنين او اجماعة ومن ثم لم يكن له بد من الاضافة اما لفظا ولما تقدم ايا وهذا ايات
واسع ومن الشكل فيه ما زاه من قرا وقالت اليهود يد الله مغلولة بتنوين يد ذاك
انهم حملوها على ان تجعل احد هما ان يكون الخبر كما اراد التنوين ثم حذفه لالتقا
الساكنين ولم يحركه كقراءة من قرا قل هو الله احد الله الصمد بترك التنوين من احد
وكما حكى عن عمرة بن عقيل انه من قرا ولا الليل سابق النهار بالنصب فقيل له
ما تريد فقال اريد سابق النهار قيل فهلا قلته فقال لو قلته لكان اوزن وكما حتا
في الشعر من قوله فالقيته غير مستعتب . ولا ذاكر الله الا قليلا
الى نظائر ذلك فيكون المعنى في هذه القراءة مثله في القراءة الاخرى سواء والوجه انك
ان تكون الان صفة ويكون التنوين قد سقط على احد ساقطه في قولنا جاءني زيد
عمرو ويكون في الكلام محذوف ثم اختلفوا في المحذوف فمنهم من جعله مبتدا وهم
من جعله خبرا فقدر وقالت اليهود عزير ابن الله ومنهم من جعله خبرا فقدر وقالت
اليهود عزير ابن الله معبودنا وفي هذا امر عظيم وذاك انا حكمنا عن انفسنا
انا نريد ان نكذبه فيه فان التكذيب ينصرف الى ما كان فيه خيار دون ما كان سعة
تفسير هذا انك اذا حكيت عن انسان انه قال رايت زيدا من عمرو وسقط من كلامه فيه لم
تكن قد اكذبته بذلك ان يكون زيد من عمرو ولكن ان يكون سقط ولذلك ان قال
زيد الغضبة فقد قدم فعلت له كذبت او غلطت لم يكن قد اكذبت ان يكون زيد اقربا
ولكن ان يكون قد قدم هو هذا الاشتراه فيه وذلك انك اذا اكذبت فالاباء اوسع
فاما يشرف التكذيب منك والنسيان على اساءته وتفيه والاثبات والنفي سواء لان
الخبر وان الصفة بذلك على ذلك لكنه الصفة تابعة في حال الخبر في كثير من حال
الاثبات فاذا قلت صاحبي زيد الظريف كان الظرف ثابتا لزيد كثبوته اذا قلت
جاءني زيد الظريف وذلك ان ليس ثبوت الصفة للذي هي صفة له بالكلم وباشاءه
لها فيتفي بنفيه وانما تثبوا بنفسها وتقرر الوجود بها عند المخاطب فمثله زيد
المتكلم لا تعاد اوقعت الحاجة في العلم الى الصفة كان الاحتياج اليها من اجل جهة

ان توجد الفسا وجب ثبوت الهة جل الله وتعالى عما تقول الظالمون علوا كبيرا
وقولنا ليس لنا الهة ثلاثة لا يوجب ثبوت اثنين البتة فان قلت ان كان لا يوجب
ذلك لا ينفيه قيل نفيه مما بعده من قوله تعالى انما الله اله واحد فان قيل
كما ينفي الاثنين كذلك ينفي الالهة واذا كان كذلك وجب ان يكون تقدير الكلام صحيحا
كذلك ترك قيل هو كما قلت ينفي الالهة ولكنهم اذا عجزوا ان التقدير ولا تقولوا الهنا
ثلاثة وكان ذلك والعياذ بالله من الشرك يقتضي اثبات الالهة كانوا قد وقعوا في
النفي وخالفوه واخرجوه الى الشاقضة واذا كان كذلك كان محالا ان يكون الكلام
سيقال لهم ما قالوه وليس كذلك الحال فيما قدرناه لانا لم نقدر شيأ يقتضي اثبات
الهين تعالى الله حتى يكون حالنا حال من يدفع ما يوجبه هذا الكلام من نفيهما
سلمنا ان ذلك انه يصح لنا ان نتبع ما قدرناه نفي الاثنين ولا يصح لهم تقدير ذلك انه
يصح ان يقولوا ولا تقولوا لنا الهة ثلاثة ولا اثنان لان ذلك مجرى مجرى ان يقولوا
ليس لنا الهة ثلاثة ولا اثنان وهذا صحيح ولا يصح لهم ان يقولوا لا تقولوا لنا الفسا
ثلاثة ولا اثنان لان ذلك مجرى مجرى ان يقولوا ولا تقولوا الهتنا اثنان وذلك
فاسد فاعرفه واحسن تاسله ثم ان هرسا طر بقا اخر وهو ان نقدر ولا تقولوا
الله والمسيح وامه ثلاثة اي تعبد هما كما تعبد الله بين ذلك قوله تعالى لقد
كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وقد استقر في العرف انهم اذا اراد وا الحاق
اسم بواحد في وصف من الاوصاف وان يجعلوهما شبيهين له قالوا لهم ثلاثة
كما يقولون اذا اراد وا الحاق واحد باخر وجعله في معناه هما اثنان وعلى هذا
السبيل كما يقولون هم يعبدون معبدا واحدا ونوجب لهم الفسا وي والشارك
في الصفة والوتيه وما شاكل ذلك واعلم انه لا معنى لان يقال ان القول حكاية
وانه اذا كان حكاية لم يلزم منه اثبات الالهة لانه مجرى مجرى ان يقول من دين
الكفار ان يقولوا الالهة ثلاثة وذلك لان الخطاب في الاية للنصارى فهم الا
ترى الى قوله تعالى قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما
المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فامنوا بالله
ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم واذا كان الخطاب للنصارى كان تقدير
الحكاية محالا فلا تقولوا اذ الذي معنى لا تعتقد واذا كان في معنى الاعتقاد لزم اذا
قدرنا لا تقولوا الفسا ثلاثة ما قلنا انه يلزم من اثبات الالهة وذلك لان الالهة

معان بالخبر لا بالمخبر عنه فاذا دلت لا تعتقد ان الامر الا انه كنت نفيت عن
ان يعتقد كون الامر على هذه العدة لا عن ان يعتقد ان هيهنا امرا هو ثالثهما الا انك
فيه عاقل واما كون النفي عن ذلك اذا دلت لا تعتقد ان هيهنا امرا لا ثك حينئذ
تصير كانك قلت لا تعتقد وجود امر هذا ولو كان الخطاب مع المومنين لكان
تقديرا لحكاية لا يصح اصلا ذلك لانه لا يجوز ان يقال ان المومنين يتواعرات
يحكوا عن النصارى مقالتهم ويخبروا عنهم بانهم يقولون كيت وكيت وقد قال
الله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ومن اين
يصح النهي عن حكاية قول المبطل وفي ترك حكايته ترك له وتكفره واستماع من النفي
عليه والانكار لقوله والاحتجاج عليه واقامة الدليل على بطلانه فلا نسلم ان
شيا من ذلك الاثن بعد حكاية القول والافصاح به واعرفه ٥ ع

هذا اخر النصف الاول من دلائل
الاعجاز في العربية وبتلوه في النصف الثاني
قدارة ان شاء الله تعالى وله الحمد
اناس يصيرا انهم في عمياس امرهم

وبه الحمد والشكر كثيرا والصلاة على سيدنا محمد وعلى سائر الانبيا والمرسلين
والهم وصحبهم وسلم تسليما كثيرا واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ع

بسم الله الرحمن الرحيم رب اعن واتم بخير

قد اراد بان نستانف تقريرا يزيد به الناس بصيرا انهم في عمياء من امرهم حتى يسلكوا المسالك التي سلكناها ويقعوا حواطرهم لما سلما استخرجناها وانهم سالم يأخذوا العرهم بذلك ولم يحرده واعسا يأتهم له في غرور وكم من بعد بعضه اوكى من السراب الالمع ويحاد عنها باكاذيب المطامع بعد ما لهم الكم تسلون كما قالت قوله انه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله وقوله عز وجل قل فأتوا بعشر سور مثله وقوله بسورة من مثله فقولوا الان الجواز ان يكون تعالى قد امر نبيه صلى الله عليه وسلم بان يتحدى العرب الى ان يعارضوا القرآن بمثله من غير ان يكونوا قد عرفوا الوصف الذي ان اتوا بكلام عليه قد تناول الوصف كما قالوا قد اتوا بمثله ولا بد من لا لانهم ان قالوا بجواز ابطلوا التحدي من حيث لم يجد كما لتحدي مطالبته بان يأتوا بكلام على وصف ولا يصح المطالبة بالاتيان به على وصف من غير ان يكون ذلك الوصف معلوما فالمطالبة بطل بذلك دعوى الاضمار فسادا ذلك انه لا يتصور ان يقال انه كان محجر حتى يثبت محجور عنه معلوم فلا يصور في عقل عاقل ان يقول لخصم له قد احجرك ان تفعل مثل فعلي وهو لا يدري له الى وصف يعلمه في فعله ويراه قد وقع عليه افلا ترى انه لو قال رجل لآخر اني قد احدثت في جاهم عملته صنعته انت لا تستطيع مثله فاعجم عجزه عليه عجزة ولم يشبه انه قد اتى بما يعجز الانس بعد ان ربع الجان وبشر له الى ما ادعاه منه في الصنعة لانه لا يصح وصف الانسان بانه قد عجز عن شيء حتى يريد ذلك الشيء ويقصد اليه ثم لا يأتي له وليس يتصور ان يقصد الى شيء لا يعلمه وان يكون سنه اراده لامر لم يعلمه في جمله ولا تفصيل ثم ان هذا الوصف ينبغي ان يكون وصفا قد تحدد بالقرآن واعوامه لم يوجد في غيره ولم يعرف قبل نزوله واذا كان كذلك فقد وجب ان يعلم انه لا يجوز ان يكون في الكلام المعروفة لان قد تركوه فيها بودي الى المحال هو ان يكون الالفاظ المعروفة التي هي اوضاع اللغة قد حدث في بنائه حروفها واسد اوضاعه لم يكن لتكون فيها قبل نزول القرآن وتكون قد اختصت في انفسها بصفات وصفات سمعها السامعون عليها اذ كانت متلوة في القرآن لا يجد دون ذلك الصفات والصفات خارج القرآن ولا يجوز ان يكون في معاني الكلام المعروفة التي هي اوضاع اللغة لانه يودي الى ان يكون قد تجدد في معنى الحمد والرب ومعنى العالمين

والملك

والملك والدين والنور وهكذا اوصاف لم يكن قبل نزول القرآن وهذا مما لا يمكن هو بناحية بعده من المحال والشنع لكان اياه ولا يجوز ان يكون هذا الوصف في براعة الحركات والسكنات حتى كانهم تحدوا الى ان يأتوا بكلام تكون كلماته على اوزان كلمة كلام القرآن وحتى كان الذي بان به القرآن من الوصف في سبيل هيئته بحور الشعر وعروضها من بعض لانه يخرج الى ما تعاطاه مسيلمة من الحماقة في اتيانه باعطيناك الجماهير فصل لربك واهاجر والطاحنات طحنا وكذلك الحكم ان زعم زاعم ان الوصف الذي تحدوا اليه هو ان يأتوا بكلام يحملون له سجعا ما وفواصل كالذي نراه في امرائه ايسا ليس اكثر من التعويل على مراعاة وزن واما الفواصل في الآي كالقوافي في الشعر وقد علمنا امتداد ما ترى على القوافي كيف هو فلو لم يكن التحدي الا الى فصول من الكلام يكون فيها ازاحر اسجاع القوافي لم يعوزهم ذلك ولم يتعذر عليهم وقد سهل الى العلم بان كانت الحكاية صحيحة عمن هذا ادعى وسمع على ما رووا فصول كلام اوائرها كاواخر الآي يسهل يعلمون ويوصون واشباه ذلك وجملة الامر انه لن تعرف هذا وشبهه من الظنون لمن يعرض له الامر سوا المعرفة او الجهل لان اواخر الآي الاعراب في القول ومن هذا الذي رضي من نفسه ان يرجم ان البرهان الذي ان لم والامر الذي يضربهم والصيحة التي ملأت قلوبهم رعبا والروعة التي رجفت عليهم فادهمهم حتى قالوا ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر انما كان لمعنى راعهم من مواقع حركاته ومن ترتيب بينها وبين سكناته او لفواصل في اواخر اياته امر من ان يتعلق هذه الصيغة وهذا التسبيب هذا ان ترك ان ابن مسعود حين قال في سورة القرآن لا تقرؤه ولا بنشان وقال اذا وقعت في آل حم وقعت في روضات دمثات انا نرى فيما ذهب اليه اصحابه فقال ذلك من اجل اوزان الكلام ومن اجل الفواصل في اواخر الآيات ام ترى العرب ذلك وقالوا لا نعني بحاسنه ولا نحاول على اكثر الوجوه ام ترك الحاسة حين قال في كتاب النبوة ولوان رجلا من عظمائهم قام على رجل من خطبائهم وشعرائهم سورة واحدة لتبين له في نظامها وتراجمها من اعظمها وظنوا انه عاجز عن مثلها ولو حدث نفسه السامع العربي لاظهر عجزه عنها لعاو تعقل فليس كلامه هذا مما ادعاه الله فيه وسيعي ان يكون مواريثهم بين بعض الآي وبعض ما قاله الناس في معناها كالوارث بين ولكم في القصاص حياة وبين قتل البعض احيا الجميع عطائهم لان لا نعلم حدث

قوله لا تقرؤه الى لا يحسن ولا بنشان الى لا يحسن هم

التحريك والتسكين وحدث الفاصلة منهما في هذه المواردة ولا تعلم الصرارة و
عرما بين الناس اذا وازنوا بين كلام وكلام في الفصاحة والبلاغة ووقفة
النظم وزيادة الفائدة ولولا ان الشيطان قد استحوذ على كثير من الناس في هذا
الشان وانهم يتركون النظر واهمال الفكر وضعف الشبه وقصر الهمة وقطروا
انه حتى جعل يلقي في نفوسهم كل محال وكل باطل وجعلوا يهم بعطون الذي يلقونه
من دونه ويجدونه مكانا من فاوصر لما بلغ من قدر هذه الاقوال الفاسدة
ان يدخل في تصنيف ويفاد ويتداعى بين كونه الفساد فيها ونعرف ثم ان
هذه الشناعات التي تقدم ذكرها تلزم اصحاب الصرفة ايضا وذلك انهم لو لم
يكن مجزهم عن معارضة القرآن وعن ان ياتوا بمثله لانه معجزة نفسه ولكن
لان الله تعالى عارضهم العجز عنه وصرفت هممهم وصوارفهم عن تاليف كلام مثله وكان
الصرف على الجملة حائلا بينهم وبين العلم بنظمه فكان يجعله وحيل بينه وبين امر
قد كان يتسع له لكان ينبغي ان لا تعاشهم ولا يكون منهم ما يدل على انهم لم
يحسوه منه وعلى انه قد تصرم وعدم كل العلم عندهم بل كان ينبغي ان يكون
الاثار منهم والتعجب الذي دخل من التحزر عليهم ورأوه من تعذر حاضرهم ومن
ان حيل بينهم وبين شيء قد كان عليهم سهلا وان سلك دونه باب كان لم مفتوحا
الا ترى لو ان نبيا قال لقومه ان ايتي ان اضع يدي على راسي هذه الساعة ويعود
كلكم من ان تستطيعوا وضع ايديكم على رؤوسكم وكان الامر كما قال لم يكون
تعجب القوم امن وضعه يده على راسه ام من عجزهم ان يضعوا ايديهم على رؤوسهم
ويعود الى السق فنقول فاذا ابطل ان يكون الوصف الذي عجزهم من القرآن
في شيء مما عددناه لم يبق الا ان يكون في النظم لانه ليس من بعد ما ابطلنا ان يكون
فيه الا النظم واذ ثبت انه في النظم وكنا علمنا ان ليس النظم شيئا غير توخي معاني
النحو واحكامه وفيما بين الكلم وانا ان بينا الامر بجمعه اذكرنا حتى نعلم الكلم
المفردة سلكا يظمها وحابلا يجمع شملها وبولها ونحمل بعضها بسبب من بعض
عن توخي معاني النحو واحكامه فيها فليس ما كل محال دونه غدران وظهران
المتعاطي القول في النظم الزاعم انه يحاول بيان المزية فيه وهو لا يعرض فيما
يعيده ويبديه الى الفوائد والاصول التي قدمناها ولا يمسك السبل التي رسمناها
في جملة من امره وفي عمود من نسقه وفي جذاع من الاثافي والاحتبال فانك

لانه اذا كان لا يكون النظم شيئا غير توخي معاني النحو واحكامه فيما بين الكلم كان
من اعجب العجب ان يزعم زاعم انه يطلب المزية في النظم ثم لا يبطلها في معاني النحو
واحكامه التي النظم بارة عن توخيها فيما بين الكلم فان قلت فهل تواك الا النظم
يقتضي اخراج ما في القرآن من الاستعارة وسائر وجوه المجاز من جملة ما هو به
معجز وذلك ما الا مساغ له قيل ليس الامر كما ظننت بل ذلك يقتضي دخول
الاستعارة ونظائرها فيما هو به معجز وذلك لان هذه المعاني التي هي الاستعارة
والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من بعدها من جملة مقتضيات النظم وعنه
تحدث وبه تكون لانه لا يتصور ان يدخل شيء منها في الكلم وهي افراد لم يوضع فيها
بينها حكم من احكام النحو فلا يتصور ان يكون مرسنا فعل او اسم قد دخلته الاستعارة
من دون ان يكون قد الف مع غيره الذي هو عليه ان قدر في المستعمل من قوله
واستعمل الراس شيئا ان لا يكون الراس فاعلا له ويكون شيئا منصوبا عنه
على التمييز لم يتصور ان يكون مستعارا وهكذا في سبيل سائر الاستعارة
فاعرف ذلك واعلم ان السبب في ان لم يقع النظر منهم موقعه انهم حين قالوا
يطلب المزية نظروا ان يوقعوها اللفظ بنا على ان النظم نظم الالفاظ وانه يظهر بها
دون المعاني وحين خواذلك واعتقده ووقفوا على اللفظ وجعلوا الامر يدور
بادهامهم الى شيء سواه الا انهم على ذلك لم يستطيعوا ان ينطقوا بان يصح هو الذي
نظموه بحرف بل لم يكلموا على الامكان وذلك نقضا وابطالا لان يكون اللفظ من حيث
هو لفظ موضعا للمزية والامر انهم قد اعتبروا من حيث لم يدروا بان اسماء
التي طلبوها موضع ومكان يكون فيه الاتفاق النحو واحكامه وذلك انهم قالوا ان
الفصاحة لا تظهر في افراد الكلمات وانما تظهر بالضم على طريقة مخصوصة ومعلوم
بالضم لا يصح ان يراد به النطق بالفظة بعد اللفظة من غير ان يكون بين
بعضهم مما لانه لو جاز ان يكون لمجرد ضم اللفظ الى اللفظ تاثير في الفصاحة لكان
ينبغي اذا قيل ضحك خرج ان يحدث من ضم خرج الى ضحك فصاحة واذا بطل ذلك
لم يبق الا ان يكون المعنى في ضم الكلمة الى الكلمة توخي معاني النحو فيما بينها وتوخيهم
على طريقة مخصوصة توجب ذلك ايضا وذلك انه لا يكون الطريقة اذا انت
اردت مجرد اللفظ بمعنى وهذا سبيل كلما تالوه اذا انت تاملته تراهم في الجميع
قد دعوا الى جعل المزية في معاني النحو واحكامه من حيث لم يشعروا بذلك

لانه امر عسير ومن لا يمكن الخروج منه ومما يحتدم بعتمده ويه ويرجعون اليه
ولهذا ان الغاف لا تزاد وانما تزاد الالفاظ وهذا الكلام اذا تاملته لم تجد له
معنى صحيحا عليه عمران تجعل الالفاظ عبارة عن المزايا التي تحدث في نوعي معاني
النحو واحكامه فيما بين الكلم لان التزايد في الالفاظ من حيث هي الفاظ وتطق لسان
محال ثم اعلم ان المزية المطلوبة في هذا الباب مزية فيما طريقه الفكر والنظر من
غير شبهة ومحال ان يكون اللفظ صفة مستنبط بالفكر ويستعان عليها بالروية
اللهم الا ان يريد الذين نعم وليس ذلك مما نحن فيه بسبيل ومن ههنا لم يجز اذا عدد
الوجوه التي يظهر فيها المزية ان يعد فيها الاعراب وذلك ان العلم بالاعراب مشترك
بين العرب كلهم وليس هو مما يستنبط بالفكر ويستعان عليه بالروية فليس اذن
بان اعراب الفاعل الرفع والمفعول به النصب والمضاف اليه الجر بامر علم من غيره
ولا ترى مما نحن فيه الى حرة ذهن وقوة خاطر انما الذكي تفتح الخاطر فيه
الى ذلك العلم مما يوجب الفاعلية للشيء اذا كان انجاعا من طريق المجاز كقولك قال
وارتحل جارهم وكقولك الفرزدق ، سقرتها حروف في المسامع ،
واشباه ذلك مما يجعل الشيء فاعلا على تاويل حدث ومن طريق يلطف وليس
يكون هذا فعلا بالاعراب ولكن بالوصف الموجب للاعراب ومن ثم لا يجوز لنا
ان نعتد في شيء من هذا بان يكون المتكلم قد استعمل العرب لان العلم جميع ذلك
لا بعد وان يكون علما باللغة وبانفس الكلم المفردة ومما طريقه طريق الحفظ
دون ما يستعان عليه بالنظر ويوصل اليه بامحال الفكر ولئن كانت العامة
واشباه العامة لا يكادون يعرفون الفصاحة غرة ذلك من ضعف التجربة
الخطار مسلة في الفكر واجراده في الذكر وانت ترى انك ناظر ودلائل الاعجاز ترى
ان العرب تحد والى ان تختار والفتح في الميم من الخم والهاء في النهر على الاسكان
وان تحفظ من تخليط العامة في مثل هو يستوي الفاء والى ان يأتوا العرب
الاحمى يعارضون به القرآن كيف وانت تقرأ السورة من السور الطوال فلا تجد
فيها من العرب شيئا وسائل ما جمعه العلماء في غريب القرآن فترى الغريب منه
الا في القليل انما كون غريبا من اجل استعارة هي فيه كقولك واشرأبوا في قوائم
الجبل ومثل خلصوا نجيا ومثل ناصدع بما تؤمر ودون ان تكون اللفظة غريبة
في نفسها انما ترى ذلك في كلمات معدودة كمثل لمجل لنا قطنا وفات الواح ودمر

وجعل ركب تحنك سربالها لو كان الفرد الفاظ القرآن غريبا لكان محالا ان يدخل
ذلك في الاعجاز وان يقع التحدي به ذاك لانه لا يجاوز اذا وقع التحدي به من ان
تجدي من له علم بامثاله من العرب او من لا علم له بذلك فلو تحدى به من يعلم
امثاله لم يتعذر عليه ان يعارضه بمثله الا ترى انه لا يتعذر ذلك اذا انت
عرفت ما جاء من العرب في معنى الطويل ان يعارض من يقول الشوهب بان
يقول انت الشوهب واذا قال الآخر ان تقول الاشق وعلى هذا السبيل ولو
تحدي به من لا علم له بامثال ما فيه من العرب كان ذلك ممن له ان تحدى العرب
الا ان يتكلوا بلسان الترك هذا وكيف يا بد يحل العرب في باب الفصاحة وقد
ثبت عنهم انهم كانوا يؤثرون الفصيلة في ترك استعماله وتجنبه افلا ترى ان عمر
رضي الله عنه كان لا يعاظل بين القول ولا يتبع حوشي الكلام فيعرض سمع
الحوشي وهو العرب من غير شبهة الى المعاظلة التي هي التعقيد وقال الخاطبي
في كتاب البيان والتبيين وروايت الناس بعد اولون رسالة يحيى بن يعمر عن ابي
بريدة بن المهلب الى الحجاج انا لقينا العدو وقفلنا طائفة بعد اخرى وهو اصدق
العيطان وبنا بعد عزة الخيل وبات العدو يجمع منه فقال الحجاج ما ازيد
على اي عذر هذا الكلام تحمل اليه فقالت ولدت قال فالاهوازية قالت فاني لك هذه
الفصاحة قالت اخذتها عن ابي وامي وراتهم يريدون في بيتهم ان امراة غاضبت
زوجها الى يحيى بن يعمر فانهرها مرارا فقالت له يحيى ان طالسكت علمن شكرها
وسرك انسان نطقها ونصحك لهما تم قال فان كانوا قد رووا هذا الكلام لكي يدلوا
على فصاحة وبلاغة فقد باعده الله من صنعة البلاغة واعلم انك كل النظر
وجدت سبب الفساد واحدا وهو ظنهم الذي طووا في اللفظ وحملهم الاوساط
التي تجري عليها كلما اوساطا له في نفسه ومن حيث هو لفظ وتركهم ان يجروا اياه
مكان وصفه في نفسه وبين ما كانوا قد كسوه اياه من اجل امر يريد يرجع معناه
ولما كان هذا ما بهم ثم راوا الناس واظهر شيء عندهم ممن يحكى الفصاحة تقوم
الاعراب والتحفظ من اللحن لم يشكوا انه ينبغي ان يعتد به في جملة المزايا التي
بها تفاضل بين كلام وكلام في الفصاحة وذهب عنهم ان اس هو من الفصاحة التي
يعنينا امرها في شيء وان لا فصاحة في فصاحة تجب لاجل شيء يدخل في النطق
ولكن من اجل لطائف تدرك بالفهم وانا اعتبر في شاهد الفضيلة بحرف واحد

الكلام على الآخر من بعد ان يكونا قد تواضعا من اللفظ وسلما من العاطل منهما
الخطأ ومن اللحن اما اذا نظرنا في الاعراب وجدنا التفاضل فيه محالا لانه
لا يسوغ ان يكون للرفع والنصب في كلام مزية على بعضهما في كلام آخر وانما
الذي يسوغ ان يكون ههنا كلامان قد وقع في اعرابهما خلل ثم كان احدهما اقرب
صوابا من الآخر وكلاهما ان قد استمر احدهما على الصواب ولم يستمر الآخر ولكن
هذا انما يستقيم في الاعراب ولكن تركه في شيء واستعماله في آخر فاعرف ذلك ع
وجملة الامر انك لا تزري ظنا هو انك تصاحبه عن ان يصح له كلام او يستمر
له نظام او يثبت له قدم او ينطلق له لسان المحال من ظنهم هذا الذي جاء بهم حول
اللفظ وجعلهم لا يعدونه ولا يرون المزية كلا انك واثق واعلم انه يجري في انشاء
معاني هو يعرف الشبهة خدعة عليهم وهواه يقع في كلامنا ان الفصاحة يكون
في المعنى دون اللفظ فاذا سمعوا ذلك قالوا كيف يكون هذا ونحن نراها لا تستبين
صفة الا للفظ ونراها لا تدخل في صفة المعنى البتة لا ترى الناس قاطبة يقولون
هذا لفظ فصيح وهذه الفاظ فصيحة ولا ترى عالما يقول هذا معنى فصيح وهذه
معان فصاح ولو كانت الفصاحة يكون في المعنى لكان ينبغي ان يقال ذلك كما انه
لما كان الحسن يكون فيه قيل هذا معنى حسن وهذه معان حسنة وهذا شيء
اخذ من العرب اخذا والجواب عنه ان يقال ان عرضنا من قولنا ان الفصاحة
يكون في المعنى ان المزية التي من اجلها يستحق اللفظ الوصف بانه فصيح هي يكون
في المعنى دون اللفظ لانه لو كانت المزية التي من اجلها يستحق اللفظ الوصف بانه
فصيح يكون فيه دون معناه لكان ينبغي اذا قلنا في اللفظة انها فصيحة ان يكون
ذلك الفصاحة واجبة لها بكل حال ومعلوم ان الامر بخلاف ذلك فانا نرى اللفظة
تكون في غاية الفصاحة في موضع ونراها بعينها فيما يحصى من المواضع وليس
من الفصاحة في شيء ولا نكثر وانما كان كذلك لان المزية التي من اجلها يصف اللفظ
في شاننا هذا بانه فصيح مزية تحدث من بعد ان لا يكون وتظهر في الكلام من
بعد ان يدخلها النظم وتتمانت طلبته فيها وقد جئت بها افراد لم ترم فيها نظما
ولم تحدث لها تاليفا طلبت محالا واذا كان ذلك كذلك وجب ان نعلم قطعا
وتستيقن ان ذلك المزية في المعنى دون اللفظ وعبارة اخرى في هذا نفسه وهي
ان يقال قد علمنا على الاجمال من وضع شبهة ان الفصاحة فيما نحن فيه عبارة

عن مزية جي المتكلم دون واضع اللغة واذا كان كذلك وجب علينا ان ننظر
الى المتكلم هل يستطيع ان يزيد من عند نفسه في اللفظ شيئا ليس يتولاه في اللغة
حتى يحصل ذلك من سببه مزية يعبر عنها بالفصاحة واذا نظرنا وجدنا لا
يستطيع ان يضع باللفظ شيئا اصلا ولا ان يحدث فيه وصفا كيف وهو ان
فعل ذلك افسد على نفسه وابطل ان يكون متكلما لانه لا يكون متكلما حتى يستعمل
اوضاع اللغة على ما وضعت عليه واذا ثبت من حالها انه لا يستطيع ان يتصرف
بالالفاظ شيئا ليس هو لها في اللغة وكنا قد اجمعنا على ان الفصاحة فيما نحن
فيه عبارة عن مزية جي بها المتكلم البتة وجب ان يعلم قطعا وسر وضع امرهم ان
كانوا قد جعلوا الفصاحة في ظاهر الاستعمال من صفة اللفظ فانهم لم يحاولوا
وسفاله في نفسه ومن حيث هو صدى صوت ونطق لسان ولكنهم جعلوها
عبارة عن مزية افادها في المعنى وحملة الامر انا لم نوجب الفصاحة اللفظة
مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه ولكنا نوجبها لها من حيث هو بترتيبها
ومعلقا معناها بمعنى ما يليها فاذا قلنا في لفظة انها تشتمل من قوله تعالى
اشتعل الرأس شيبا انها في اعلى رتبة الفصاحة لم نوجب بذلك الفصاحة لها وحدها
ولكن وجبناها لها من حيث رأينا الالف واللام ومقرونا اليها الشيب منكرا
منصوبا هذا وانما يقع ذلك في الوهم لمن لم يمعن اذ اعني ان توجب الفصاحة
للفظة وحدها فيما كان استعارة فاما ما لا يكون الا استعارة من الكلام الفصيح
البليغ فلا يعرض لتوهم ذلك فيه عاقل اصلا الا ترى انه لا يقع في نفس من يعقل
اذ هي اذا هو نظر الى قوله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم
قاتل الله الناس ان هذه الآية في الفصاحة ان يضع يده على الكلمة كلمة منها وقول
انها فصيحة كيف وسبب الفصاحة فيها امور لا يشك في اضافة معنوية لو فرضنا ان
كانت عليها استعارة محذوف هو في موضع المفعول الثاني والثالث ان كانت
الجملة التي هي هم العدو وبعدها عاريه من حرف عطف والثالث ان عريت
في العدو وان لم تعل هم عدو ولو انك عطفت على ظاهر ما دخلت على الجملة
التي هي هم العدو وحرف عطف واسقطت الالف واللام من العدو وصار يحسبونه
كل صيحة واقعة عليهم وهم عدو لرأيت الفصاحة ذاهبة عنها بأسرها ولو انك
اظهرت لها ان يكون عليهم متعلقا بنفس الصيحة ويكون حالة معها كما اذا

ملت حتى عليه لاخرجته عن ان يكون كلاما فضلا عن ان يكون فصيحا وهذا
هو الفصل لمن عقل وسر المحب في هذا ما روي عن امير المومنين علي رضي
الله عنه انه قال ما سمعت كلمة عربية من العرب الا سمعتها من رسول
الله صلى الله عليه وسلم سمعته يقول مات حتف انفه وما سمعتها من غيره
فمسئلة الاشتراط في ان وصف اللفظ بالعربي في مثل هذا يكون في معنى الوصف
بانه فصيح واذا كان الامر كذلك فالمطلوب مع في وهم منهوم ان يكون رضي
الله عنه وقد جعلها عربية من اجل الفاظها واذا انظرت لم تشك في ذلك واعلم
انك تجد هولا الذين يشكون فيما قلناه يجرون على السنهم الفاظ وعبارات
لا صح لها معنى سوى بعض معاني النحو واحكامه فيما بين الكلم تراهم لا يجدون لذلك
فمن ذلك ما يقوله الناس قاطبة من ان العامل مرتب في نفسه ساريد ان يتكلم
به واذا رجعنا الى انفسنا لم نجد لذلك معنى سوى انه يقصد الى قولك ضرب
فيجعله خبرا عن زيد ويجعل الضرب الذي اخبر بوقوعه منه واقعا على عمرو
ويجعل يوم الجمعة زمانه الذي وقع فيه ويجعل التاديب عرضه الذي فعل الضرب
من اجله ومفعوله ضرب زيد عمرا يوم الجمعة تاديبا له وهذا كما ترى هو
نحو معاني اللفظ فيما بين معاني هذه الكلم ولو انك فرضت ان لا يتاتى في ضرب
ان تجعله خبرا عن زيد وفي عمرو ان تجعله مفعولا له الضرب وفي يوم الجمعة
ان تجعله زمانا لهذا الضرب وفي التاديب ان تجعله غرض زيد من فعل الضرب
ما تصور في عقل ولا وقع في وهم ان يكون مرتبا لهذه الكلم واذ قد عرفت ذلك
فهو العبرة في الكلام كله فمن ظن ظنا ابوى الى خلافه ظن ما يخرج به عن المعقول
ومن ذلك اشباههم التعلق والاتصال فيما بين الكلم وسواجريا تارة ونفيهم ايما
اجرى ومعلوم علم الضرورة ان لن يتصور ان يكون للفظة تعلق بلفظة اخرى
من غير ان يحدث حال معنى هذه مع معنى تلك وبراعي هناك امر يصل احدهما
بالاخرى كمراعاة كون ذلك جوابا للامر في قوله فعاذرك وكيف بالشك في ذلك
ولو كانت الالفاظ يعلق بعضها ببعض من حيث هي الفاظ ومع اطراح النظر
في معانيها لادى ذلك الى ان يكون الناس حين يحكوا عما يسمعونه المحكاة من قراءة
انصاف الكتب يحكوا عن عجالة وان يكون ابو تمام وذا الخطا حين قال

« عدا لاشبهها بالجون كانما »

قرات به الورقا نظر كاتب

لانهم لم يحكوا الا من عدم التعلق ولم يجعله ابو تمام جنونا الا لذلك فانظر الى ما يدور
هولا الغوم من طرائف الامور

فصل وهذا فن من الاستدلال على بطلان
ان يكون الفصاحة صفة اللفظ من حيث مواقع لا تخلو الفصاحة من ان تكون
صفة محسوسة يدرك بالسمع او يكون صفة فيه معقولة تعرف بالقلب فمحال ان
يكون صفة محسوسة لانها لو كانت كذلك لكان ينبغي ان يستوي الناس في اللفظ
الفصيح في العلم بكونه فصيحا واذا بطل ان يكون محسوسة وجب الحكم بانها
صفة معقولة فانا لا نعلم اللفظ صفة يكون طريق معرفتها العقل دون الحس الا
دلالته على معنى واذا كان كذلك لزم منه العلم بان وصفت اللفظ بالفصاحة وصف
له من جهة معناه لا من جهة نفسه وهذا ما لا يبقى معه لعاقل شك والله الموفق
للصواب وبيان اخر وهو ان العارف اذا اعتبر قوله تعالى واشتعل الراس شيبا
لا يجد الفصاحة التي يجدها الا بعد ان ينتهي الكلام الى اخره فلو كانت الفصاحة صفة
للفظ اشتعل لكان ينبغي ان يحس بها فيه في حال نطقه به محال ان يكون الشي موصوفا
بان العلم بتلك الصفة الا من بعد عدمه ومن فراى صفة تعرى موصوفها
عريا في حال وجوده حتى اذا عدم صارت موجودة فيه وهل مع الناس يقول
في عدم الدهر وحدثه بصفة شرط حصولها للموصوف ان يعدم الموصوف
فان قالوا ان الفصاحة التي ادعيناها للفظ اشتعل يكون في حال نطقنا به الا ترى
تعلم في تلك الحال اضافته فاذا بطل اخر الكلام علمنا عند ذلك انها كانت فيه قيل
هذا امر اخر من العجب وهو ان يكون هربا صفة موجودة في شي ثم لا يكون في الامكان
ولا يسع في الخواطر ان تعلم وجود تلك الصفة في ذلك الشي الا من بعد ان يعدم ويكون
العلم بها وبكونها فيه محتوما عندها حتى يعدم فاذا عدم علمنا عند ذلك انها كانت فيه
كان ثم اشبه لاشتباهه في ان هذه الفصاحة التي يدعونها اللفظ حتى بدعائها لمجموع الكلمة
دون احاد حروفها اذ ليس يدعي احد ان فصاحت الحراي الى ان يدعوا الكل واحد من
حروف اشتعل فصاحة فيجعلوا الشين على حدته فصيحا وكذلك التا والعين والراي
واذا كانت الفصاحة مدعاة لمجموع الكلمة لم يتصور حصولها لها الا من بعد ان
يعدم كلها ويتعذر امر النطق بها ذاك لانه لا يتصور ان يدخل الحروف مجتمعة
في النطق دفعة واحدة حتى تحصل الفصاحة موجودة فيها في حال وجودها وما
بعد هذا الا ان نسال الله العصمة والتوفيق وقد بلغ الامر في الشناعة الى

حمد اما منه العاقل لف راسه حيا من الفعل حين راه قد والى ولا عهد امرداه
وسلك سبيلكا الى هذا مقتضاه وما سئل من يزعم ان الفصاحة صفة اللفظ من
حيث هو لافظ ونطق لسان ثم يزعم انه يدعيها بمجموع حروفه دون احادها الا
مثل من يزعم ان ههنا عنزا لا اذا مسح منه مؤخر كان اكمر واذا فوق ونظر اليه خطا
خطا لم يكن منه حمرة اصلا ومن طرق اسرهم انك ترى كافتهم لا يكرون ان اللفظ
المستعار اذا كان مستحاكا ست فصاحته ذلك من اجل استعارته ومن اجل لطف
وعرابة كانا فيها وترابهم مع ذلك لا يشكون في ان الاستعارة لا تحدث في حروف
اللفظ صفة ولا تغير اخر اسرها عما كون عليه اذا لم يكن مستعارا وكان سرو كا
على حقيقته وان التاثير من الاستعارة انما يكون في المعنى كيف وهم يعتقدون
ان اللفظ اذا استعير لشئ فصل عن معناه الذي وضع له اولا الى ان الامر
كذلك ولولا اسرارهم التي نبهتهم ، تركهم النظر لقد كان يكون في هذا ما يوقظهم من غفلتهم
ويكشف الغطاء عن اعينهم ل ومما ينبغي ان تعلمه الانسان و
منه على ذكر انه لا يتصور ان يتعلق الفكر بمعاني الكلم افرادا ومجردة من المعاني
ولا يتصور ذلك ولا يصح في عقل ان يتفكر متفكر في معنى فعل من غير ان يريد اعماله
في اسم ولا ان يتفكر في معنى اسم من غير ان يريد اعماله فعلا او معنى
او يريد فيه حكما سوى ذلك من الاحكام مثل ان يريد جعله مبتدا وخبرا او صفة
او حالا او ما شاكل ذلك وان اردت ان ترى ذلك عيانا فانا اعمد الى اي كلام شئت ؟
وازيل اخراه عن مواضعها ومنعه ومنعا ممنع منعه دخول شئ من معاني النحو فيها
فصل في فضائك من ذكري حبيب ومنزل من نبك فعاجبيب ذكري منزل
ثم انظر هل يتعلق منك فكر بمعنى كلمة منها واعلم اني لست اقول ان الفكر لا يتعلق
بمعاني الكلم المفردة اصلا ولكني اقول انه لا يتعلق بها مجردة من معاني النحو ومعلقة
بها على وجه لا يتاتى معه تقدير معاني النحو وتوخيها فيها كالذي ارسمك والا فاك
اذا فكرت في الفعلين او الاسمين يريد ان تخبر باحدهما عن الشئ وايهما اولى ان تخبر
به عنه واشبه بظرفك سئل ان نظرا ايهما امدح او ادم لو فكرت في الشيئين يريد
ان تسند الشئ باحدهما ايهما اشبه به كنت قد فكرت في معاني نفس الكلم الا ان فكرك
ذلك لم يكن الا من بعد ان توخيت فيها معنى من معاني النحو وهو ان اردت تجعل
الاسم الذي فكرت فيه خبرا عن شئ اردت فيه مدحا او ذما او نسبا او غير ذلك

من الاعراض ولم تجعل الفعل او اسم فكرت فيه فردا او من غير ان كان ذلك قصدك
ان تجعله خبرا او غير خبر فاعرف ذلك وان اردت مثالا فاحدث بيت استار

كان مثار النقع فوق رؤوسنا ، واسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وانظر هل يتصور ان يكون مثار قد اخطر معاني هذه الكلم اله افراد اعارية
من معاني النحو التي تراها فيها وان يكون قد وقع كان في نفسه من غير ان يكون قصد
ايقاع التشبيه منه على شئ وان يكون فكر في مثار النقع من غير ان يكون اراد الشئ
الاول الى الثاني وفكر في فوق رؤوسنا من غير ان يكون اراد ان يضيف فوق الى
رؤوسنا وفي الاسياف من دون ان يكون اراد عطفها بالواو على مثار وفي الواو
من دون ان يكون اراد العطف بها وان يكون كذلك وفكر في الليل من دون ان
يكون اراد جعله خبرا لكان وفي تهاوى كواكبه من دون ان يكون اراد ان يجعل
تهاوى فعلا للكواكب ثم تجعل الجملة صفة لليل ايهم الذي اراد من التشبيه ام لم
تخطر هذه الاشياء ببالك الا الامر اما فيها هذه الاحكام والمعاني التي تراها فيها وتستحيل
كيف يتصور وقوع قصد منك الى معنى كلمة من دون ان تريد تعلقها بها بعد كلمة
اخرى ومعنى القصد الى معاني الكلم ان يعلم السامع لها شيئا لا يعلمه ومعلوم انك
انما المتكلم ليست تقصد ان تعلم السامع معاني الكلم المفردة التي تكلمه فانه لا يعقل
خروج زيد لتعلمه معنى خرج في اللغة ومعنى زيد كيف ومحال ان تكلمه بالفاظ لا تعرف
هو معانيها كما تعرف ولهذا لم يكن الفعل وحده من دون اسم ولا اسم وحده مبتدا من
اسم اخبر عن فعل كلاما وكنت لو قلت خرج ولم تات باسم ولا اضمرت فيه تحيل الاول
ولم تزد علم بات بفعل ولا اسم اخبر وهم تضمره في نفسك كان ذلك وصوتا تصوته سواء
فاعرفه واعلم ان مثل واضع الكلام مثل من ياخذ قطعا من الذهب او الفضة
فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة وذلك انك اذا قلت ضرب زيد
عمرا يوم الجمعة ضربا شديدا فانا نريد ان السامع يحصل من مجموع هذه الكلم الخمسة
على مفهوم هو معنى واحد لا عدة معان كما توهمه الناس وذلك انك لم تات بهذه
الكلم لتفيده نفس معانيها وانما جيت بها لتفيده وجوه التعلق التي بين الفعل
الذي هو ضرب وبين ما عمل فيه والاحكام التي هي بحصول التعلق واذا كان الامر
كذلك فينبغي لنا ان ننظر في المذمومة من عمرو وكون يوم الجمعة زمانا للضرب وكون
الضرب بهذا شديدا وكون التاديب علة للضرب ايتصور هذا ان نفرد عن المعنى

الاول الذي هو اصل الفايدة وهو اسناد ضرب الى زيد واثبات الضرب به اما حتى
تجعل كون عمرو مضروبا به يوم الجمعة مفعولا فيه وضرب اسند اليه اسندا واكون
الضرب مفعولا له من غير ان يخطر ببالك كون زيد فاعلا للضرب واذا نظرت واحد
ذلك لا يتصور لان عمرا مفعول لضرب وقع من زيد عليه ويوم الجمعة زمان
لضرب وقع من زيد وضربا جيدا بيان لذلك الضرب كيف هو وما سفته وذا
جملة له وبيان احكام الغرض منه واذا كان ذلك كذلك بان منه وثبت ان الغرض
من مجموع الكلم معنى واحد واذ قد عرفت هذا فهو الصرخ اذا قفيت بشار اذا
باسلته وجدته كالجامعة المعرفة التي لا يقبل التقسيم ورايته قد سنع في الكلم التي
ويعمايصنعه الصايغ حين ياخذ كسوا من الذهب فيذيبها ثم يصبها في قالب
ويخرجها لك سوارا وخلخالا وان انت حاولت قطع بعض الفاظ البيت عن بعض
كنت كمن يكسر الخلخال ويصمم السوار وذلك انه لم يرد ان يشبه النغم والاشياء
تحوله فيه بالليل في حال ما تكدر الكواكب وتتهاوى فيه فالمقصود من الجميع مجموع
واحد والبيت من اوله الى اخره كلام واحد فانظر الان ما تقول في احاد هذه الكلم
التي مي اجزا البيت اتقول ان الفاظها احدثت وصارت لفظه واحدة فان كنت
تشك ان الاتحاد الذي تراه هو في المعاني اذ كان من فساد الفعل ومن الذهاب
في المحال ان يتوهم متوهم ان الالفاظ يندمج بعضها في بعض حتى تصير لفظه واحدة
فعد اراك ذلك ان لم تكن قد اعتقدت ان النظم يكون في معاني الكلم دون الفاظها وان
نظرها هو حتى معاني النحو فيها وذلك انه اذا ثبت الاتحاد وثبت انه في المعاني ينبغي
ان ننظر الى الذي به احدثت المعاني في ضرب بشار واذ انظرنا لم نجدها احدثت
الا ان جعل بشار النغم اسم كان وجعل الظرف الذي هو فوق رويدا منصوبا بالاستقرار
وجعلقابه واشرك الاسماعيلي في كان بعطفه لها على استار ثم بان قال ليل تصادى
كوالبه اصفة ثم جعل مجموع ليل تصادى كوالبه خبرا لكان فانظر هل ترى شيئا
كان الاتحاد فيه غير ما عددناه وهل تعرف له موجبا سواه ولولا الاتحاد الى
الصورة وترك النظر وعطا الذي يجلي عيون اقوام لكان ينبغي ان يكون في هذا حتى
والكفاية وفوق الكفاية وسال الله التوفيق واعلم ان الذي هو اداه هو لا الذين
تحيروا الاتاطيل في امر اللفظ انهم قصروا تاملهم الى الفصل والعوا عقادهم
الى الاذهان حتى عدلت بهم عن الصواب كل معدل ودخلت بهم من اصل الغلط

في كل مدخل ومتسفت بهم في كل مجهل وجعلتهم يتكبون في بئر رايهم الفاسد الاصل
بكل محال ويتحيرون في كل جهالة حتى انك لن قلت لهم انا لا نبتاني الفاظ نظمه الا ان نفكر
والروية فان احدهم ينظر في الالفاظ لو سالته من ذلك ان يجعلوا فكرا الانسان اذا
هو فكر في نظم الكلام فكرا في الالفاظ التي يريد ان ينطق بها دون المعاني لم يدر ما
يركبوا ذلك وان يجعلوا فيه معاني الصادة ويحركوا الجهلة من الانسان يخيل اليه
اذا هو فكر انه كانه ينطق في نفسه بالالفاظ التي يفكر في معانيها حتى يجري اسمه
بمعرفا سماعه لها حادثين يخرجها من فيه وحتى يجري به اللسان وهذا جاهل لان
يقال له ذلك سبيل ان الانسان يخيل في الشي انما اذ يراه وشاهده انه كانه يراه
وينظر اليه وان مساله نصب عينيه فكما لا يوجب هذا ان يكون رايا العين كون
الشي موجودا في نفسه كذلك لا يكون تخيل كانه ينطق بالالفاظ موجبا ان يكون
ناطقا بها وان تكون موجودة في نفسه حتى يجعل ذلك سببا الى جعل الفكر فيها انما
يعمل بخياله ينطق بالالفاظ في نفسه وانه يجده وفيها على الحقيقة فمن اين اساله
اذا فكر كان الفكر منه فيها الم ترا دوم ابيت شعوبي بذلك الفكر ومعلوم ان الفكر
من الانسان يكون في ان يخبر عن شي بشي او ينصف شيا شيا او يضيف شيا الى شي
او يشرك شيا في حكم او يخرج شيا من حكم قد سبق منه لشي او يجعل وجود شي
شرطا في وجود شي وعلى هذا السبيل وهذا كله فكر في امور ومعنوية زايدة على
اللفظ واذا كان هذا الذي لا يخل هذا الذي يجعل في الالفاظ فكرا من احد امرين
اما ان يخرج هذه المعاني من ان يكون لواضع الكلام فكر فيها وجعل الفكر كله في الالفاظ
واما ان يجعل له فكرا في اللفظ مجردا عن الفكر في هذه المعاني فان ذهبت الى الاول
ثم تكلم وان ذهبت الى الثاني لزمه ان يجوز وقوع فكره من الاعجمي الذي لا يعرف معنى
الالفاظ العربية اصلا في الالفاظ وذلك ما لا يجري بكان الشنوءة والعصبية فيه
وشبيه هذا الغرض فيهم انك قد ترى احدهم يعتبر حال السامع واذا راى المعاني
لا ترتب في نفسه الا بترتيب الالفاظ في سمعه ظن عند ذلك ان المعاني تتبع الالفاظ
وان الترتيب فيها سبب الترتيب فيها ومن ثم رتبها في نطق المتكلم وهذا اكثر فاسد
من نظنه فان الاعتبار ينبغي ان يكون بحال الواضع الكلام والموالف له والواجب
ان ينظر الى حال المعاني معه لا مع السامع واذا نظرنا على ما مر وجدنا محالا ان يكون
الترتيب فيها سببا لترتيب الالفاظ وسنشرحه لان ذلك يقتضي ان تكون الالفاظ

اخرته كان لوضوح لا يكون اذا اردت ادراك شيء في الواقع الذي هو عليه كما تقول
اخرج ولا اخرج فتقدم رجلا وتؤخر اخرى وكذلك اذا اردت التي حملته على عاريته
كان اذا ما خذ من الغلب لا يكون اذا اردت هو كالبعير الذي حمله على عاريته
حتى ومتى كيف شئت وبذهب كيف تريد لا يحمل المرء فيه الا عدم الخير من النفس
والامن لانكم لانه من مبادي المعرفة التي من عدمها لم يكن الكلام معه معنى وقد
قد عرفت هذه الجملة فلنشرع ان نرتقي الى هذه المعاني واحدا واحدا
ونعرف محصولها ومعانيها وان نعطرا ولا الى الكناية واذا انطرت اليها وجدت
مفيدها ومحصولها امرا انما هو اثبات لمعنى انت تعرفه وذلك انه في من الذين
ه ون طريق اللفظ الاترى انك لما نظرت الى قولهم هو كثير الرماد اقدر وعرفت
منه انهم اراد وا انه كثير القرى والضيافة لم تعرف ذلك من اللفظ ولكنك قرأته
ما رددت الى منك علمت انه كلام قد جاء عنهم في المدح ولانه معنى المدح كثرة الرماد
فصل لانهم اراد وا ان يجعلوا كثرة الرماد علما انه نصبت اذا قدرت والكسرة وتطرح بها
القرى والضيافة وذلك انه اذا كثر الطبخ في القدور وكثر حران الحطب عنها وكلما
كثر حران الحطب كثر الرماد لامحاله وهكذا السبيل في كل ما كان كناية والسر في لفظ
الشعر عرفت ان هو رسمه اراد بقوله ولا التباع الى غريبه الاجل الذي هو ان
معناه ولكنك عرفته بالنظر الذي عرفت بان علمت انه لا معنى للمدح بكثرة الرماد
وانه اللفظ من قرب اجل ما يشترك فيه الاضياف فاذا المشتري شتاء او صيفا كان قد
المشتري ما قدره انا اجله لانه يذبح ويخبز من قرب واذا قد عرفت هذا في الكناية
والاستعارة في هذه الغضبية وذلك ان موضوعها على انك تبت برهانا معنى لا تعرفه
السامع من اللفظ ولكنه يعرفه من معنى اللفظ بيان هذا انك تعلم انك لا تقول
رأيت اسدا الا وغرضك ان تثبت للرجل انه مساو للاسد في شجاعته وجرأته
وبذه بطشه واقدامه وفي ان اذ عرفة لمحاسنه والخوف لا تعرض انه لم يعلم ان السامع
اذا عقل هذا المعنى لا تجده من لفظ اسد ولكنه تعقله من دعناه وهو انه لا تعلم
انه لا معنى لجعلك اسدا سامع العلم بانه رجل الا انك اردت انه بلغ من شدة مساواته
الاسد ومساواته اياه مبلغا يوهم معه انه اسد بالحقيقة فاعرف هذه الجملة
واحسن بادئا فيها واعلم انك ترى الناس وكلهم يرون انك اذا قلت رأيت اسدا
وانت تريد الا انسانا انك قد جعلت لفظ اسد هنا موضوعا في اللغة لواحد من

يعرفه ويعلمه حتى كان ليس الاستعارة الا ان تعمل اسم الشيء فتجعله اسما لشيء
وهي كما قد فصل بين الاستعارة وبين تسمية المطر سحابا والنبت عشبا والوالد ووالد
واشباه ذلك مما توقع فيه اسم الشيء على ما هو منه بسبب وبدفعون عما هو مركوز
في الطباع من ان المعنى فيه المبالغة وان يدعي في الرجل انه ليس برجل ولكنه اسد
بالجملة وانه انما جاء اللفظ من بعد ان جاء المعنى وانه لا تشرك في اسم الاسد الا
من بعد ان يدخل في جنس الاسد لانك ترى احدا يعقل الا وهو يعرف ذلك اذا رجع الى
رجوع الى نفسه ومن اجل ان كان الامر كذلك رأيت العقلاء كلهم يجعلون القول بان
من شان الاستعارة ان يكون ابلغ من الحقيقة والا فان كان ليس هيهنا الا عقل
اسم من حيث لا يعقل فمن اين يجب ان تكون الاستعارة ابلغ من الحقيقة
وكون القول انا رأيت اسدا اسرع الى فؤاد السامع شبها بالاسد وذلك محال
ان يعقل الشيء في نفسه بان يعقل انه اسم قد وضع ليعبر به عن رجل لاجل معنى
ذلك الاسم فيه في وجوه من الوجوه بل يجعل كانه لم يوضع لذلك المعنى الا على اصلا
وفي اي محل يحصل ان يعبر بمعنى شبيه بالاسد بان يوضع لفظ اسد عليه ويعقل
ذلك واعلم ان العقلاء لو لا علمهم اذا اقاسوا وشبهوا على ان الاشياء تحكي الاشياء في
الحواس بعان بني بها دون ما بعدها واذا اشتبهوا احاسة على شيء اشتوا له اسمه واذا
جعلوا الرجل يجب لا تعرض بحاجته عن محاجاة الاسد ولا تعدم منه شيئا دانوا
هو اسد واذا وصفوه بالسماحة في الحي والخصال الشريفة او الحسن الذي يبعد
والوا هو ملك فاذا وصفوا الشيء بغاية الطيب والوا هو مسك وكذلك الحكم اذا عظم
انهم اذا استعملوا في ذلك نحو اعني الشهية اسم جنسه نحو الناس هو انسان وانما
هو اسد وليس هو اسدا وانما هو ملك كما قال تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك
كريم ان لم يريد وا ان يخرجوه عن جنسه حملة والوا هو اسد في صورة انسان
وهو ملك في صورة آدمي وقد خرج هذا المعنى في احسن عبارة وذلك في قوله

عن ذكيت مجلس بي زكي بابي فوق طرفا بحوص اجمالا

فمعنى هذه الجملة بيان لمن يعقل ان ليست الاستعارة تعقل اسم عن شيء الى شيء
ادعا معنى الاسم لذلك الشيء اذ لو كانت تعمل على اسم وكان هو انما رأيت اسدا انما معنى رأيت شبيها
بالاسد ولم يكن ادعاء انه اسد بالحقيقة لكان محالا ان يقال ليس هو انسان ولكنه
اسد او يقال هو اسد في صورة انسان كما انه محال ان يقال ليس هو انسان ولكنه

شبيها بيد في صورة انسان واعلم انه قد كثر في كلام الناس لفظ النقل والاستعارة
فمن ذلك قولهم ان الاستعارة تعليق العبارة على غير ما وضعت له في اصل اللغة
على سبيل النقل وقال القاضي ابو الحسن الاستعارة ما اكتفى فيه بالاسم المستعار
عن الاصلي ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها ومن سأل ما الحد الذي
ولطف ان يصعب تصوره على الوجه الذي هو عليه لعامة الناس فمتى اردت ذلك
في العبارات التي نعبر لها عنه سالوك الخطأ واطلاقهم في الاستعارة انها نقل
العبارة عما وضعت له من ذلك فلا يصح الاخذ به وذلك انك اذا كنت لا تطلق
اسم الاسد على الرجل الا من بعد ان تدخله في جنس الاسود من الجزية التي بها لم
تكن قد نقلت الاسم عما وضع بالخصوصة لانك انما تكون بالاطلاق اخرجت معنا
الاصل من ان يكون مقصودا او نصصت به بدلك فاما ان يكون بالاطلاق عن بعضه
مع ارادة معناه فمحال متناقض واعلم ان في الاستعارة ما لا يصور بقدر النقل
فيه البتة وذلك مثل قول السيد

وعداة برح قد كسعت وقوته ... اما صحت يد الشمال زمامها

لا خلاف في ان اليد استعارة ثم انك لا تستطيع ان تزعم ان لفظ اليد منتقل عن
محله الى وذلك انه ليس المعنى على انه شبه شيئا باليد بركنك ان تزعم انه نقل لفظ
اليد اليه وانما المعنى على انه اراد ان يثبت للشمال في تسريعها العداء على طبيعتها
شبه الانسان وقد اخذ التي بيده يقلبه ويصرفه كيف يريد فلما اثبت لها مثل فعل
الانسان باليد استعار لها اليد وكما لا يمكنك ان تدعي النقل في لفظ اليد كذلك لا يمكنك
ان تجعل الاستعارة فيه من صفة اللفظ الا ترى انه محال ان يقول انه استعار لفظ
اليد الشمال وكذلك سبيل نظائره مما قد مثلوا فيه التي يعضون من اعضاء الانسان
من اجل اشارتهم له الى المعنى الذي يكون في ذلك العضو من الانسان كبيت الحماسة

اذا هززته في عظم بزين تهللت ... مواجد افواه المنايا الضواحك

فانما جعل المنايا تضحك جعل لها الافواه التي تكون الضحك فيها وكبيت
المتنبي جمس مشرق الاذى والغرب رجيعه . وفي اذن الجوزاء منه زمام
لما جعل الجوزاء تسمع على عادتهم في جعل الكواكب تعقل وتسمع طلبا لما يوصف به الانسان
انتفاها الاذن التي بها يكون السمع من الانسان قلت الان لا تستطيع ان تزعم في بيت
الحماسة انه استعار لفظ المواجد ولفظ الافواه لان ذلك يوجب المحال وهو ان

يكون في انسان ناس قد شبههم بالمواجد وفي قد شبههم بالافواه فليس الا ان يقول
انه اراد ان المنايا تسر واذا هو هز السيف وجعلها تسر وقد ادرك
ضحك اراد ان يبالغ في الامر فجعلها في صورة من يضحك حتى يبدو ما وراءه من
سنه السرور وكذلك لا تستطيع ان تزعم ان المتنبي قد استعار لفظ الاذن لانه
يوجب ان يكون في الجوزاء شيء قد اراد تشبيهه بالاذن وذلك من شنيع المحال ويعد
بين من غير وجه ان الاستعارة انما هي ادعاء في الاسم الذي للفعل الاسم عين
التي علمت ان الذي قالوه من انها تعليق العبارة على غير ما وضعت له في اللغة
ونقل لها عما وضعت له كلام قد سامحوا فيه لانه اذا كانت الاستعارة ادعاء معنى
الاسم لم يكن الاسم موضوعا لهذا المعنى واعلم انك ترى الناس لا يمتنعون اذا
تكلموا في الاستعارة من ان يقولوا انه اراد المبالغة فجعله اصلا ثم حكم بالنقل
عنه وذلك صحيح في ان الاصل فيها المعنى وانه المستعار في الحقيقة وان قولنا
استعير لهذا اسم الاسد اشارة الى انه استعير له معناه وانه جعل له وذلك انا لم
نقل ذلك لنجعل لها معنى لان جعل الانسان الحيث يراد اثبات صفة التي كقولنا
جعله اميرا وجعله لشاتين يداحبت له الامارة وتسميته اياه بالاسم وهو ايضا
عليه ورسمه شاهد حكم جعل الاسد في معنى الرجل حكم صريح كقولنا للرجل
امير الاعلى معنى انك اثبت له صفة الامارة فكذلك لا تقول جعلته اسدا الا على معنى
انك اثبت له معاني الاسد وما شابهه في معنى كلامهم من ان جعل يكون بمعنى صير فما
سامحوا فيه اصلا لان المعنى معلوم وهو مثل ان يقول الرجل يقول انا لا اسميه
انسانا وغرضه ان يقول اني لا اثبت له المعاني التي بها كان الانسان انسانا فاما
ان يكون جعل في معنى صيره كذا اعقلا لا اخفى فساده الا ترى انك لا تجد عاقلا
يقول جعلته زيدا بمعنى صيرته زيدا ولا يقال الرجل اجعل ابنك زيدا بمعنى سمه
زيدا ولد لان ابن فجعله عبد الله اي سماه عبد الله وهذا لا يشك فيه احد
عقل اذا نظر والكثير ما يكون منهم هذا النساج اعني ذلك فمن ثم جعل بمعنى
صير في قوله الله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فقد ترى بعد
التفسير ان جعل يكون بمعنى سمى وعلى ذلك فلا شبهة في ان الذي ذهب
اليه الحقيقة ولكن على الحقيقة التي وصفتها لك وذلك انهم لم يقولوا الا انه سماه
وعبد وا وجودها بينهم وعن هذا الاعتقاد صدر ذمهم واعتدوا من الاخبار

اعني الاطلاق اسم البيات وليس المعنى انهم وضعوا لها لفظ الاثبات او لفظ البيات
من غير افادة معنى واثبات صفة هذا محال ولا ادري لقوله تعالى اشهدوا
خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون فلو كانوا لم يريدوا ولم يقصدوا اجراء الاسم على الملائكة ولم
يعتقدوا اثبات صفة لما قال تعالى اشهدوا خلقهم هذا ولو كانوا لم يقصدوا
اثبات صفة ولم يكن بحيران وسمعوا انثا لا يريدون به معنى مما استحقوا الانكار
من الذم وقد كان هذا القول منهم كفرا والتفسير الصحيح والعبارة المستقيمة
ما قاله ابو اسحاق الزجاج رحمه الله وانه قال الجعل هاهنا في معنى القول والحكم
على الشيء بقول فتجعلت زيدا اعلم الناس اي وصفته بذلك وحكمت به ورجع
الى العوض ومعقول فاذا ثبت ان ليست الاستعارة بفعل الاسم ولكن ادعاء معنى الاسم
وكما اذا عملنا من قول الرجل رأيت اسدا انه اراد المبالغة في وصفه بالشجاعة
وان يقول انه من قوة القلب ومن ربط الجاش وشدة البطش وفي ان الخوف
لا يجاوزه والذعرة لا يعرض له بحيث لا يتفاوض عن الاستدام بفعل فذلك من فعل
اسد ولكن من اداه عليه معنى الاسد الذي اردت بذلك ان الاستعارة انما
في انك تعرف المعنى فيها من طريق المعقول دون طريق اللفظ واذ قد عرفت ان
طريق العلم بالمعنى في الاستعارة والكناية معا المعقول فاعلم ان حكم التمثيل في ذلك
حكم باقي الاخر في التمثيل الظاهر وذلك انه ليس من عاقل بشك اذا نظر في كتاب
يزيد بن الوليد الى مروان بن محمد حين بلغه انه تابع في بعثه انما بعد فانك
اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى فاذا اتاك كتابي هذا فاعتمد على ايهما شئت
والسلام يعلم انا المعنى انه يقول له لمعنى انك في امر البيعة بين رأيين مختلفين
تريد ان تمضي ايهما شئت فاعمل على اي
الرأيين شئت انه لم يعرف ذلك من لفظ التقديم والتأخير ومن لفظ الرجل ولكن
بان على انه لا معنى لتقديم الرجل وتأخيرها في رجل يعني به البيعة وان المعنى على
انه اراد ان يقول ان مثلك في تردد بين ان تمضي وبين ان تمسك مثل رجل قائم
في امر نفسه تريد ان تذهب واخرى انه في ان لا يفعل
فهو يقدم رجلا ويؤخر اخرى وهكذا الكلام كان ضرب مثل لا يخفى على من له
ادنى بصيرة ان الاغراض التي يكون التباين في ذلك لا تعرف من الالفاظ ولكن
المعاني الحاصلة من مجموع الكلام ادله على الاغراض والمقاصد ولو كان الذي

من غرض المتكلم يعلم من اللفظ ما كان كقولهم ضرب اذا مثلا لكل ما يعنى به ضرب
منه مثلا ولكن المعنى فاذا قلنا في قول النبي عليه السلام اما اكم وحضر الدهم
فانه عليه السلام ضرب حضر الدهم مثلا لغرار الحسان في مشيهن سوء لكن المعنى
الذي اراد النبي صلى الله عليه وسلم ضرب لفظ حضر الدهم مثلا لظاهر هذا لا نظنه من به مسكة
يسأل عن العاقل فعقد ان السكك وان تفرع في ان طريق العلم بما يراد اشاعته والخبر
به في هذه الاجناس الثلاثة التي هي الكناية والاستعارة والتمثيل المعقول دون
اللفظ من حيث يكون القصد بالاثبات فيه الى معنى ليس هو معنى اللفظ ولكنه
معنى يستدل بمعنى اللفظ عليه ويستنبط منه كقولنا في كثير من ان القصد في
قوله هو كثير رماد القدر الى كثرة القرى وانت لا تعرف ذلك من هذا اللفظ
الذي سمعته ولكنك تعرفه بان تستدل عليه بما على ما هو المشروح فيه وقد
عرفت ذلك فيما مضى ان قالوا فلم قلتم انه لا بد في قولنا ان الغرض
بلفظ وصفه بحيث الكلام من اجل مزية يكون في معناه وانها لا تكون وصفا للفظ
من حيث هو اللفظ مجردا عن المعنى واخبرونا ان قالوا انه لو كان الكلام اذا وصف
بانه فصيح كان ذلك من اجل مزية تكون في معناه وجب ان يكون تفسير فصيحا
مثله اخبرونا عنكم اترون ان من شأن هذه الاجناس اذا كانت في الكلام ان تكون
امرا به مزية من حيث له الفصاحة ام لا ترون ذلك فان قالوا لا ترك لم تكلموا وان
قالوا ترى الكلام اذا كانت بي فيه مزية توجب له الفصاحة قيل لهم فاخبرونا
عن تلك المزية اتكون في اللفظ ام في المعنى فان قالوا في اللفظ دخلوا في الجهالة
من حيث يلزم من ذلك ان يكون الكناية والاستعارة والتمثيل اوصافا للفظ
لا بد ان تتصور ان يكون مزية في اللفظ حتى يكون اوصافا له وذلك مما لا يخفى
على عاقل انه لا يكون ما اللفظ عن اللفظ وانما يكون ما المعنى عن المعنى وذلك مما علم
انه لا استعار اللفظ مجردا عن المعنى ولكن باستعار المعنى بما يكون اللفظ دالا بالمعنى
على ما قد مضى الشرح فيه وتعلم لذلك انه محال ان يضرب المثل اللفظ وان يكون
قد ضرب لفظ اراد ان يقدم رجلا ويؤخر اخرى مثلا لمن هو في امر البيعة وان قال
في هذا المعنى قيل لهم فهو ما اردنا ان نأمر عليه فدعوا السكك وشأنها وهو ما من ردكم
فانه على ضرورة قد ادى التفسير اليه وكل علم كان كذلك فانه يجب القطع على
السؤال بسببه بانه خطأ وان السائل يلتمس عليه ما ان الذي يعرف منه

وجه دخول الغلط عليهم في قولهم انه لو كان الكلام يكون فصيحا من اجل ان يريد يكون
في معناه لوجب ان يكون تفسيره فصيحا مثله هو انك اذا نظرت الى كلامهم هذا
وجدته نفسه كما تصرفوا به انه لو كان الكلام اذا كان فيه كناية او استعارة او مثل كان
كذلك فصيحا لوجب ان يكون اذا لم نوجد فيه هذه المعاني فصيحا اسناد الكلام
تفسير الكناية ان يتركها ويصرح بالمكنى عنه مقبول ان المعنى في قولهم هو كثير الرماد
انه كثير المعنى وكذلك الحكم في الاستعارة فان تفسيرها ان يتركها ويصرح بالشبه
مقبول في رأسد اسدا ان المعنى رأيت رجلا مساويا الاسد في الشجاعة وكذلك
الامر في التمثيل لان تفسيره ان يذكر التمثيل به مقبول في قولك اراك تقدم رجلا
وتؤخر اخرى ان المعنى انه قلق اراك تتردد في امرا بتبعه مقبول تارة واخرى
لا تفعل كمن يريد الذهاب في وجه فتريه نفسه تارة ان الصواب في ان يذهب
واخرى انه في ان لا يذهب فهو يقدم رجلا ويؤخر اخرى وهذا خروج عن المعقول
لانه يمكن له ان يقول لرجل قد نصب لوصف علة ان كان هذا الوصف يجب به
العلة فمتى ان يجب مع عدمها كان الذي استوجبها هو انا نظرنا الى تفسير الفعة
بعضها بعض فلما رأوا ان تفسير لفظ مثل ان يقال في الشرجب انه الطول
لم يجز ان يكون في المفسر من حيث المعنى مزية على التفسير وظنوا ان سبيل ما يجوز
فيه ذلك السبيل وذلك غلط منهم لانه انما كان للمفسر فيما نحن فيه الفضل والمزية
على التفسير من حيث كانت الدلالة في المفسر دلالة معنى على معنى وفي التفسير دلالة
لفظ على معنى وكان من المركوز في الطباع والراسخ في غرائز العقول انه متى اريد
الدلالة على معنى وتركت ان يصرح به وذكر باللفظ الذي هو له في اللغة وعمد الى
معنى اخر فاشير اليه وجعل دليلا عليه كان ذلك حسن ومزية لا يكون
اذا لم يصرح بذلك وذكر بلفظه صريحا ولا يكون هذا الذي ذكرت انه سبب تفضل
المفسر على التفسير من كون الدلالة في المفسر دلالة معنى على معنى وفي التفسير
دلالة لفظ على معنى حتى يكون للفظ المفسر معنى معلوم يعرفه السامع هو غير
معنى لفظ التفسير في نفسه وحقيقته كما تركب من ان الذي هو معنى اللفظ
في قولهم هو كثير رماد القدر وغير الذي هو معنى اللفظ في قولهم هو كثير القرى
ولو لم يكن كذلك لم يتصور ان يكون هو نفسه دلالة معنى على معنى واذا قد عرفت
هذه الجملة فقد حصل لنا منها ان المفسر يكون له دلالتان دلالة اللفظ على

ي دلالة المعنى الذي دل عليه اللفظ على معنى لفظ اخر ولا يكون المفسر الا له
ة وهي دلالة اللفظ وهذا الامر هو سبب ان كان للمفسر الفضل والمزية على
ير ومحال ان يكون هذا نفسه المفسر والتفسير انما نظنه ذاك لان
ن التفسير يكون اولا يحتاج له عند السامع ومحال ان يكون المجهول دلالة على ان
معنى المفسر يكون بعينه معنى التفسير بعينه ومحال اذا كان المعنى واحدا ان يكون
المفسر فضل على التفسير لان الفضل كان في ان دل لفظ المفسر على معنى ثم
دل بمعناه على معنى اخر وذلك لا يكون مع كون المعنى واحدا ولا يتصور بما ذكرنا
محال ان يقال ان معنى الشرجب الذي هو المفسر يكون دليلا على معنى مفسره
الذي هو الطويل على ما وزان قولنا ان معنى كثير رماد القدر يدل على معنى تفسيره
الذي هو كثير القرى لانه ليس احد معنى ذلك لان تفسير الشرجب حتى يكون معنى يجوز
عند السامع ومحال ان يكون المجهول دلالة والشاهد ان المعنى في تفسيرنا الشرجب
الطويل ان علم السامع ان معناه هو معنى الطويل فاعرف ذلك وانظر الى الفوائد
الكثيرة التي عادت على الناس من الاحكام الكائنة ولولا انهم تركوا الاستدامة الى التقدير
والتحديد بالقرينا وتركب النظر والسبر واولوهم ان هيهنا دلالتا معنى الى تفسيرنا الشرجب
الطويل واعادوا الجماعهم بالفارسية في سوائم هذا وفي سائر انواع المفسر مجملا منها ومن تفاوت
الحالة ربما واد قد بان سقوط ما اعترض به الغمر وخبث غلطهم ومتى ان تعلم ان
ليست الغرابة التي تجدها في كلامه الاجنبي على الكلام اذا ترك على ظاهره والمسافة
التي تجدها بينها في انفس المعاني التي تقصد المتكلم بخبره الزيادة تكرها في طريق المثابة هنا
ومتى رأيتها وذلك اذ اسمعهم يقولون ان من شان هذه الاجناس ان تكسب المعاني
شرفا وفضلا وتوجب لها خطرا ونبلا وان تفخم امرها في نفوس السامعين وتذهم اذا رأيتها
عند الناس على فانهم لا يعنون انفس المعاني التي تقصد الى المتكلم بخبره انها اذا ترك
والشجاعة والجود في الرأي وانما يعنون انها اذا ما ثبت له بخبره بها عاد فادى
الكناية مزية على التصريح لم يعنوا ان ذلك المزية في المعنى المكنى عنه والمشبه به
وانما يعنون ان ذلك المعنى الذي تقصد الخبر به لانه مزية اذا كني عنه بغيره
وترك ان تذكره بالالفاظ التي هي له معان في اللغة ومن هذا الذي يشك في ان معنى
طول القامة وكثرة القرى لا تتصور ان يكون عندها طويل العماد وكثير رماد القدر
كيف وتعذر التشبيه فيهما وذلك ان لا يكون الكناية عنهما وذكر من غير عماد وذ

وقد ذكرت هذا في صدر الكتاب وذكرت ان السبب في ان كان يكون للاثبات اذا كان
من طريق الكناية مزية لا يكون اذا كان من طريق التصريح اذا كنت عن كرم الفتى بكرة
رماد القدر كنت قد اثبت كثرة الفتى باثبات ساهد هذا وقد لطفا وهو علم على
وجود هذا وذلك لا محالة يكون ابلغ من اثباتها بنفسها وذلك لانه يكون سبيلها سبيل
الدعوى يكون بعرياً شاهد وذكرت ان السبب في ان كانت الاستعارة ابلغ من
الحقيقة انك اذا ادعيت للرجل انه اسد بالحقيقة كان ذلك ابلغ واشد في تشبيهه
بالاسد في الشجاعة وذلك لانه محال ان يكون من الاسود ثم لا يكون له شجاعة الاسود
وكذلك الحكم في المثل فاذا اردت ان تعذر رجلا او تو حراجرى كان ابلغ في اثبات
التوحر له من ان تقول اراك انت كمن يعذم رجلا او توحر احرك واعلم انه قد
تحصر في نفس الانسان شيء يطرأ من اجله انه ينبغي ان يكون الحكم في المزية التي تحدث
بالاستعارة انما تحدث في المثبت دون الاثبات وذلك ان تقول انا اذا نظرنا الى
الاستعارة وجدناها انما كانت ابلغ من اجل انها تدعي في قوة الشبه وانه قد تناهى
الى ان صار المشبه لاجتماعه مع المشبه به في المعنى الذي من اجله شبه به واذا كان كذلك
كانت المزية الحادثة لها حادثة في الشبه واذا كانت حادثة في الشبه كانت في المثبت
دون الاثبات والجواب عن ذلك ان يقال ان الاستعارة لم تجر بمعنى قوة الشبه
وكونه بحيث لا يجوز المشبه عن المشبه به ولكن ليس ذلك سبب المزية وذلك
لانه لو كان ذلك سبب المزية لكان ينبغي اذا جعلت رأيت بحرا فعلت رأيت رجلا اسد
الاسد في الشجاعة وبحيث لو تصورته لظننت انك رأيت اسدا وساكذلك من
سرد المبالغة ان تجد لكلامك المزية التي تجدها لقولك رأيت اسدا او لست ترى
على عاقل انه لكط يكون فان قال ان المزية من اجل ان المساواة تفكر في رأيت
اسدا من طريق المعنى وفي رأيت رجلا مساويا للاسد من طريق اللفظ قيل له انا
مما نعدم امحال ان يتعبر حال المعنى في نفسه بان يكون عنه معنى اخر وانه لا يتصور
ان يتعبر معنى طول القامة بان يكون عبارة بطول النجاد ومعنى كثرة الفتى بان يكون
عبارة كثرة الرماد وكان ذلك لا يتصور فكذلك لا يتصور ان يتعبر معنى مساواة الرجل
الاسد في الشجاعة بان يكون عبارة عنه بل نجعله اسدا فاذا نظرت
الى قوله ، فاسلت لو لوا من رجس وسعت ، ورد اوغصت على العناب الزبد
فرأسه قد افاد ان الدمع كان لا يحرم من سيله اللولو والعين من سيله الرجس شيئا

ولم يجعل ان سبب الحسن الذي تراه فيه والاريحية التي تجدها عند ذكره انه قد افاد ان
الدمع قد جاوز ذلك الى ان سطح ان يجري مجرى ما يعقل فاسبلت وسقت الكاف اللولو
من عينه التي كانت الرجس جميعه ثم لا ترى من ذلك الحسن شيئا ولكن اعلم ان
سبب ان راقك وادخل الاريحية عليك انه افادك في اثبات شدة الشبه مزية
لا تجدها في نفس الاثبات وهذه خاصة قد تعرض في جميع الاستعارات ان يتاح لك ان تجد في نفسه هزة عند
وكذا حكم نظائره كقوله

شكى اليه ذكي الدمع من رجس ، وخاطر الورد بعناب

وقوله المعنى ، بدت قمرا ومالت خوط بان ، وماجت عنجرا ورنت غزالا

واعلم ان من شان الاستعارة انك كلما رمت ان تدل على اختصاره ادت الاستعارة
حسنا حتى انك تراها اغرب ما يكون اذا كان الكلام قد الف بانها ان اردت ان تفصح
عن التشبيه خرجت الى نحو معاناة النفس وبلغظه الصنع ومثاله ذلك قولك ان العقل
اثمرت اغصان راحته ، لجناء الحسن عنابا ،

لا ترى انك ان حملت نفسك على ان تعابر التشبيه وتفصح عنه احتجت الى ان تقول امرت
اصابع كفه التي هي كالاغصان لطالما الحسن شبيه العناب من اطرافها المختصة به
وهذا مما لا يخفى عناته ومن اجل ذلك كان موضع العناب في هذا البيت احسن
منه في قوله ، وعضت على العناب بالبرد ، وذلك ان اظهار التشبيه فيه
لا يتبع هذا الفحش الغرط لانك لو قلت وعضت على اطراف اصابع كالعناب تعصر
بالبرد كان حشوا يكلم منه وان كان مبردا ولو هذا لا حبر شيء من الامر كان ظاهر
التبع حاد الفرجة وفي الاستعارة علم كثير ولطائف وعجائب وقد وافق مرورنا بشيء
منها ان شاء الله في موضع اخر واعلم ايها الناجين احد ثاني الجواب عن توهمه انه لو كان
الكلام يكون فصيحا من اجل مزية تكون في معناه لكان ينبغي ان يكون تفسير فصاحة
الكلام قلنا ان الكلام الفصيح ينقسم قسمين قسم تعزى المزية فيه الى اللفظ وقسم تعزى
فيه الى المعنى وقد ذكرنا القسم الاول من الجملة وسنذكر الثاني بعده فاما قولك اذا اردت ان تعبر
عن طلاقة وجه انسان فقلت انه يشرق مثلا وانه كالقمر في الاشراق فانك لم تعبر عن
المعنى بلفظ هو اسم له بل عبرت عنه بان جعلته مثلا له في صفته فكذلك ينبغي ان يكون
الكلام فصيحا في معناه ان يكون تفسير الكلام الفصيح فصيحا مثله وانه محال ان يتصور
الجهالات واما القسم الذي تعزى فيه المزية الى المعنى فان كل كلام وان كان من
فيه ام فيه كان احتشم في ذلك الغرض وذلك ان الكلام كما يكون

وحي معاني النحو واحكامه وفروعه ووجوهه والعمل بقوانينه واصوله وشرح
النحو معاني الفاظ فتصور انا لكون لها تصور وجملة الامران النظم انما هو ان
قوله تعالى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مبتدأ الله خبر ورب صفة
لاسم الله تعالى ومضاف الى العالمين والعالمين مضاف الله والرحمن الرحيم صفتا
كالوجه وما لك من قوله مالك يوم الدين صفة الله ومضاف الى يوم ويوم مضاف
الى الدين واياك معمول اياك اسم الله تعالى وهو مضمر يقع موقع الاسم اذا كان الاسم مفعولا
معنى ذلك انك لو ذكرت اسم الله مكانه لقلت الله نعبدك ثم ان نعبد هو الذي يعمل في
المنصوب فيه وكذلك حكم اياك نستعين ثم ان جملة اياك نستعين معطوفة بالواو على
جملة اياك نعبد والصراط مفعول اهدنا المستقيم صفة الصراط وصراط الذين بدل
من الصراط المستقيم واضيف عليهم صفة الصراط وصراط الذين بدل
والضالين معطوف على المغضوب عليهم فانظر الان هل تصور لك شيء من هذه الجملة
ان يكون معنى اللفظ وهل يكون كون الحمد مبتدأ معنى لفظ الحمد ام يكون كون رب
صفة وكونه مضافا الى العالمين معنى لفظ الرب فان قيل انه ان لم يكن هذا ولا ذاك
معاني الفاظ فانا نعلم على كل حال من ترتيب الالفاظ ومن الاعراب ما يدلنا
على ان الحمد من الحمد نعلم انه مبتدأ والحرف الذي من رب نعلم انه صفة وبالياء المضاف
نعلم انه مضاف اليه وعلى هذا قياس الكل قيل ترتيب اللفظ لا يكون لفظا والاعراب
وان كان يكون لفظا فانه لا يتصور ان يكون ههنا لفظان كالاسم فانه اعراب لم يكن
احدهما تغييرا للاخر وزيادة للمعنى في هذا من خطل الرأي فانه مما يعلمه العاقل
بعد ادنى نظر ومن لم يتنبه له من اول ما سمع لم يكن اهلا لان يتكلم ونعود الى
الحديث فنقول فقد بطل الان من كل وجه وكل طريق ان يكون الفصاحة وصفا
للفظ من حيث هو لفظ ونطق لسان واذا كان هذا صورة الحال وجملة الامر لم يسع
القوم فكر واني شيء مما شرحناه حال ولا اخطروه ببال وظهر انهم لم يأتوا
من تأليفه ولم يطلبوه من بعد به ولم سلكوا البر مطرقه ونهجه وانهم لم يزيدوا على ان ذكروا
الفصل وبعضا كاد انهم قد اتوا الوجه الذي به كان القرآن معجزا والوصف الذي به بان
من كلام المخلوقين من عجز ان يكونوا قد فطنوا اليه فولا ينشئ من شأن فليلا ويكون على
علم منه قليلا وفي مقدوره ما قصدوا اليه سبيلا واعلم انه اذا نظر العاقل الى هذه الادلة
فرأى الامور هكذا يستبعد ان يكون قد ذهب على فطن في الفصاحة انها من صفة اللفظ عرضا

وعرض له كذلك وهي الا انما نعطي الجد حقه ونستقصي ونبلغ الحكم ان انما
لم تجد انما يجيء الا لفائدة ولم كانوا قد قالوا الا لفائدة ولم لا يريد ولما انها
لا يريد ون تطابق معان فتوهم منها انه كان ينبغي ان يتبعوا ذلك من توهم ما ينبغي
ان يتوهموا وان يذكروا انهم عمدوا الى الالفاظ ضربا ما لمعنى وان عرضهم بتدبر
ان هذا وامر النظم في انه ليس شيء غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم
ان معاني الاولى في نفسك ثم تجد وعلى ترتيبها الالفاظ في نطقك والا فاذكر
ان الالفاظ من المعاني لم تصور ان يجب فيها نظم وترتيب في غاية الدقة والغموض
ثم يريد الذين يحاولون امر اللفظ فقد اوا الاحاطة والعلم في الالفاظ نرى الرجل منهم يرتب
ويعلم ان الانسان لا يستطيع ان يجيء بالالفاظ مرتبة الا بان يعمد الى ذكر واني المعاني
ويرتبها في نفسه على ما اقتضاه العقل ثم يعتمد فيراه لا يعرف الامر الا عند ذلك ويرى نظير
ان السامع فاذا اراد المعاني لا تقع مرتبة في نفسه الا بعد ان يقع الالفاظ
مرتبة في سمعه من حال نفسه واعتبر حال الذي يسمع منه وسبب ذلك قصر الهمة
وضعف العناية وترك النظر والانس بالتقليد وما ينتهي ومنوح العقلاء مع من لا يعلم
ويحاول الصبح ليملأ الاناء ثم لاجراء التأمل ومن قد اعتاد حذوه واعلم انك لا ترى شيئا
من هذا فتحتاج الامر فيه بعد ان اخبرك على ما اخبرك عليه في علم الفصاحة واسبابه
انما يعرض لمن هو لك لانك متى عرفت من انواع العلوم الا واذا تأملت كلام الاولين الذين
علموا الناس وجدت العبارة فيه الرمز الى الاشارة والتصريح اغلب من التلويح والامر
في علم الفصاحة بالضد من هذا فانك اذا اعرت ما انت اعمل فيه وجدت حاله
ضد وخلاف كناية وتعريضا وانما الى الغرض من وجه لا يعدل له الا من عجز عن
واذى النظر ومن رجع من طبعه الى الفطنة يعوق منها على الغامض ويسهل عليه الى
الحزن كانه حرانا الى تخيل معانيهم سامح الاوجه لا تعاب عليها وبادية الصفحة
لاتجاب دونها وحتى كان الافصاح بها حرام وذكرها للاجمال سحرا فاعرف
غير سابح واما الاخير فهو انا لم نر العقلاء قد رضوا من انفسهم في شيء من العلوم
بطريقنا الاولين ويتدارسوه ويكلم به بعضهم بعضا من غير ان تعرفه معنى وتدبره
منه على غرض صحيح ويكون عندهم ان سئلوا عنه بان له وتصوره الحاصل عندنا
بالك ترى طبقات من الناس يتداولون مما يتهم الفاظا قد تأدوا بها من غير
ان عرفوا لها معنى اصلا ويستطيعون ان سئلوا عن ذلك ذكروا انها

امرء ذلك انك رايتهم يقولون اذا تم الكلام في مرتبة الكلام على الكلام ان ذلك يكون لجزالة
اللفظ واذا كلوا في زيادة تعلم على تظهر ان ذلك يكون لوقوعه على طريقة مخصوصة
وعلى وجه دون وجه ثم لا تجدهم يعبرون الجزالة بشيء ويقولون في المعاد بالطراوة
والوجه ما حكى عنه السامع بطائل ويرون في كتب البلغاء في شروح كلام قد وسموا
اللفظ فيها بالسلاسة يعلم ضرورة ان لا مرجع اليه من حيث هو لفظ ونطق لسان وسمة
حرف اصوات لفظ سمعك غير رائق ولا ناب به موضعه وانه جيد السبك صحيح الطابع
وانه ليس به فصل عن معناه وكما انهم ان من حق اللفظ ان يكون طبقا للمعنى لا يزيد
عليه ولا ينقص عنه وكقولك لبعض من وصف رجلا من البلغاء كانت الفاظه قوالب
لمعانيه هذه الفاضة حتوه وقولهم اذا قوموه هو لفظ معقد وانه يعقد قد استهلك
المعنى والنساء غرضهم لا يخطر ببالهم انه يجب ان يطلب لها اثر في معنى وعلم له فائدة
ويجب فيه ذكر وان يعتمد على الجملة اقل بادئ الباب انه كلام لا يصح حمله على ظاهره
وان يكون المراد باللفظ فيه نطق اللسان فانه لا يوصف بالتمكن والتعلق في اللفظ محال
فاما تمكن المعنى وتعلق اذا كان سببا بينت في مكان والالفاظ حروف لا توجد بهذه المزية
حتى يجدم الذي كان قبله وقولهم تمكن او تعلق وصف لذلك بما يرى الا احرف حرف
منها تم الذي كان يصح في حروف الكلمة ان يكون باقية محوجها لكان ذلك بها محالا اصلا
من حيث ان التي اما تمكن وتعلق في مكانه الذي يوجد فيه ومكان الطرف انما هو اللفاظ
والفم واللسان والشفتان فلو كان يصح عليها ان يوصف بانها تمكن وتعلق لكان يكون
ذلك التمكن وذلك التعلق سببا في انها من الحلق والفم واللسان والشفتين وكذلك
قولهم لفظ ليس به فصل عن معناه محال ان يكون المراد به اللفظ لانه ليس ههنا شيء
فصل وحرف يوجد على معناه او ينقص عنه كيف وليس بالدرج وضعت الالفاظ على
المعاني وانما اعتبرنا المعاني المستفادة من الجمل وذلك ذلك وذلك انه ليس هو بما حمله من
من مبتدء او خبر او فعل وفاعل يحصل بها الاثبات او النفي تم او انقص مما يحصل بالترك
وانما فصل اللفظ على المعنى ان يزيد اللاء معنى على معنى وتدخل في اثناء ذلك شيئا
لا حاجة بالمعنى المدلول عليه اليه وكذلك السبك والطابع وما يجري مجراهما لا يعقل
في شيء من ذلك ان يكون المراد به اللفظ من حيث هو لفظ وان اردت الصدق فذلك انك
ترى في الدنيا ناسا لا اعجب من ناس الناس مع اللفظ ولا اشد براي مارج النفوس
وحاسرها واسحكم مرنا وسارا كاحدى طباعها من رايهم في اللفظ فلقد بلغ من ملكه

بعض علمهم ان تركهم وكانهم اذا وظروا فيه اخذ واعن انفسهم وعسوا بين ضمير
وبين ان يكون لهم فيما يسمعونه نظر ورى ان امر اباء الاشتغال وسد ابواب
زيادة نهوضا فقد جعلت ترك النظر فضلا وصلت بالهوينا اسما فاري معنى الاسهال
وما بعد عن التحصيل وتلقى بايدينا الى التهلكة وتسرع الى القول الهوى واعتد بلغ من
عذرهم ان قوما منهم لما راوا الكتب المصنفة في اللغة قد شاع فيها ان يوصف الا
المفردة بالفصاحة ورأوا ابا العباس ثعلبا قد حكى كتابه الفصيح مع انه لم يذكر فيه
الا الالفاظ المفردة وكان محالا اذا قيل ان النوع المسمى بالفصيح من النوع يستحيل
ان يكون ذلك من اجل المعنى اذ ليس بعيد الفصة في الفهم شيء الذي يسبق الى
توهم ان حكم الوصف بالفصاحة ايهما كان وفي اي شيء كان ان لا يكون لا مرجع الى
المعنى البتة وان يكون وضعا اللفظ في نفسه ومن حيث هو لفظ ونطق لسان وهم اعلم
ان المعنى في وصف الالفاظ المفردة بالفصاحة انما هو في اللغة اجنبي وفي استعمال
المستمر الاكثر واعا اجري على ما يليس اللغة والعوايين التي وضعوها وان الذي هو
معنى الفصاحة في اصل اللغة هو الابانة عن المعنى بدلالة فوقه فصيح واعجم وهو الذي
لا يعرب وتصح اللحان وافصح الرجل بكذا اذا ادرج به وانه لو كان وصفهم الكلمة
المفردة بالفصاحة من اجل ما هو لها من حيث هي الفاظ ونطق لسان لوجب اذا وصفوا كلمة
بانها فصيحة على صفة في اللفظ ان لا توجد كلمة على تلك الصفة الا وهي فصيحة
ان يكون فصيحة وحتى يجب اذا كان فعيل من الحمد بالكسر افصح من الفتح ثم ان ما لا يوجد
عليه كاسم ما هو افصح من اجل انه لم يكن فيه حرف كان فيما جاءوا افصح منه مثل
ان ذلت افصح من اذ قلت اترى انه حدث في الواو والالف والنون ما لم يكن معروفا
الهمزة فمسئلة وجب لها ان يكون الفصيح وكفى برأي هذا وما شاكله خطلا
جملة الامر انه لا بد لقولنا الفصاحة من معنى يعرف وان كان ذلك المعنى وصفا
في الالفاظ المفردة فسبيلي ان يشار اليه وتوضع اليد عليه ومن اين ما يدل
على انه يطرد هم انه لا يشترط محلا من يطرد في كتاب يذكر فيه الفصاحة ان الاستعارة
او ان ما يحصل به اللفظ فصيحا وان اظهار حمله والاخبار عن معنى ما يوجب لفظ
فصاحة وانت تراهم يذكرون ذلك ويعتمدونه ثم يذهب عنهم ان محال ان
يعطوا في الفصاحة اعتراف صحة ما نحن بسبيله عهودهم الى القول به من انه يكون فصيحة
لمعناه اما الاستعارة فانهم ان اغفلوا امرها الذي علمناه من ان المستعار الخفيفة

يكون بمعنى اللفظ واللفظ تبع من حيث انا نقول رأيت اسدا ونحن نعني رجلا الا ترى
بدخول انا وأيتا اسدا انا لم نحقيقه سي حيث نحمله لا يتميز عن الاسد في باسه وبطشه
وجراءته فليس فاسم على كل حال لا يستطيعون ان يجعلوا الاستعارة وصف اللفظ من
حيث هو لفظ مع ان استعاده يعلم انك اذا قلت رأيت اسدا كنت نقلته اسم الاسد الى
الرجل وجعلته هكذا عملا اساء جاني يعني بجماع افتري ان لفظ الاسد لما تعارفوا
السبع لم الرجل لشبه به احدث هذا النقل في اجراس حروفه وصدا فيها وصار
بذلك الوصف بحيث لو ان من الاستعارة فيما لا يصح ان يكون المستعار به
اللفظ ليسه ولا يصح ان تقع الاستعارة فيه الا على المعنى وذلك ما كان مثل اليد
في قولنه اليد . وعداه ريح فقد كشفت وقرع اذا احتجت به الشمال وعلم
ذلك لانه ليس عربيا شي يزعم انه شبيه باليد حتى يكون لفظ اليد مستعارا له ولكنك
تعبر به شي يوجد ان يكون قد شبهوه بالزمام وانما المعنى على انه شبه الشمال في
تصريفها العود على طبيعتها بالانسان يكون زمام البعير في يده فهو تصريفه على
اراده وما اراد ذلك جعل للشمال يدا او على العود اه زماما وقد شرحت هذا اصل
شرحا شافيا وليس هذا الضرب من الاستعارة بدون الضرب الاول في اعجاب وسحر
الفصاحة فالكلام لا بل هو اقوى منه في اقتضائها والحاسن التي بظهوره والصور
التي تحدث المعاني بسببه أتى وأعجب وان اردت ان تزداد علما بالذي ذكرت
لك من امره فانظر الى قولهم سقته كف الليل أكواس الكرى وذلك انه ليس
يخفى على عاقل انه لم يرد ان يشبه شيئا بالكف ولا اراد ذلك في الأكواس ولكن شيئا
كان يقال سكر الكرى وسكر النوم استعار الكرى الأكواس كما استعار الاخر الكرى
في قوله وعيد سقى الغور كاس النعسة النهر ، ثم انه لما كان الكرى يكون
في الليل جعل الليل ساقيا ولما جعله ساقيا جعل له كفا اذ لا كان الساقي يناول الماء
بالساق بالكف ومن لطيف الشاعر ما نراه في اخر هذه الابيات وهي للحكم بن قنبر

ولولا ابتسامي الذي كالبرق لم يتم بالغور مبتسم

ولولا استطاري كل يوم حدى عيد لراح بنعشي الدافنون الى قبري

وقد رأيتني وهن الحي والفتيا صريعا ، وبسط حديد الباس كفيه في صدري

ليس المعنى على انه استعار لفظ الكف من الشي ولكن على انه لما اراد ان يصف الباس بانه
قد غلب على نفسه وتمكن في صدره وما اراد ذلك وصفه بما يتصور ان يوصف به الرجل

حتى اعتقد انه على الشي وبانه ممكن منه وهو يدل عليه كما يريد كقولهم قد بسط
يده الى مال فلان وقد بسط يده بالسوط وقد بسط العامل يده في الناحية وفي ظلم الناس
ليس ذلك الا ان القول انه لما اراد ذلك جعل للباس كفين واستعار لحاله فاسان يوم
الاستعارة فيه على اللفظ فالاحتى استحالته على عامل والقول في المجاز هو القول في الا
لانه ليس شيء منها وانما الفرق ان المجاز اعم من حيث ان كل استعارة مجاز وليس كل
مجاز استعارة واذا نظرنا الى المجاز فيما لا يطلق عليه انه استعارة اردنا خطا الصور
مجاز وشاهد ذلك انه يلزم على قياس قولهم ان يكون انما كان قوله تعالى وهو
الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا انضح من اسمه الذي هو قولنا انما
مبصر وفيه من اجل انه حدث في حروفه مبصر بان جعل الفعل للنهار على اسعة الكلام
وصف لم يكن وذلك يلزم ان يكون السبب في ان كان قول الشاعر انا ربيك وعلى
في اضح من قولنا فعلت في اجل من اجل ان كسب هذا المجاز لفظ تام ولفظ الفعل
ناقص لم يكن انما وهذا مما يبعثني العاقل ان يستحي منه وان يأنف من ان يجعل النظر
انما الا بوجه الى بطله وسالك الله العصمة والتوفيق واذ قد عرفت ما ذكرت في
الاستعارة والمجاز فالذي يلزمهم في الانجاز اعجب وذلك انه يلزمهم ان كان اللفظ يكون
صحيحا الا حتى يرجع اليه نفسه وقول معناه ان يكون كذلك موجزا الا حتى يرجع الى نفسه
وذلك من المحال الذي يضحك منه لانه لا معنى للانجاز الا ان يدل بالقليل من اللفظ
على الكثير من المعنى واذا لم يجعلوا وصف اللفظ من اجل معناه لجعلت معناه اعني ابانته
معنى الانجاز واعلم ان هيهنا معنى سنر يفاذ كان ينبغي ان يكون وقد ذكرنا ما ينبغي
من كلامنا وهو ان العاقل اذا نظر علم علم مضرورة انه لا سبيل له الى ان يكبر معاني الاشياء
ويصغرها الا ان يكبر ويصغر الالفاظ الدالة عليها ثم ان يعمد الى الذي اراده واتسع القصد واذا
ثبت ذلك فاعلم انه لا معنى لقولنا تكثر المعنى مع قلة اللفظ غير ان المتكلم يتوصل
بدلالة المعنى على المعنى الى جواب لو انه اراد الدلالة عليها باللفظ لاحتاج الى لفظ اكثر
واعلم ان القول الفاسد والرأي المدخول اذا كان مصدره عن الوهم اشبهه وشابهه
وبينهما من انواع من العلوم غير العلم الذي فاتوا ذلك القول فيه ودعوى الانسي
مذهبه وتسلطه نحو قياسا ظاهرا ولكن الناظرون له والمتشبه وبين ذكره . سار ذلك الشعر
فيه سنة والتقليد دينا وراثة الذين هم اهل ذلك العلم وحاسبته واسراره وهم
الذين هم خلقا ان يصرفوا وجه الغلط والغلط فيه لو انهم نظروا كما لا بد ان ينظر

من اعداده في نواله والعمل به والركون اليه ووجدتهم وقد اعطوه معناه بهم والاتوا له
هاتيهم واوجبهم نظرا لمبتغاه وبتفسيره ثم لاشتهاره وانتشاره واطباق الجمع عليه
الجمع عليه ان الظن به اصوب والمحاماة عليه اولى ولو مثلا الى كل ما ظنوا انهم منع ولم
يسمع ولم يروه سلف عن خلف واخر عن اول الا ان اداه اصلا صحيحا وانه اخذ من
معدن سديد واشتق من بعيه كريمه وانه لو كان مردودا لا لظهر الدخل الذي به
على تقادم الزمان وكرور الايام وكم من خطا ظاهر ورأي فاسد وتحقق فاسد
اسبب عند الناس حتى بوه في اخص موضع من قلوبهم ومحضوه المحبة الصادقة
من نفوسهم وعطفوا عطف الام على واحد هادكم من دارد وي قد استحكم هذه
العلة حتى اعيا علاجه وحتى تعلل به الطبيب ولو لا سلطان هذا الذي وصفت
على الناس وان اداه اخذه لمنع القلوب عن النكير وقطع عنها داعي الفكر ولكان
لهذا الذي ذهب اليه القوم في امر اللفظ هذا التمكن وهذه القوة ولكان لهم رجة
نفوس هذا الرسوخ وتشعب عروقه هذا التشعب مع الذي بان من نباهته
وسفوظه وفضل اغلظ فيه وانك لا ترى في اداة جمة من اي نظرت وكيف سرت
وقلبت مصحفا ولا تراه باطلا فيه شوب من الحق وربما فيه حتى من القضة ولكن ترك
النفس بحسابه اللفظ سرنا وكيف لا تكون في اساس المتحذه ومحمولا بنيه وبين الفكرة
من تسليم ان الفصاحة لا تكون في افراد الكلمات وانها انما تكون فيها اذا ضم بعضها
الى بعض ثم لا تعلم انه ذلك يقتضي ان يكون وصفا لها من اجل معانيها لا من اجل انها
ومن حيث هي الفاظ ونطق لسان ذاك لانه ليس من عاقل يمنع عين عليه وقد وهو سلم
ضرورة ان الضم في نظم بعضها الى بعض تعليق بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من
بعض لا ان يتطق بعضها الى ثم بعض من عيان يكون فيما بينها تعلق وسلم كذلك
ضرورة اذ لا فكر ان التعلق يكون فيما بين معانيها لا فيما بين اصواتها الا ترى انا لو جهد
كل الجهد ان نتصور تعلقا فيما بين لفظين لا نتصور بحال ما نتصور من اجل ذلك ان نقول
بالكلم قسمين سوا لفظ وهو الاسم مع الاسم والفعل مع الاسم وغير سوا لفظ وهو ما عدا
ذلك كالفعل مع الفعل والحرف مع الحرف ولو كان التعلق يكون بين الالفاظ لكان
يمكن ان لا تختلف حالتا في الاستدلال وان لا يكون في احداهما كالمان الا يصح ان يا لفظا
لا تعالى جزء من حيث هي الفاظ واذا كان كل واحد منهم قد اعطى بان الفصاحة لا تكون
في الكلم افرادا وانها انما تكون اذا ضم بعضها الى بعض وكان يكون افراد بضم بعضها الى بعض

ليس معانيها بعضها بسبب لا تكون بعضها في التعلق على اثر بعض كان واجبا اذا لم
يكن بد ان يعلم ان الفصاحة وجب لها من اجل معانيها لا من اجل انفسها لانه محال ان يكون
مستطرا في الفصاحة فيما تعلق معانيها بعضها ببعض ثم يكون الفصاحة وصفا يجب
لها لا لاجل معانيها واذا كان العلم بهذا مستروحا ثم وابهم لا يجلونه ولا يسلمون الا راعوا ثم
الى التعليم قد حالوا بينهم وبين الفكرة وعرض فسر ضيه سنه الاخذه واعطوا كذا
خطريه وجدت مسلطهم مسلل من بين خيال التي فحصت عنه التي وذاك انهم اعتمدوا
في كل امرهم على الشق الذي يروونه في الالفاظ وجعلوا لا يجلون بقدره ولا يعولون
في الفصاحة والبلاغة على شيء حتى انهم ذهبوا الى ان رجلا لو سمع رجلا من عرض سمع
سواه ونطق بالفاظه على الشق الذي وضعه الشاعر عليه كان عندهم مثل الذي سمع الى به
الشاعر في فصاحته وبلاغته الا انهم زعموا انه يكون في اتيانه به مجزيا بالاسبدا
وعن اداة انا مثلنا وجدنا الذي يكون في الالفاظ من تعديهم في مزيا على اي اداضع
في النفس انه شق اداة اعتبر اما وهي من معاني النحو من معانيها واما ضع ذلك انما
ذاك بلا ضع ولا تصور ريحال ادلا ترى انك لو زعمت في قوله فعا بك من ذكر
حبيب ومنزل الا يكون في ترك جوابا دار ولا يكون معنى من اي قرى ولا يكون
ذكر بك مصاحبة الى حبيب ولا يكون منزل محطوطا ناتوا على حبيب لخرج ما ذكرته
من التقديم والتاخير عن ان يكون شعرا ذاك لانه انما يكون تقديم الذي على الذي
شعرا ترتيبا اذا كان ذلك التقديم وذكان لموجب اوجب ان يقدم هذا او يوخر
ذاك فاما ان يكون مع عدم الموجب شعرا فمحال لانه لو كان يكون تقديم اللفظ على
اللفظ من غير ان يكون له موجب شعرا لكان ينبغي ان يكون توالي الالفاظ على
اي وجه كان شعرا حتى انك لو قلت بك فعا حبيب ذكرته لم يكن ذا وجه شعرا
والكلم واما احد منه الوزن فقط وانه تقدم هذا فيما مضى وانكا اعتاده هنا لانه
الذي اخذ ناقيه من اسلام القوم انهم الى الوزن انما يعيا عامته واعلم ان لاخذا
عند الشعراء واهل العلم بالشعر وقعة وهيبة وان يرد الشاعر في مني به ويريد
اسلوبا او الاسلوب الضرب من الظم والطريقة فيه نحو ان سمعوا شاعرا قول ذاك انما
مضى بنا في شعره فيشبه من قطع من اديمه نعلا على مثال نعل قد تقدم بها صاحبه فا
ان ذلك على مثاله وذلك مثل ان الغرض في قال

ارحوا حتى ان حتى سعارها تغير وداعي سانا بزها

واسناده البعيث فقال

اجوكليب لما بجى جد بيها ... بجير وقد اعيى كليبا قديمها

وقالوا ان الفرزدق لما سمع هذا البيت قال

لما قلت فانيه شعرت ... ثم لما ان جئتها انجحت

وسئل بعضهم البعيث قال في هذه القصيدة

كليب لئام الناس فاعلمونه ... واست اذا عدت كليب لئيمها

وقال الحزين

بنو عمهم في كل شرق ومغرب ... كرام بنى الدنيا واست كريمها

وحكى العسكري في صنعة الشعر ان الرومي قال قال في الحزين قول قول

ابي دواد ... ولم ار في ما مر عمري ما شهدت به ... نفسي كساط الضباب الناس

ما تود من قول ابي خراش

ولم ار من الفي عليه رداءه ... على انه قد سل من ماجد محض

قال فقلت قد اختلف المعنى فقال اما تراني جدت واخذ واخذ وهذا

الذي كنت من اجله في الجد وهو مما هو في جد الحق في قول الحزين

ولن يسفل الجد الذي انا اهله ... بحكمي رضوني او اطمان سالم

وقول ابي تمام

ولقد جهدتم ان تروا لي عثرة ... فاذا الزمان قد رماه فاسلم

فهذا اخذ من كل واحد منهما على قول الفرزدق

فادع بجدك ان اردت بنانا ... فهناك ذه الفضيلات هل تحلل

وجملة الامر انهم لا يجعلون الشاعر محدثا الا اذا حملوه على اخذ او سرقة

قال ذو الرمة

وشعر قد ارقت له غريب ... اجنبه الاساءة والمحالا

فبت اثيمه وقد مسته ... فوالي لا اريد به اساسا لا

فقالوا يقول لا اخذ وها على شعره فاسان يحمل اسناد الشعر ومراده احمد

قالا يحملونه كيف واذا اجهد عامد ليت شعري فوضع مكان كل لفظ لفظا في معناه

لسئل ان يقول في قوله

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فانك انت الطاعم الكاسي

ذو الرمة فانه ذهب لكسبها ... واجلس فانك انت الآكل الشارب

ثم عاودا ذلك احتذاء ولم يأمروا صاحبه لان صوته عندهم اوكد صوت عند السمع

لحاجة نفسه ويحتمل المتعاطي له قدر ان يجوز انسان بقوله في سبب مراصدة

امرئ القيس انه احتذاه في قوله

فقلت له لما تطى بسلبه ... ولد فهما جارا وبانكسل كل

واعجب من انهم لم يتفطنوا انه لو كان مقتفيا لشعر امرئ القيس كون محمد بالمكان يكون

بالبعد كان الذي يحذو والفعل الفعل يكون قاطع نعل ... وهذا

تعريض يصطفظ به بينبغي ان يعالج لمن يزعم ان المقتفي او المقتفي شعر امرئ القيس

كان قد اتى بمثل ما قاله امرؤ القيس لانه نطق بما نطق به من الالفاظ التي تطق بها ام لانه

راعى النسق الذي راعاه في النطق فان قلت ان ذلك لانه نطق بما نطق به من الالفاظ

التي نطق بها احتلت لانه انما يصح ان يعالج في الناقد انه اتى بمثل ما اتى به الاول اذا

كان الاول قد سبق الى شيء فاحتذاه او ذلك في الالفاظ فحسب او ايهما كان ان

يعالج انه لم ينطق بعدد الالفاظ التي هي في قوله وقفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

مثل امرئ القيس احد وان قلت ان ذلك لانه راعى النسق الذي نظمه بعدد الالفاظ

النسق الذي راعاه امرؤ القيس قيل ان كنت قد اصبت في اعتقاده وانه سلك

سمته فاخبرنا عنك اذا قلت ان الحذاق وضع في العروض ان من قوى سماه ان يوجد

ما يعني به انه يأتي في الفاظ غير الفاظ العرب بمثل تركيب النسق الذي رأى

في الفاظ العرب فاذا قال ذلك لعمري لقد اعلمت انه يكون الانسان لا اشبه بعضها

في شعر بعض على التوالي فسقا وترتيبا حتى يكون الاشبه مختلفة في اجزائه يكون

الذي يدعي بمعمونا نسبها الى بعض عروض فيها ومقصودا لاجله ذلك العروض وذلك

المقصود الاتيان بخبر لما وضع فحصل بعدا ولا وذلك باسانان بعد ما لا يشبه به

على عاقل واذا كان الامر كذلك لزمك ان تبين العروض الذي ادعيت ان يكون الفاظ

القرآن منسوقة النسق الذي تراه ولا تحلص لك بهذه المطالبة لانه اذا ان يكون

المعنى والموجب الذي تراه من النسق المعاني وجملة اذ وجب ان ترجع الى الفظ

ليجد شاهد على وجوبه عليه الدم الا ان تحمل الاخبار التي تورد وتزعم ان النسق

الذي تراه في الفاظ القرآن انما كان معجزا من اجل ان بان بعد عن عربية من تورد

معجزا لخلق عن ان يأتوا بمثله واذا قال ذلك لم يمكنه ان يقول ان الحذاق وضع ان

انوا مسلمه فی فصاحته، بلاغته لان الوزن لیس هو من الفصاحة والبلاغة فی شیء
لو کان یکون له مدخل فیما کان یجب فی کل قصیدة بین افضل الوزن ان تنتفع فی الفصاحة
والبلاغة فان دعا بعض الناس الوزن الا افضل اصح من ان الانحاز فی اللفظ ان ان
یجعله فی مجرد الوزن کان وقد خل فی امر شنیع وهو انه یکون قد جعل القرآن معجزا
لامن حیث هو کلام ولا لمامیه بان الکلام فضل علی کلام فلیس الوزن ساکان الکلام لانه
ولا به بان کلام خیر من کلام وحکمة الاسبیل الی دعم زاعم ان الوصف المعجز هو الخبر
والبهولة ثم معنی بذلک سلامته من ان یلتقی فیه حروف تثقل علی اللسان لانه لیس
بذلک کان الکلام بلاغا ولا هو الذی ساتی امره ان عد فی افضله الی ان یکون الاکل
وان یکون العوله علیه فی انعا مسئله بین کلام وکلام فاکان الشاعر مفلقا والخطیب
مصقعا والکاتب بلیغا وراسا الفصاحة حیث ذکروا عجز العرب عن معارضة القرآن
قالوا ان النبی صلی الله علیه وسلم تحداهم وفیهم الشعراء والخطباء والذی یدلون
بفصاحة اللسان والبراعة والبیان وفنون البدائع والاذهان والقرن اولوا الحکمة
وفصل الخطاب ولم یعم قالوا انه علیه السلام تحداهم وهم العارفون بما ینبغی ان یصح
حتی یسلم الکلام من ان یلتقی فیه حروف تثقل علی اللسان وبما ذکروا معجزات الانبیا
علیهم السلام وقالوا ان الله تعالی قد جعل معجزة کل نبی مما کان اغلب علی الذی بعث فیهم
وبما کانوا یباهون به وکانت عوامهم تعظم فیه خواصهم قالوا انه لما کان السحر اغلب
علی قوم فرعون ولم یکن قد استحکم فی زمان استحکامه فی زمانه جعل تعالی معجزة
موسی علیه السلام فی انقلاب العصا ثعبانا وما کان الغالب علی زمان عیسی علیه السلام
الطب جعل تعالی معجزته فی ابراء الاکمه والابرص واحیاء الموتی وما انتهوا الی ذکر نبینا
صلی الله علیه وسلم وذکروا ان الغالب علی زمانه لم یذکروا الا البلاغة والبیان
والتصرف فی ضروب النظم وقد ذکرت فی الذی تقدم غیر ما ذکرته ههنا مما یدل
علی سقوط هذا القول وما دعاک الی اعادة ذکر الاآنه لیس لمالک الناس حیث
اللفظ والحماسة علی الاعتقاد الذی اعتقده ونفس المتهم بعید الی حد فاحببت لذلک
ان لا ادع شیئا مما یتعلق به متعلق وتطمأنه الیه لاحتی ویبقی منه فی نفس سامع ذلک لا
استقصیت فی الکشف عن بطلانه وههنا امر عجیب وهو انه معلوم لکل من نظر ان
الالفاظ من حیث هی الفاظ وکلم ونطق لسان لا تختص بواحد منها دون اخر واما انما
تختص اذا توخی فیها النظم وانا کان لذلک کان من رفع النظم من البین وجعل دعجا

علمه فی جوانه الفروق وجرا بعضا حاجا علاله فیما لاسبیل اساسه الی اسه سبحانه وتعالی ورد
وسلا بما یدم التوفیق وشده السلاک عن الطریق فسبحانه فی سعاده اساس
من دایم وفلاح الفساد الذی یعرض فی ادایم کل مسلم وانسبا الی کل عامه واد دسا
یم من الجاهل الذی کانوا یصنعون مما الی الساس الغلاب وغلبتهم من الاجنب
نظرون الی السیر الذی مشی فی سلیل الشارب ولم یدع نباظلم مرعا سبی الاوساه
ولا غلاف لسانا سطق الاحرساه ولم یترک غطا کان یطی سرد ی عقل الاصراه
بما سامع لما فساه والباطر فیما کساه والمتسع ضاده وناه ان کنت تعلم سامع
سارت الرعیه فی ان تورد وتصدر عن معرده وتصحیحه صبح من اما مارس اما
من العلم لم تسعه الا ان یکون علی ذروع السام ویضرب ما تعلی من ابهام وقد
وجدت لنفسک واضح ذلک الطریق الی یعسک وهی ان الاداء الی تعاسلع واوسع
الاداء الی معها تصل لمحمد لنفسک بالتی هی املا لدیک واهو بها لحظ ذلک وادت
من ذلک الان وقد تبینت من رقدتک وافدت من محذلک وضربت تعلم ذا الله
جست فی امر اللفظ والنظم معنی ما ذکرو تعلم کیف تورده وتصدره وشبها است
من امر بحائی عیسا وحایط حبط عشوا فصار ان ذکر الفاظا تتعرف التی بینها
تعرف وضروب کلام فلبغا ان سالت عن اغراضهم فیها لم تستطع فیها نبیاء ذلک
ذالک بطویل النحب من عقلک وکثیر الاعتذار الی عقلک من الذی کنت علیه
لوجدت ذلک ونسال الله تعالی ان یجعل کل ما تاتیه وتتصدره وتحضره لوجه خالصا
ان رضاه عز وجل مودیا والثواب معتقبا والزلفی عنده موجبا منه وفضله
ورحمته انه علی ذلک قدیر

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم انه لما كان اللفظ الذي هو دال الشاعر في جميع ما يأتي ويذر من امر الشعر كالآلة الذي يشترك في العزوف ويتصرف في مراح البدن وجب ان يتوخى في اسامي ما يتوخاه الطبيب في اشاته من الجودة ما يؤدي به الى متنه ويعينه على صحته ويوسعه من التصرف في علته وقد علمنا ان اصل الفساد وسبب الادواء هو فاسد عارض عن ان من شان العفاص ان تعلق عليها الصور وتحدث فيها احوالا من بعد ان لا تكون وانك ترى الشاعر قد عمد الى معنى مبتذل يصنع فيه ما يصنع الصانع الحاذق اذا هو اعزب في صنعته حاذم وعمل شغف وغير حماسن اساسات الحمل بان جعله بذلك من شانها هو الذي اعوزهم واستوعرهم وروعهم مما تنوطوا منه من الحرباء واداليم الى التعاني بالحالات وهو ذلك انهم لما جعلوا اساسات الصورة وضعوا القسم به اساسا وجواعلى قاعدته فقالوا انه ليس الا المعنى واللفظ والثالث وابه اذا كان كذلك وجب اذا كان لاحد الطرفين فضيلة لا تكون للاخر ثم كان العرض راجعا هو العرض من صاحبه ان يكون مرجع تلك الفضيلة الى اللفظ خاصة وان لا يكون لها مرجع الى المعنى من حيث ان ذلك رجوع بودي الى التناقض وان يكون مصاحبا متعاورا وغير متعاور ولما امر واهذا الى انفسهم جعلوا كلام العفاص في كل ما نسبوا الفضيلة فيه الى اللفظ على ظاهره والوان يظروا الى الاوصاف التي اتبعوها اسمائهم الى اللفظ كسهل او فحم لفظ متمكن غير قلق ولا تابه به موضعه الى سائر ما ذكروناه مثل ان يجعلوا انهم لم يوجبوا اللفظ ما اوجبوه من الفضيلة ومم يعنون نطق اللسان واجراس الحروف ولكن جعلوا كالمواضعة فيما بينهم ان يقولوا اللفظ ومم يريدون الصورة التي تحدث في المعنى والخاصة التي تحدث فيه ويعنون الذي عناه الجاحظ حيث قال وذهب الشيخ الى استحسان المعاني والمعاني مطروحة وسط الطريق يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي واما الشعر صناعة وضرب من التصوير وما يعنيه اذا قالوا ان ما اخذ الحديد ينسجه ويفرطه وما اخذ النحو خرز فيه وثقبه جوهرة وعلمه فجعله دباغة وما اخذه عاطلا فيرده حائكا وليس كون هذا امرا لازما حتى كان ينبغي ان تحتذي هذه الصناعة هذا الاحتذاء ولكن انما تعالى الذي على اهله وتولى الامر فيه بالنصيب فضل الاقاويل ولم يكن من الدليل على انهم لم يجعلوا اللفظ الفضيلة وهم يريدونه بنسبه وعلى الجملة الاوجد وهو وسهم كما انه

على

الفضيلة

بين المعنى وانه حيل له لكان فيه الكفاية وقد اكد ان الالفاظ ادلة على المعاني وليس للدليل الا ان يعلك الشيء على ما يكون عليه ما ان يصير الشيء بالدليل على ما سمعه لم يكن علينا فالا لا يعوم في عقل ولا يتصور في وهم وصار ان تفكر فيه العاذل الهائل الجهت من امر الناجي ومن حذه فقد لزم قولنا الغلط حيث ذكروا الاخذ والسرقة ان من اخذ معنى عار بانكساء لفظا من عنده كان اخق به وهو كلام مشهور عند اولي بصيرته الحسان في ادب كتاب عبد الرحمن ثم لا نرى احدا سره ولا الذين يجعلون الفضيلة في اللفظ نذكر في ذلك ويقول من ان يتصور ان يكون هيهنا معنى عار من لفظ يدل عليه ثم من ان يعقل ان يحل الواحد سائر المعنى من المعاني بلفظ من عنده ان كان المراد باللفظ نطق اللسان ثم هب انه صح له ان يجعل ذلك فمن اين يجب اذا وضع لفظا على معنى ان يصير اخق به من صاحبه الذي اخذه منه ان كان هو لم يضع بالمعنى شيئا ولا احدث فيه صنعة ولا يكسبه فضيلة واذا كان كذلك فهل يكون لكلام هذا وجه سوى ان يكون اللفظ في نفسه نكساء لفظا من عنده عار عن صورة عدتها الشاعر وعن الشاعر الحسن فان قالوا بلى يكون وهو ان يستعير للمعنى لفظا قبل انسان في انهم قالوا اذا اخذ معنى عار بانكساء لفظا من عنده كان اخق به والاستعارة عندكم مقصورة على تجرد اللفظ ولا ترون المستعير يصنع بالمعنى شيئا وترون انه لا يحدث فيه مزية على وجه من الوجوه واذا كان كذلك فمن اين ليت شعري يكون اخق به فاعرفه ثم ان اردت سؤالي في ذلك فان من احسن ما سمع ابو تمام في جيد ابي خيلة وهو ذلك ان ابا خيلة قال في سلمة بن عبد الملك

اسلم ابن كل خليفة ... وياحبك الدنيا وياحد الارض
شكر نكد ان الشكر حبل من التقى ... وما كل من اوليته نعمى يقضي
وانهنه ان ذكرني وساكان غافلا ... ولكن بعض الذكر انبه من بعض

فحمد ابو تمام لي هذا البيت الاخير فقال

لقد زدت او ضاعي امتدادا ولم اكن ... بعمداد لا ارضى من الارض مجهلا
ولكن اياد ساد فتى حسارتنا ... اغر فاد ت في اغر محجلا

وفي كتاب الشعر والشعراء الورقاني فصل في هذا المعنى حسن والذي من الاشارة القديمة فوضع حرزا الخاف على اخاف فكاه لاقيا بضرب سالا الذي خاد من بني مسلم منه ونصيبه عزيز مما لم يخفه فاخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال

وحذرت من امر فشرحاني ... ثم بكى وقضت مالم احذره

وقال لبيد

احمى على ارجد الخدود ولا ... ارهب نوء السماك والاسد

قال فاخذه الجرمي فاحسن وطفق امتحانا على العبارة واستعانى للمعنى فعالج

... لواني ادلي الحاربات حمتها ... فيما ارت لرجوت ملاحشاه

وشبه هذا الفصل وفصل اخر من هذا الكتاب ابتدأ السيد لابراهيم بن المدبر

... يا من اعاب صنيع من سخرة ... في جيده من لؤلؤ رطب

جرحت خده بلحظ شا ... رجحت حتى اقتص من ولبي

ثم قال قال علي بن هرون اخذه احمد بن ابي دؤاد فقطع وتمثى فقال

... ادميت بالقطعات وجنته ... فاقتص باظره من المقل

قال ولكنه بقي عبارته وحسن ماخذه وقد سار اولي به وفي هذا دليل على ان الناس لا يحسنون حسن العبارة بمجرد اللفظ ولكن بخروج معناه بحدوده وخصوصه بحدث في المعنى وشيا طريفا يعرفه على الجملة العقل دون التمييز فانه في كل حال لا يعمل في التجريد انه احسن وطفق امتحانا على الحروف من اجل حروف لواني ادلي الحاربات حمتها وكذلك لم يصف ان ابي دؤاد بنى عبارة من اجل حروف ادميت بالقطعات وجنته واعلم انك سترت احوال هؤلاء الذين زعموا انه اذا كان المعنى عندهم واحدا والعبارة تتحسن ثم كانت احدى العبارتين افصح من الاخرى واحسن فانه ينبغي ان يكون السبب في كونها افصح واحسن اللفظ نفسه وحده ثم قد قالوا اذا كان من حيث قاسوا الكلامين على الكلامين فقالوا ايهما افضل في الكلامين ان معناهما واحد لم يكن بينهما تفاوت ولم يكن للمعنى في احدهما حال لا يكون له في الاخرى فاعلم ان سبيل الكلامين هذا السبيل وقد غلطوا فاحشا لانه لا يجوز ان يكون صورة المعنى في احد الكلامين او البيتين مثل صورته في الاخر ابتداء القسم الاول من بيت حاتم لي بيت ضيف مكان كل لفظه منه لفظة في معناها ولا تعرض بنظمه وبنائه مثل ان يقول في بيت الخطيئة ع

... دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فانك انت الطاعم الكاسي

... وانما اخر لا يذهب بطلبتها ... واجلس فانك انت الآكل اللابس

وما كان هذا سبيله كان بمعزل عن ان يكون فيه اعتداد وان يدخل في فضل ما تأمل

فيه من عبارتين بل لا يصح ان تجعل ذلك عبارة ثانية ولا ان تجعل الذي يعاطاه محل من يوصف بانه اخذ معنى ذلك لانه لا يكون مذكى معانا شيئا يسعى ان يعنى من اجله واضع كلام ومستأنف عبارة وقائل شعر فاذا كان بيت الخطيئة لم يكن كلاما وشعرا من اجل معاني الالفاظ المفردة مجردة معراة من معاني النظم والتأليف التي توخى فيها ما تراه من كون الكلام مفعولا لاجله وكون قوله لا ترحل لبغيتها جملة اكدت الجملة قبلها وكون اقعد معطوفا بالواو على مجموع ما مضى وكون جملة انك انت الطاعم الكاسي معطوفة بالفاء على اقعد فالذي هي الآن شيئا من هذا الذي به كان كلاما وشعرا لا يكون قد اتى بكلام ثان وعبارة ثانية بل لا يكون قد قال من بعد ان قال ما قاله وجملة الامر انه كما لا يكون الغضب والذهب حاتما او سوارا وعنزا من اصناف الحلي باضعارها ولكن بما يحدث فيها من الصورة كذلك لا يكون الكلم المفردة التي هي اسماء الافعال وحروف كلاما وشعرا من غير ان يحدث فيها النظم الذي حقيقته توخي معاني النحو واحكامه فاذا ليس لمن يتصدى لذلك من احد ان يدعي لنفسه انه وضع مكان كل لفظه منها لفظة في معناها الا ان يشرك عقله وبعد معه الذي حكيناه قال ابو دؤاد وقد قلت بيتا هو شعر من بيت حسان قال حسان

... يغشون حتى ما تهر كلابهم ... لا يسألون عن السواد المقبل

وقلت يغشون حتى ما تهر كلابهم ... ابدا ولا يسألون عن ذا المقبل

فقيل له هو بيت حسان ولكنك قد افسدته واعلم انما اتى العلم من انه يلزم في الكتب التي وضعها العلماء في اختلاف العبارتين على المعنى الواحد وفي الكلام في احد الشاعرين من الشاعر وفي ان يقول الشاعران على الخواء في معنى واحد وفي الاشعار التي قد رتبوها في هذا المعنى ولوانهم كانوا احدوا النظر في ذلك وتدبروا ما ينبغي ان يتدبر لكان يكون ذلك قد ابعدهم من عدة مواضع وكشف الغطاء عن امور وقد اردت ان اكتب جملة من الشعر الذي اتت به الشاعرين فيه وقد اتى في المعنى قولا ساقه وتري الاخر قد اخرجه في صورة تحدث وتجب وتعلم انت تري كل واحد من الشاعرين قد صنع في المعنى وصور وابدا القسم الاول الذي يكون المعنى في احد البيتين عقلا وفي الاخر مصورا مصنوعا فلا يكون ذلك الا الآن متأخرا الشعر من متقدم والآن هدي متأخر الشيء الى عند اليه المتقدم ومثال ذلك قول الشنفرى ... بنس الليالي صرت من طرفي ... شوها الى من بيت مرقدها

مع قول البحتري

«ليل يصاد في وسرهنه الهمي، صيدين اسهرهما وساسه»

وقول البحتري

«ولو ملكت زمامها ظل يجذبني، قودا لكان بذي كفيك من عمل»

مع قول المتنبي

«وبيدت نفسي في ذراك محبه، ومن وجد الاحسان مبدا نعداه»

وقول المتنبي

«اذا اعتل سيف الدولة اعتلت الارض، ومن فوقها والناس والكرم المحض»

مع قول البحتري

«ظللنا نعود الجود من وعكك الذي، وجدت وقلنا اعتل عضو من الجود»

وقول المتنبي

«يعطيك سيدنا امان المجتلبه، اعطاك معتذرا كمن قد اجرمنا»

مع قول ابي تمام

«اخو عزمات تفعله فعل محسن، الينا ولكن عذره عذر مذنب»

وقول المتنبي «كرم متى استوهبت مائت راكل، وقد اتعبت حربا مكانك مائل»

مع قول البحتري «ماضي عجاج عزمه في الجود لو وهب الثناء يوم لقاه البشر زاده»

وقول المتنبي «والذي نهبه الوغا سا كي القلب، كان اتعابه قرى اضيافه»

مع قول البحتري «لقد كان وداك الغمائم جاريا، على ان ذاك الري ري مجارب»

وقول ابي تمام «الصبح مشهور بغير دليل، من غير اشكال ولا اعلام»

مع قول المتنبي «وليس يصح في الافهام شيء، اذا احتاج النهار الى دليل»

وقول ابي تمام «وفي شرف الحديث دليل صدق، لمخبره على شرف القديم»

مع قول المتنبي «انعاله نسب لوم تقل بهما، جدي لحسب عرقا العرق الخشن»

وقول البحتري «واحب اوطان البلاد الى الغنى، ارض يساعد بها كرم المطلب»

مع قول المتنبي «وكل امرئ يولي الجميل محبب، وكل مكان ينبت العز طيب»

وقول المتنبي «يقول بما الفضل بين الايدي، وبعضي له بالسعد من لا يحم»

مع قول البحتري «لا ادعي لابي العلاء فضيله، حتى يسلم لي العلا فضيله»

وقول خالد الكاتب «وقد ذرت فلم ترث لساهر، وليل المحب بلا اخير»

مع قول بشار «لحظ بكف من كفيك في كل بلدة، الى ان ترى منه الصباح وساده»

«بعيث تراعي الليل جوزاءه، وليس لليل العاشقين بقاء»

وقول ابي تمام «نوى بالمشرفين راه سجاح، اطار قلوب اهل العرب بين»

مع قول مسلم «ما زلت عبد اياد في ديارهم، الفي اليك الاقامي بالفرائد»

وقول محمد بن شبيب «ارفع لحاجتنا ما دمت مستطيعا، فلو فرغت لكنت الدهر مبذولا»

مع قول ابي علي البصير

«فلا تعتذر بالشغل عنا فانما، تباطؤك الامال اثقل شغل»

وقول البحتري «من عادة منعت وشح وسطها، فلوانها بذلت لسالم تبذل»

مع قول ابن الرومي «ومن البلية اني خلقت محموما ممنوعا»

وقول ابي تمام «لمن كان ذو بثي ان اجس مطلبي، اساقي سوالفضال الوزر»

مع قول البحتري «اذا محاسني التي اد لها، كانت ذنوبا فقل لي كيف اعتذر»

وقول ابي تمام «قد تقدم العبد مني عبد، رعي الاسد»

مع قول البحتري «فما محى العبد قد تقدم جرمه، الى اهزة السند قين ندى اطافر»

وقول معن بن اوس «اذا انصرفت نفسي عن شيء اكف اليه وجه آخر الدهر مقبل»

مع قول العباس بن الاحنف

«فقل للحبال الروا ي من اماكنها، اخف من رد نفس حين تنصرف»

وقول امية بن ابي الصلت

«عطاؤك زين لامرئ ان اصبته، بخير وما مال اعطار بن»

مع قول ابي تمام

«تدعى عطاياه وفاء وهي ان نهزت، كانت فخارا لمن يعفوه موسعا»

«مازالت مسطرا الحجى عبسا، حتى رأيت سواد الحبر ينتقبا»

وقول جرير يعني الهوى لم ار كعين قلوبنا، يوم اللوى يوم اعد اهن صديق

مع قول ابي نواس

«اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت، له عن عدو في ثياب صديق»

وقول كثير «اذا ما راده مت خلة ان نزلتها، اتيناه قلنا الحاجة ادلك»

مع قول ابي تمام «فقل فؤادك حيث شئت من الهوى، ما الحب الا للحبيب الاول»

وقول المتنبي «وعند من اليوم الوفا لصاحبه، شبيب وادنى من رزيا اخوانه»

مع قول ابي تمام ، فلا تحسبا هندا لها الغد وحدها ، شجيت نفسي كل غانية هند
وقول البحتري ، وكم ارضية دين الصريمة موردا ، فحاولت ورد النيل عن اشفاله
مع قول المتنبي ، قواصدا كافور توارك غيره ، ومن قصد البحر استقل السواقيا
وقول المتنبي ، كما كان والد الندى معتبرا ، لاصغر عادر ولا هو ره
مع قول البحتري ، عمر تموه في الافضال يوسف الندى ملء شيبهم من حيث يوسف البئر
وقوله ، ولا تعلمن بالسيف كل قتالة ، لمعفى فان الكف لا السيف افقع
مع قول المتنبي ، اذا الهند سوت بين سيفي كفاحه ، فسيفك في كفت وبين السحاب
وقول البحتري ، سامو ك من حسد فانصل سهم ، عن الجواد وحاد عن المفضل
، فبدلت فيما ما بدلت سماحة ، وكرما وجدات مالم تبدل
مع قول ابي تمام
، ادى الناس منهاج الندى بعد ما عفت ، مهايعه المثلى ومحت نواجيه
، فهي كالحيا في البلاد وعامر ، مواهب ليست منه وهي مواهبه
وقول المتنبي
، بيضا تطع فيما تحت جلتها ، وعوذ تك مطلوبا كما طلبا
مع قول البحتري ، تيه وعطفة معطر حتى اذا اسعل الحلي ثنت بصدغة موسن
وقول المتنبي ، اذكار منلك ترك اذكاري له
مع قول ابي تمام ، واذا المحد كان عوف على المرء تعاسيه بركة التعاسي
وقول ابي تمام ، فعبت من شمس اذا حجبت ، بدت من حذرها فكانها لم تحجب
مع قول ابن الخطيم
، تعنى لها الله حين صورها الخالق ان لا تكربها مدق
وقول المتنبي ، راسبات بامم رسمها الهدب ، فشق القلوب قبل الخدود
مع قول كثير ، وسمى بسم رسمها الهدب لم يسب ، طواهر جلدي وهو في العظم جارح
وقول بعض شعراء الجاهلية ويعزى الى ابيد
، ودعوت ربي بالسلامة جاهدا ، ليعمني فاذا السلامة داء
مع قول ابي العتاهية ، اسرع في نقض امري بمامره ، يدري وما يدريك ما الله
وقول بعضهم ، افلل زيارتك الصديق يكون كالثوب استجده
وبعده ، ان الصديق ملله ان لا يحال تراك عنده ،

مع قول

مع قول ابي تمام ، وطول مقام المرء في الحي مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدد ،
وقول الحرمي ، وانك معروفك عندي عظيم ، انه عندك محقور صغير ،
، تناساه كانم لم تاته ، وهو عند الناس مشهور كبير
مع قول المتنبي ، تظن من بعدك اعتدادهم ، انهم ابوا وما علموا
وقول البحتري ، الم تر الثواب كيف سموا ، الى اهل النوافل والفضول ،
مع قول المتنبي ، اغاير الناس عراض اذا الزمن ،
وقول المتنبي ، تدل لها واخضع على القرب والنوى ، فلا عاشق من لا يذل ويخضع ،
مع قول ابن المعتز ، كن اذا احببت عبد الذي هوى مطيعا ،
، لن تنال الوصل حتى تلزم النفس الخضوعا ،
وقول مضرس بن ربعي ، لعمرك اني بالخليل الذي له ، على دلال واجب لمحق ،
، واني بالخول الذي ليس وافيا ، وباصاري قد آن منك فراق ،
مع قول المتنبي ، اما تقط الامار بي يا ذا ركي ، فمضاء ساي او حسام ذرب ،
وقول المتنبي ، مطلوبه القدمي تشبهه عجلا ، مطلوبه الريح تشبهه مريا ،
مع قول ، اذا ما شبهاك باليد ظاعنا ، بحسناك حظا نت ابي والجمالا
، وتظلم ان قساك بالبيض في الوغى لانك احمى للحريم واثبل ،

ذكر ما انت تركيبه في كل واحد من البيتين صنعة وتصويرا واسادة على الجملة ، ثم ذكر وجه السادة ، قول لبيد ،
، واكذب النفس اذا حدثتها ، ان صدق النفس مرد بالامل
مع قول نافع بن لقيط
، واذا صدقت النفس لم تجد لها ، املا وباسل بالشهى المكذب ،
وقول رجل من الخوارج اتى به الحجاج في جماعة من اصحاب قطري فقتلهم ومن عليه ليبد كانت له عنده وعاد الى قطري فقال له قطري عاودت قتال عدو الله الحجاج فاي وقال ،
، اقاتل الحجاج عن سلطانه ، بيد نعمنا فضلها مولاته ،

ساء القول اذا وقعت اداءه في الصف والمعجب له فعلاته ،

مع قوله ابي تمام ، الا بس فخرا القول من لو فجرته ، اذا المجاني عنه معروفه عنده ك

وقوله التابعة ، اما اما عند الجيش حلق فوقه عصائب طير تهتدي بعصائب

جوارح قد ايقن ان قبيلة ، اذا اما التقى الجمعان اول غالب

مع قوله ابي نواس ، واذا يحك القناعلها ، وترا الي اللوت في صوره ،

راح في حق معاشه ، اسعد بدمي شبا طعنه ،

تنابا الطير تحدوني ، تقه بالشبع من جزر ،

المقصود البيت الاخير وحكى الزبير بن قال حدثني عمرو الوراق قال

رايت ابا نواس ينشد قصيدته التي اولها ، ايها المنتاب عن عمره ،

فصيدته هل بلغ الى قوله ، تنابا الطير تحدوني ، تقه بالشبع من جزر ،

قال له ما تركت للنابغة شيا حيث تقول ، اما اما عند الجيش

البيتين فقال اسكت فلين كان سبق لما سالت الاتباع بهذا الكلام من ابي

نواس دليل بين في ان المعنى ينقل من صورة الى صورة ذاك لانه لو كان لا يكون

وسع بالمعنى شيا كان قوله لما سالت الاتباع محالا لانه على كل حال لم يسعه

في الفظ من الاسر ظا هو لمن نظر انه قد نقل المعنى عن صورته التي هو عليها

في شعر النابغة الى صورة اخرى وذلك ان ههنا معنيين احدهما اصل وهو علم

الطير بان الممدوح اذا غزا عدوا كان الظفر له وكان هو الغالب والاخر وهو وقوع

وهو طمع الطير في ان يتبع عليها المطاعم من لحوم القتلى وقد عمد النابغة الى الاصل

الذي هو علم الطير بان الممدوح يكون الغالب فذكره صريحا وكشف عن وجهه

واعتمد في المدح الذي هو طمعها في لحوم القتلى وانما اذ ذاك تحالف فوقه على دلالة

التحوك وعكس ابو نواس القضية فذكر المدح الذي هو طمعها في لحوم القتلى صريحا

فقال كانوا تزى تقه بالشبع من جزر وعوله في الاصل الذي هو علمها بان الظفر

يكون للممدوح حتى في ان قال في جزر وحتى لا تعلق بان شبعها يكون من جزر الممدوح

حتى يعلم ان الظفر يكون له فيكون في الظهور من هذا في النقل عن صورة الى صورة

ارجع الى السبق ومن ذلك قوله الى اصابعه ،

ثم فتحت من المدح ما كان مستطعا على الداح ،

مع قوله ابي تمام ، تطرت له خوف المدح مواهب ينشرها عند اللسان المفحم ،

وقوله ابي وجزء ، اباك المجد من هشام هشاما ، وكنت له تحت السيول ،

مع قوله منصور النمري ، ان للمكارم والمعروف اودية ، اخلاك الله منها حيث مع ،

وقوله بشار ، الشيب كره وكره ان يفارقني ، احب حتى على العصائب وده

مع قوله الخزيمي ، تعيب العاشقات على شيبي ، ومن لي انا مع بالمعيب ،

وقوله ابي تمام ، بشاشة من كانه عنده ، وكثر الوجد نحوه الامل ،

مع قوله ابي الروى ، انام بظل الامن بعد نحوه ، بلذت ملوف وبشاشة العهد ،

لا تظر الى انه قال وبشاشة العهد فاعاد لفظ ابي تمام ولكن انظر الى قوله

بعد نحوه بلذت ملوف وقوله ابي تمام

، اين ذهبت الاعداء اسوء مصايرها ، فليس يودي شكرها الذب والنشر ،

مع قوله المنتفق

، وانبت منهم ربع الساع ، فاثبت باحسانك الشامل ،

وقوله ابي تمام ، ورب نائي المعاني روحه ابدا ، الصبق روحي ودان النسر الراقي ،

مع قوله المنتفق ، انا ولاهله اهل الوفاء ، بلاقي في جسوم ما بلاقي ،

وقوله ابي عثمان ، اصبح الدهر سنا كله ، ماله الا ان يحي جسنه ،

مع قوله المنتفق ، ازالت بك الايام عنى كانما ، توهمها فاد نبوا نتها وذوت

وقوله على رجله ، واري الفيال ما طوت من وده ، وده في عطفي وفي ارماحي

مع قوله ابي العتر ، وما ينقص من نشاب الرجال ، برد في فعالها والباسها ،

وقوله كرس الطاح ، ولو لم يكن في كفه غير روحه ، لجاد فعاد فسبق الله سابله ،

مع قوله المنتفق ، انك من معشر اذا وهبوا ، ما دون اعمارهم فقد بخلوا ،

وقوله البحتري ، ومن العلوم الضرائب بان زاجرا ، بيض وسوب المرن ان راح ، عطل

مع قوله المنتفق ، وما انتاك كلام الناس عن كرم ، ومن اساء طريق العار لم يصل

وقوله الكندي ، عز واوعر بعزمهم من جاوروا ، فهم الذرى وهمام الهامات ،

، ان يطلبوا ابراتهم فالوا فعا ، او يطلبوا لا يدركوا ابرات ،

مع قوله المنتفق ، وبيت السائل كل حي اجدته ، وهن لما ياجدن من كل خوام ،

وقوله ابي تمام ، اذا سبقه اشتى على العام حاكما ، عند العلوسته وهو في السفعا ،

مع قوله المنتفق ، له من كرم الطبع في الحرب مستضى ، ومن عاده الاحسان والصبح عاده

فانظر الان نظر من تفي العقله عن نفسه فانك ترى عيانا ان المعنى في كل واحد

من البيتين من جميع ذلك سورة وصفة غير صورته وصفته في البيت الآخر وان العلة في ايراد واحد فالوان المعنى في هذا هو المعنى في ذلك ان الذي حمل من هذا لا يخالف الذي يحمل من ذلك وان المعنى عائد عليك في البيت الثاني على هيئته وصفته التي كان عليها في البيت الاول وان لا فرق ولا فصل ولا تباين بوجه من الوجوه وان حكم البيتين سلا حكم الاسمين قد وضعا في اللغة لشيء واحد كالليث والاسد ولكن قالوا انما حسن ما يقوله العقلاء في البيتين جمعهما جنس واحد لم يفترقا ان بخواص ومزايا وصفات كالقائم والقائم والسيف والسيف والسوار والسوار وسائر ما في الحلي التي تجمعها جنس واحد ثم يكون بينها الاختلاف الشديد في الصنعة والعمل وهذا الذي يظهر في بيت الخارجي وبيت ابي تمام فالاعلم ان صورة المعنى في ذلك غير صورته في هذا كالسيف والخاتم كما يقول واحتجت له بعلانه وابو تمام اذا احتاج عنه بعقوده عندي ومتى كان اصبع ومحاجا واحدا في المعنى وكذلك الحكم في جميع ما ذكرناه فليس يحتاج في امر عامل ان يكون قول البحتري

واحب اقاصي البلاد الي الغنى ارض ينال بها اكرم المطلب

وقول المتنبي وكل مكان ينبت العز طيب ، سواء واعظم ... السورة انما هو مثيل وقياس لما علمه معقولنا على الذي نراه باعيننا فلما رأينا البيوت بين آحاد الاجناس يكون من جملة الصورة فكان بين انسان وفرس من فرس بخصوصية يكون في صورة هذا لا يكون في صورة ذاك وكذلك كان الامر في المصنوعات فكان بين خاتم وسوار من سوار بذلك ثم وجدنا بين المعنى في احد البيتين وبينه في الآخر بينونة في معقولنا وفرقا غير ما بين ذلك الفرق وتلك البينونة بان ذلنا المعنى في هذا صورة غير صورته في ذاك وليس العادة عند ذلك بالصورة شيئا نحن ابتدأناه فينكر منكر هو مستعمل مشهور في كلام العلماء وكقولك قول الحاطئة واما الشعر سيارة وضرب من التصوير واعلم انه لو كان المعنى في احد البيتين يكون على هيئته وصفته في البيت الآخر وكان الناقد من الناس عين بحيث به معادا على وجهه لم يحدث به سأم ولم يعرض منه لكان قول العلماء في شاعر انه احد المعنى من صاحبه فاحسن واجاد وفي آخر انه اساء وضر اعوانا من القول من حيث كان محالا ان يحسن او يسيء في الجميع به سواء وكذلك كان يكون حكم البيت نظير البيت وسائر ابياته خطأ سهم لانه

محال ان يناسب الشيء نفسه وان يكون نظيرا لشبيهه وامر ثالث وهو ان نقول في واحد انه احد المعنى فظهر احد وفي اخر انه احد واخفاه ولو كان المعنى يكون معادا على صورته وهيئته وكان الاخفاء من صاحبه لاسمح عيبا ان يبدل لفظا مكان لفظ لكان الاخفى فيه محالا لان اللفظ لا يخفي المعنى وانما يخفيه اخراجه في صورة غير التي كان عليها سالف ذكر ان العاضي اذا اخبس ذكر فيما ذكرنا فيه مناسب المعاني بيت ابو نواس ، حلبت والحسن تاجره ، يعني منه وشلجب ، وبيت عبد الله بن مصعب

، كانك حين محتكما عليهم ، مخير في الابوة ما تشاء ،

وذكرنا انما معا من بيت بشار

، خلقت على ما في غير مخبره ، هواي ولو خبرت كنت المهين ،

والاسرى يناسب هذه الثلاثة ظاهر لم انه ذكر ان ابا تمام سأواه فاخفاه وقال فليس ورت نفسك لم ترد ها على ما فيك من كرم الطباع ومن العجب في ذلك ما راه اذا تأملت قول ابي العتاهية

، جرى النحل على ساحته ، يعني نحته على طمري ،
، اعلى واكرم من يديه يدي ، فعلت وتره وتره وتري ،
، ورزقت من جدواه عافية ، ان لا تضيق شكره شعري ،
، وغنيت خلواتي بفضله ، احنو عليه باحسن الذكر ،
، ما قاله جبر اسري وصنعت ، يعني يداه مؤونة الشكر ،

ثم نظرت الى قول الذي يقول

، اعتقني سوء ما سمعت من الرق فبارد عليا على كبدي ،
، فصرت عبد الكوفك ، وما احسن سوء تبلى الى احد ،

ومما هو في غاية الندرة من هذا الباب ما سمعه الحاظ يقول نعتب حين نزره فقال وكتب به الي بعد ذلك من الزيات نحن اعزك الله نحير السائل ونموه بالقول والناس ينظرون الى الخائل ويقنعون بالظاهر ولو في امر السوا نطق اذا سكتنا فان الدعي من غير بينة متعرض للتكذيب ع

وهذه جملة من وصفهم الشعر وعمله واذ لا بد من الوجه الخبري

« ان القصائد قد تحمل بائسي ، صنع اللسان بشرّ الاجمل ،
« واذا البنات عروسن بيع رخيص جعلت بذل اربد وتهمل ،
« حتى نظاديمي ولو برياشنا ، غيري تحاول صنعتي لا تقبل ،

ثم ان قبل : اذا مت من ذكر القوافي فلن ترى لها قائلا بعدي اطب واشعرا ،
« واكثر بيتا سار ضرب له ، حرون جباك الشعر حتى تبسرا ،
« اعمر عربيا يمسح الناس وجهه ، كما مسح الاديم الاغر المشهرا ،
« عدي بن رقاع ، نظر المتنفف في كعوب قناته ، حتى يدع لقاته سيادها ،
كعب بن زهير ، لمن القوافي شاقها من نحوها ، اذ ما تولي كعب وهو جزول ،
« لو مهما حتى تلين متونها ، وتخضر عزاليها فتمثل ،
حسان ، عميت جنينا والدكاء من العمى ، فحنت بحبيب الظن الهم موئلا ،
« وعاص منيا العين العلم واقدا ، يقلب اذ ما مسيع الناس محملا ،
« وشعر كنوار الروض لامت جنيه ، تقول اذا ما اذرت الشعر اسهلا ،

ولـه : رو رملوك وعليه اتمه ، تعرف من شعره ومن خطبه ،
« لله ما راح في جوانحه ، من لولو لا ينام من طلبه ،
« يخرج من فيه لذي كا ، يخرج صوب السراج من لهبه ،

ابو سرح الهذلي : فان اهلك فقد ابقيت بعدي ، قوافي تحجب الشمس الشموسا ،
« لذ بجبات القاطع محكمات ، لوان الشعر يلبس لاذ لبسا ،

العرزمي : بلغن الشمس حيث تكون شرقا ، ومسقط فرقها من حيث غابا ،
« تكل بينه ، وتكل بعض ، عوارفه من جنب اعتسافا ،

ان سيادة : فجر يا ساطع الكلام وحره ، فاسبح فيه ذو الروية يسبح ،
« وما الشعر الا ما تعرفه نفس وتحمد ، وشعر سوانا كله متهجم ،

وقال عمال من هائم العنبري يرد عليه
« الا ابلغ الرماح بعض مقالة ، ربما عطل الرماح اوكان يمرح ،
« لقد خرق الحي اليمانون قبلهم ، بحور الكلام تستقي وهي طفح ،
« وهم علموا من بعدهم فتعلموا ، وهم اخرو اهذ الكلام وأوضحوا ،
« فلسنا بفتين الفضل لاحد منهم ، وليس لسبوق عليهم شحيح ،

لويمام : كسفت ضياء الشمس عن حر وجهه ، وطيرته عن وكرة وهو واقع ،

« تصور لها ما من براها بسمعه ، ويدنو الفؤاد والحى وهو شاسع ،
« يود وداها ان اعضاء جسمه ، اذا انشدت شوقا الرماة سامع ،

وله : جد انملا كمل اذن حكمة ، وبلاغة وبد وكل ورشد ،
« كالدر والمرجان انعظمه ، بالشذر في حسن الضياء الورد ،
« كشقيقة الورد المدمث وسطه ، في ارض دهنة او بلاد سرند ،
« بعطى بها البشرى الكريم ويحتبى بردا بها في المحفل المشهود ،
« يشوي الغنى في البيت ساعة بشره ، بالفارس المولود ،

وله : حاذك من نظم اللسان قلادة ، سمطان درا اللولو المكنون ،
« احذ لها صنع الصنيع بمدة ، جزداء نصب الكلام معين ،

اخذ لفظ الصنع من قوله ابي حيه ، بانى صنع اللسان وانعله الى الشعر وقد جعل حسان ايضا اللسان مستعارا وذلك في قوله

« اهدى لهم مدحا قلب موازره ، فيما احب لسان حاك صنع ،

ولابي تمام : « ابلغ ارحنا عارب الشعر اجدرا ، تحمل في روض المعاني الحجايب ،
« عرايب لا كانت في نابك انسها ، من المجد في الاذن غير عرايب ،
« ولو كان يبقى الشعر اعناء ما فزت ، حبا منك منه في السنين الذواهب ،
« ولكنه صوب العقول اذا انجلت ، سحاب منه اعقبت بسحايب ،

البحتري : البست الموالي منك نظم قصايد ، هي اقسم اشادت مع الليل انجما ،
« شاكاد الروض منه منشورا ، حتى وكاد الوشي منه مسرمدا ،

وله : احسن الناس بالشعر اذ حلت ، عليك احبه بالمدح تمتاز ،
« وقد اسلك القوافي غب قايدة ، كما يفتح غب الوابل الزهر ،

وله : اليك القوافي بارحات فوارد ، يسير مناحي وشرها وتهلم ،
« وسيرته في النظم عنوا بريسها ، فما وحسنا الا لك تنتظم ،

وله : ممنوعة نفس الدنايا نفسي ، لفظا الفظ صغارا كما ينفي الدر ،

وله : ايذهب هذا الدهر لم يرحشمي ، ولم يبد رسما قد ارعى ولا عهدا ،
« وكيف مثلي وهو تاجر سودد ، يبيع ممات المكارم والمجدا ،
« سوا مر شعر جامع بدد العلى ، تعلقن من قبلي والدن من بعدي ،
« يقدر منها سايغ متعمل ، لاحكامها قدر دروع داود في السرد ،

وله
لم يبرهن في مدحك قيله ... متمثل الا وتمام دون توانيه
يقظان تحمل الكلام كأنه ... حيئ لديه يريد ان يلقى به
فاتى به كالسيف رونق صقل ... ما بين قائم صفحه وذبابه

ومن نادر وصوفه البلاغة قوله

في نظام من البلاغة ما شك امرأ انه نظام فريد
وبديع كأنه الزهر الضاحك في رونق الربيع الجديد
مستفز في جوانب السمع ما ... يجلوه عوده على المستعيد
محكم نحرس الالفاظ فرادى كما تحرسها العقود ونضد
ومعان لو فصلتها القوافي ... صحبت شعر جرول ولبيد
حبرت مستعمل الكلام انتقادا وتحسن لفظه التعقيد
وتركن اللفظ الغريب فاذا ركن به غاية المراد البعيد
كالغداري تغدو في الحلل الصفر اذا رحن في الخطوط السود

الغرض من كتب هذه الابيات الاستظهار بحق ان حمل حاسل نفسه على الغمر والتحفز على غرارة صبر فرعم ان الاعجاز في بداعة الحروف وفي سلامتها مما يثقل على اللسان علم بالمنظر فيها فساد ظنه وقبح غلطه من حيث رأى هنا انا ان ليس كلامهم كلام من تحظره ذلك منه على بال ولا اسقاطهم سقطات تسهل له على حال اذ لا يخفى على عاقل ان لم يكن شرب تميم بحدون حبال الشعر لان تسلم الفاظه من جرد تثقل على اللسان ولا كان تقديم طلبي لشعره وتشبيبه نظرح فيه بنظر الشغف في كعوب القناة كذلك وانه محال ان يكون له حمل مشاور العين قد عارضها الى غايته وان يكون القول الذي كان لا يتام عن طلبه وان ليس هو صوب العقول الذي اذا انجلت سحاب سنه اخضبت سحاب وان ليس هو الدر والمرجان ولا هما بالسدر في العقد ولا الذي لو كان الجوهري مقدرا لعقد بيد داود في السرد كيف وهذه كلها عبارات عما يدرك بالعقل ويستنبط بالفكر وليس الفكر الطريق الى صحيح ما يثقل على اللسان كلا لانه ليس الطريق الى ذلك الحس ولولا ان الجاحظ قد علمت لعدة الراي الفاسد وان الذي قد استهدى كوامنه قد سار وامرأ مع سمعهم به يصعوبة ان كل تحد بسمعونه حتى لوان انسانا قد قال بالاختيار بحضرة انه يريد نصرة مذهبهم لامتلوا عليه باوجعهم والقوا اسماعهم اليه لكان الحراجة

وترك الاشتغال به اصوب لانه قول لا يتصل منه حاسب السواب البته وكل لانه اول شيء يود في ان يكون القرآن معجزا الا تمامه كان مزانا او كلام الله عز وجل لانه على كل حال انما هو قولنا او كلام الله عز وجل بالنظم الذي هو عليه ومعلوم ان ليس لنظم من هذه الحروف وسلامتها مما يثقل على اللسان في تلي ثم انضاف من العقلا ان الوصف الذي به تناهى القرآن لا حد عجز عنه المخلوقون هو الفصاحة والبلاغة وما دانيا فلا جعل الكلام فصيحا او بليغا بان لا يكون في حروفه ما يثقل على اللسان لانه لو كان بصح ذلك لكان يجب ان يكون السوقي الساقط من الكلام والسفساف الردي من الشعر فصيحا اذا خفت حروفه واعجب من هذا انه يلزمه ان لو عمد عامد الى حركات الاعراب فجعل مكان كل ضمة وكسرة فتحة فقال الحمد لله بفتح الدال واللام والهاء وجرى على هذا في القرآن كله ان لا يسلبه ذلك الوصف الذي هو معجز به بل كان ينبغي ان يزيد فيه لان الفتحة كما لا يخفى اخف من كل واحدة من الضمة والكسرة فان قال قائل ان ذلك يحيل المعنى قيل له اذا كان المعنى والعلة في كونه معجزا خفة اللفظ وسهولته فينبغي ان يكون مع احالة المعنى معجزا لانه اذا كان معجز الوصف يخص لفظه دون معناه كان محالا ان يخرج عن كونه معجزا مع بقاء ذلك الوصف فيه ودع هذا وهب انه لا يلزم على ما قلته كيفية الدلالة بحسب سقوطه وقلة تميز القائل به انه ينبغي اسقاط الكتابة والاستعارة والتمثيل والمجاز والتجاوز جملة والمراح جميعا وانا مع هذا الاضطراب الذي تدور البلاغة عليها والاعتماد الذي تستند الفصاحة الرياء والطلبة التي بها تسارع سباق الحسنون والغاية التي يجري اليها المجرون والرهان الذي يحرب فيها الجياد والنفاس الذي تعرف فيها الايدي الشداد وهي التي نوه بذكرها البلغاء ورفع من اقدارها الفصحاء وستغوا فيها الكتب وكلفوا فيها المصنوع وسرعوا اليها الخواطر حتى صار الكلام فيها نوعا من العلوم مفردة او صناعة على حدة ولم يتعاط احد من الناس القول في الاعجاز الا ذكرها وجعلها العمد والاركان فيما يوجب الفضل والمزية وخصوصا الاستعارة والاعجاز فانك تراهم يجعلونها عنوان ما يذكرون واوله ما يوردون وتراهم يذكرون من الاستعارة قوله عز وجل واشتعل الراس شيبا وقوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل وقوله عز اسمه واتمام الدليل منع منه الرسائل وقوله فاصدع بما تؤمر وقوله فلما استياسوا منه خلصوا نجيا وقوله حتى

استعار

بسم العرب او راوه عادوا قوله فما رجعت بخاسرهم ومن الايجاز قوله عز وجل ولما
تحاش من قومه حاشا نه فاسند اليهم على سواء قوله عز وعلا ولا ينبئك مثل خبير
وقوله فشهدوا بهم من خلفهم وتراهم على لسان واحد في ان الحجاز والايجاز من
الاركان في امر الاختصار واذا كان الامر كذلك عرفت العقلاء الذين حكموا له
المزايا التي للقرآن فينبغي ان ينظروا في امر الذي يسلم نفسه الى الغرور ويزعم ان
الوصف الذي له كان القرآن معجزا هو سلامة حروفه مما يثقل على اللسان
ايصح له القول بذلك الاحين يعدان يدعي الغلط على العقلاء قاطبة وما قالوه
والخطأ فيما اجمعوا عليه واذا نظرنا وجدنا ذلك لا يصح له ذلك الا بان يعتبر هو الجهة
اللهم الا ان يخرج الى الضحكة فيزعم مثلا ان من شان الاستعارة والايجاز اذا
دخل الكلام ان تحدث بحاله في حروفه فيه خفة وتجد دونها سهولة وتسالمه
العصمة والتوفيق واعلم انا لا نابى ان يكون مذاق الحروف وسلامتها مما
يثقل على اللسان واخلاؤها مما توجب الفضيلة وان يكون مما يوكد امر الايجاز
وانما الذي ننكره ونستبعد رأي من يذهب اليه ان يجعله معجزا به وحده ويجعله
الاصل والعمدة ويخرج الى ما ذكرنا من الشناعات ثم ان الحبب كل الحبب من يجعل
كل الفضل في شيء هو اذا انفرد لم يجب به فضل البتة ولم يدخل في اعتداد ويحالف
وذلك انه لا يخفى على عاقل انه لا يكون سهولة الالفاظ وسلامتها مما يثقل على
اللسان اعتدادا حتى يكون قد الف سهلا كلاما ثم كان ذلك الكلام مخصصا في نظمه
والغرض الذي اريد به وانه لو عمد عامد الى الفاظ يجمعها من غير ان يراعي فيها
معنى ويولف منها كلاما ثم زعم انا لا نعتد السهولة فيها فضلا لان الالفاظ لا تراد
لانفسها وانما تراد لتجعل ادلة على المعاني فاذا اعتد مت الذي له تراد واشرف امرها
فيه لم نعتد بالاوصاف التي تكون في نفسها عليها وكان السهولة وغيرها سهولة فيها
واحدا ومن هنا رأيت العلماء يذمون من يحمله من اجلها وعلى ان الاستعانة
الاستعارة بسببها وبركب الوعورة ويسلك المسالك المجهولة كما ذم ابو تمام في مثل قوله

سيف الامام الذي حمت هيبته ... ما تحرم الحل الا رمحه حرما

اقرب ويزال عن الشك واليقين ... بالاشعرين هبوب الشرك اسلما

وقوله ... ذهبت تمذهبه السماحة والندى ... فيه الظنون اذهب ام مذهب

سمعه المتكلمون في الاجماع وذلك انه لا يتصور ان يجب بما من حيث هما فصل ويدع بما
مع الفوارق المعروفة اعتداد واذا نظرت الى الجنس اي تمام اسند هو اليه فاستحسنه
والى الجنس اقابل حتى يخالس من حروفه وما خاء . وقوله الحروف ... باطراء وما حتى اطراء
اوه عاوست مما لوده عان فاستحسنه لم تشك محال ان ذلك لم يكن لامر يرجع الى اللفظ
ولكن لانك رأيت الفاصلة قد شعشعت في الاول وحوشيت في الثاني وذلك انك رأيت الامام
لم يزدك عند ذهب ام مذهب على ان سمعك حروفا سكرى لا تجد لها ما بد ان وجدت
الاستكراه متحققا ورأيت الاخرى قد اعادت عليك اللفظة كانك عند ذلك عن الفائدة
وقد اعطاها وبوعك انه لم يحسنك وقد احسن الزيادة وهاها وطرفه الركيكة
كان التضمين وخصوصا المستوفى منه مثل هذا وهذا من حق الشعر والقول ما ليس
ولا يجلس من التضمين والصحيح بطول ولم يكن هو شاهد من ذوي ما شرح امره ما وذكر
توكيد ما انهى ما القول اليه من استحالة ان يكون الايجاز في مجرد السهولة وسلامة
الالفاظ مما يثقل على اللسان وحمله الامر انا نابى في الدنيا عاقلا ان اطرح النظر
والمحاسن التي هو السبب فيها من الاستعارة والكناية والفصل والوصل وضروب المجاز
والايجاز وسدد بوجهه عن جميعها وجعل الفضل كله والمزية اجمعها في سلامة المفردة
مما يثقل كيف وهو يودي الى التحف والخروج من العقل كما بينا واعلم انه قد آن
لنا ان نعود الى ما هو الامر الاعظم والغرض الاهم والذي كانه هو النظم وكل ما عداه
وراع اليه وهو المرام وما سواه اسباب للتوصل عليه وهو سان الدليل الذي قلنا
وجب ان يكون النظر مردا على نظم وان بنظم امر التعامل فيه وبناها ان العلم
البعيد ومن سأل الله تعالى العون على ذلك والتوفيق له والحماية الدفع .

بسم الله الرحمن الرحيم . ما اظن بك ايها القاري لكتابنا ان كنت ذا بينة من
امر النظم وتدبر له حق التدبر الا انك قد علمت علما ابى ان يكون الشك فيه يسوغ
والتوقف محوك مذهب ان ليس النظم شيئا غير توخي معاني النحو واحكامه وتوخيه
وفروقه فيما بين معاني الكلم وانك قد تبينت انك اذا رفعت معاني النحو واحكامه مما
بين الكلم حتى لا تراعاه فيما في حمله ولا تفصل اخرجت الكلم المنظوم بعضها في اثر بعض
في البيت من الشعر والفصل من النثر عن ان يكون كلاما تعلم لمعانيها التي اجنتها التي
توجب وتمنع وعن ان يتصور ان يعرض في كلمة منها ان حسن تصورك اذ ذاك

قد ثبت به قدمك ولا من الدنو نفسك وباعدك من ان تحن الى الذي كنت عليه
وان تحركك الالف والاصغاء اليه وانك جعلت ما هنالك نفسك اي صدرك وانبسطت في
سويدا قلبك وصادفت رينه وبين نفسك فان كان الامر كما ظننا رجونا ان يصادف
الذي نريد ان نسامعه بعون الله تعالى منك تيه حسنه تفيك الملل وغربة
صادقة تدفع عنك السامر وان يحيره محض معها تعب الفكر وكدا النظر والله تعالى
ولي توفيقنا وتوفيقك منه وكرمه ع ونبدا فنقول قد اثبت ان لاشك ولا
مرية في ان لمس النظر شيأ غير تو في معاني النحو واحكامه وبيانا بين معاني الكلم تبتغي من
ذلك ان طالب دليل الانحاز من نظر العنوان اذا هو لم يطلبه في معاني النحو واحكامه
ووجوهه ومروءته ولم يعلم انها معدنه ومعانه وموضعه ومكانه وانه لا ينبغي
لمسواها وان لا وجه لطلبه فيما عداها عار نفسه بالكاذب الطمع ومسلم لها الى
الخدع وانه ان اراني ان يكون فيها كان قد لبى ان يكون العنوان مخبرا بغيره ولزمه ان يجد
شيأ اخر يكون مخبرا به او طن باصحاب الصنعة فيدفع الانحاز من اصله وهذا امر
لا يدفعه الانحاز بعد الرجوع عن باطل قد اعتقد مخبرا والبنات عليه من
بعد لزوم الحجة حلده او من وضع نفسه في هذه المنزلة كان قد باعد فما من المنال
وشاك الله العصمة والتوفيق وهذه اصول تحتاج الى معرفتها قبل الذي نعتمد
له اعلم ان معاني الكلام كلها معان لا تتصور الا فيما بين شيئين والاصل الاول هو
الخبر واذا احكمت العلم بهذا المعنى فيه عرفته في الجميع ومن الثابت في المعقول
والعام في المنوس انه لا يكون خبر حتى يكون مخبر به ومخبر عنه لانه ينتظم الى اثبات
ونفي والاثبات يقتضي مثبتا ومثبتا له والنفي يقتضي منفيا ومنفيا عنه فلو
حاولت ان يتصور اثبات معنى او نفيه من دون ان يكون هناك مثبت له ومثبتا
عنه حاولت ما لا يصح في عقل ولا يقع في وهم ومن اجل ذلك استمع ان يكون لك
تعمد في فعل من غيران تريد اسناده الى شيء وكنت اذا قلت ضرب لم تستطع ان تريد
منه معنى في نفسك غيران تريد اسناده الى شيء يظهر او مقدر وكان لفظ ضرب
اذا انت لم ترده ذلك وصوتا تصوته سواء ان ارفت ان تستحكم معرفة ذلك في نفسك
فانظر اليك اذا قيل لك ما فعل زيد فقلت خرج هل يتصور ان يقع في خلدك ان
خرج معنى من دون ان تنوي فيه ضمير زيد وهل يكون ان انت رجعت لك لم تسوء لك
الاضمار جانفسك ان الحدثان وكدلك فانظر اذا قيل لك كيف زيد فقلت صالح هل

يكون لقولك صالح اثر في نفسك من دون ان تريد هو صالح ام هل يعقل السامع
من شيأ ان هو لم يعتقد ذلك فانه لا يبقى معه لعاقل شك ان الخبر معنى لا تتصور
الا بين شيئين يكون احدهما مثبتا والاخر مثبتا له او يكون احدهما منفيا والاخر
منفيا عنه وانه لا يتصور مثبت من دون مثبت له ومنفي من دون منفي عنه ولما
كان الامر كذلك اوجب ذلك الا يعمل الاسم المجموع جملة فعل او اسم كقولنا خرج زيد
او اسم واسم كقولنا زيد منطلق فليس في الدنيا خبر يعرف من غير هذا السبيل
ومعرفة هذا الدليل وهو شيء يعرفه العقلاء في كل جيل وامة وحكم يجري عليه الامر
في كل لسان ولغة واذ قد عرفت انه لا تتصور الخبر الا فيما بين شيئين مخبر به ومخبر
عنه ينبغي ان تعلم انه يحتاج من بعد هذين الى ثالث وذلك انه كما لا يتصور ان يكون
هيهنا خبر حتى يكون مخبر به ومخبر عنه كذلك لا يتصور ان يكون خبر حتى يكون له
مخبر بعد وعنه ويحصل من جملته ويكون له نسبة اليه وتعود النعوة منه عليه ويكون
هو الموصوف بالصدق ان كان صدقا وبالكذب ان كان كذبا افلا ترى انه لا يكون من
المعلوم انه لا يكون اثبات ونفي حتى يكون مثبت وناف يكون مصدرا مما من جملته
ويكون هو المرجى اماما للحزم والناقض منهما ويكون بهما موافقا ومخالفا ومصيبا وخاطئا
ومحسنا ومسيأ وجملة الامران الخبر وجميع معاني الكلام معان يشير بها الانسان
الى نفسه ويصرفها في فكره ويناجي بها قلبه ويراجع فيها عقله ونوسعه بها مقاصد
وامراضه واعظمها شانا الخبر فهو الذي يتصور بالصور الكثيرة ويقع فيه الصناعات
العجيبة وفيه يكون من الامر الاعم المزايا التي لها يقع التفاضل في الصناعة كما شرحنا
فيما تقدم ونشرحه فيما نقوله من بعد ان شاء الله واعلم ذلك اذا امتثلت ما
اللفظ هاهنا في نفوسهم وحيدتهم قد توهموا في الخبر انه صفة للفظ وان المعنى في كونه اثباتا
انه لفظ دل على وجود المعنى من الشيء او فيه وفي كونه نفيا انه لفظ دل على عدمه
واستناده عن الشيء وهو شيء قد لزمهم وسرى في عروقهم واستروح بطيا يوهم حتى صار
الظن بالزوم ان القول لا يصح فيهم والدليل على بطلان ما اعتقدوه انه محال ان يكون
اللفظ قد نصب دليلا على شيء لم يحصل منه العلم بذلك الشيء اذا لا معنى لكون الشيء دليلا الا افادة انه اذا علم ما هو دليل عليه واذا كان هذا كذلك علم منه ان ليس
الامر على ما قالوه من ان المعنى في وضعنا اللفظ بانه خبر قد وضع لان يدل على
وجود المعنى او عدمه لانه لو كان كذلك لكان ينبغي ان لا يقع من سامع شك في خبر

وان لا تسمع الرجل يثبت وينفي الا لعلمك بوجود ما اثبت وعدم ما نفى وذلك ما لا يمكنك
في بطلانه واذا لم يكن ذلك مما يمكنك في بطلانه وجب ان تعلم ان مدلول اللفظ ليس هو
وجود المعنى او عدمه ولكن الحكم بوجود المعنى او عدمه وان ذلك اي الحكم بوجود
المعنى من النفي او عدمه حصيصة الخبر لانه اذا كان بوجود المعنى من النفي لو ضمنه من
اثباته واذا كان بعدم المعنى واستفاده عن النفي سمي نفيا ومن الدليل على فساد ما زعموا
انه لو كان معنى الاثبات الدلالة على وجود المعنى واعلامه السامع وكان معنى النفي
الدلالة على عدمه واعلامه السامع ايضا لكان ينبغي اذا قال واحد زيد عالم وقال
اخر زيد ليس عالم ان يكون قد دل هذا على وجود المعنى وهذا على عدمه واذا قال
الموحد العالم محدث وقال الملحد قدم ان يكون قد دل الموحد على حدوثه والملحد
على قدمه وذلك ما لا يقوله عاقل ع ، فصل براد ذلك بعبارة اخرى لا ينبغي
ان نعتقد المعاني المدلول عليها بالجمل المؤلفة الا دليل يدل عليها وايد على اللفظ كما
وقد اجمع العقلاء على ان العلم يدرك بحاسة الناس في محاورتهم على ضروب وهي من
هذه الجهة ينبغي ان لا يكون الخبر معنى في نفس المتكلم ولكن يكون وصفا للفظ من اجل
دلالته على وجود المعنى من النفي او نفيه او اثباتا وجوده عنه كان قد تقرر الاصل انه
قد سماه من حيث يكون قد جعل المعنى المدلول عليه باللفظ لا تعرف الا بدليل
سوى اللفظ فاذا لا نا لا نعرف وجود المعنى المثبت واثباتا المنفي بالفظ ولكنا نعلمه
بدليل يقوم لنا دليل على اللفظ وما من عاقل الا وهو يعلم بديهة التظران العلوم
بخبر اللفظ لا يكون مدلول اللفظ طريقه اخرى الدلالة على النفي وهي لا محالة
اعلامك للسامع اياه وليس بدليل ما انت لا تعلم به مدلولا عليه واذا كان كذلك وكنا
مما نعلم بديهة العقول ان الناس انما يتكلم بعضهم بعضا ليعرف السامع غرض المتكلم
ومقصوده فينبغي ان يكون المقصود الخبر من خبره ما هو اعني ان يعلم السامع
المخبر به والمخبر عنه ام اذ يجعل اثبات المعنى المخبر به للمخبر عنه فان قيل ان المقصود
اعلامه السامع وجود المعنى من المخبر عنه فاذا قال ضرب زيد كان مقصوده ان
يعلم السامع وجود الضرب من زيد وليس الاثبات الا اعلامه السامع وجود المعنى
قيل له غلطا فراذا اثبت مع الله تعالى ما تقوله الظالمون علوا كبيرا الها اخر يكون
قاصدا ان يعلم غيره باسمه ان يكون مع الله تعالى الها اخر وكفى بهذه الضجعة
وجملة الامر انه ينبغي ان يقال ام تكون في اعلاه بد من ان يكون لخبر الخبر معنى

له يسامع على لا يكون معه شك ويكون ذلك معنى اللفظ وحقيقته فاذا قالوا
لا شك قيل لهم فما ذلك المعنى فان قالوا هو وجود المعنى المخبر به من المخبر عنه او منه
اذا كان الخبر اثباتا او استفاده اذا كان نفيا لم يكنهم ان يقولوا ذلك لان من بعد قال بكلام
بعد وا انهم اذا سمعوا الرجل يقول خرج زيد علموا لا شك معه وجود الخروج
من زيد وكيف يدعوا ذلك وهو يقتضي ان يكون الخبر على وفق المخبر عنه ابدا وان
لا يجوز فيه ان يقع على خلاف المخبر عنه وان يكون العقلاء قد غلطوا حين جعلوا
من خاص وصفه ان يحتمل الصدق والكذب وان يكون الذي قالوه في اخبار الاحاد
واخبار التواتر ان العلم يقع بالتواتر دون الاحاد سهوا منهم ويقتضي الفتى عن
الخبره لانه انما احتيج اليها لتحصل العلم بكون الخبر على وفق المخبر عنه فاذا كان
لا يكون الا على وفق المخبر عنه لم تقع الحاجة الى دليل يدل على كونه كذلك فاعرفه
واعلم انه انما لزمهم ما قلناه من ان يكون الخبر على وفق المخبر عنه ابدا من حيث
انه اذا كان معنى الخبر عندهم اذا كان اثباتا انه لفظ موضوع ليدل على وجود المعنى
المخبر به من المخبر عنه او منه وجب ان يكون كذلك ابدا وان لا يصح ان يقال ضرب
زيد الا اذا كان الضرب قد وجد من زيد وكذلك يجب في النفي ان لا يصح ان يقال
ما ضرب زيد الا اذا كان الضرب لم يوجد لانا نحوا ان يقال ضرب زيد من غير ان
يكون قد كان منه ضرب وان يقال ما ضرب زيد وقد كان منه ضرب وجب على الام
اهلا اللفظ من معناه الذي وضع ليدل عليه وذلك ما لا شك في فساده ولا يلزمنا
ذلك على اصلنا لان معنى اللفظ عندنا هو الحكم بوجود المعنى المخبر به من المخبر عنه
او منه اذا كان اثباتا واللفظ عندنا لا ينفك من ذلك ولا يخلو منه وذلك لانك
تقول ما ضرب وما ضرب بدل من قول الكاذب على نفسه بدل عليه من قول الصادق
لانا لم نقل ذلك لم يخل من ان نزعم ان الكاذب على اللفظ من المعنى او نزعم انه يجعل
للفظ معنى غير ما وضع له وكلاهما باطل ومعلوم انه لا يراد بدور في كلام العقلاء ان
الكاذب يثبت ما ليس بثابت وينفي ما ليس بمنتف والعقول تحاكم قالوه بوجه الى ان
يكون العقلاء قد قالوا المحال من حيث يجب على اصلهم ان يكون قولهم قالوا ان الكاذب
يدل على وجود ما ليس بموجود وعدم ما ليس بمعدوم وكفى بهذا فضاحة وهلا
واذا تقرر ما اصلنا كان تقديره ان الكاذب يحكم بالوجود فيما ليس بموجود وبالعدم
فيما ليس بمعدوم وهذا اسد كلام واحسنه والدليل على ان اللفظ من قول الكاذب

دل على المعنى ما دل عليه من قول الصادق وانهم جعلوا احاص وصف الخبراء بالعمل
الصدق والكذب فقولان خمسة بدرهم حقيقة واحدة لما كان لاحد منهم هذا المعنى
ولا يجوز ان يقال ان الكاذب يأتي بالعبارة على خلاف المخبر عنه لان ذلك انما يكون
فيمن اراد شيأ ثم اتى بلفظ لا يصلح الذي اراد ولا يمكننا ان نزعم في الكاذب انه اراد
امرا ثم اتى بعبارة لا تصلح لما اراد ومما ينبغي ان يحصل في هذا الباب انهم قد اصلوا
في المفعول وكل ما اراد على جزأي الجملة انه يكون زيادة في الفايدة وقد تقيل لك من خطر
ان ظاهر هذا من كلامهم انهم اراد وا بذلك ان كل تتميم تزيد به على جزأي الجملة فايدة
الى اخرى وذلك محال لانه لا يتصور في زيد من قولك ضربت زيدا ان يكون سيار اذيه
حتى تكون بعد ذلك ضربت لكنه قد تصور فايدة الى اخرى واذا كان ذلك كذلك
وجب ان يعلم ان الغرض في هذا ان الكلام يخرج بذكر المفعول الى معنى غير الذي كان
وان وزان الفعل قد عدي الى مفعول بعده وقد اطلق فلم يتصد به الى مفعول دون
مفعول وزان الاسم الخسيس الصفة مع الاسم المذروك على ما شياعه كقولك جاءني رجل
ظريف مع قولك جاءني رجل في الدار فانك قد اصبت فيه ذلك كمن تتم معنى الى معنى وفايدة الى فايدة
ولكن كمن يزيد ههنا شيأ وهناك شيأ اخر فاذا قلت ضربت زيدا وام تقصد الى ضرب
مخصوص فاذا قلت ضربت زيدا فقد اثبت كان المعنى غير اذا قلت ضربت زيدا اولم
تزد وهكذا يكون الامر ابدا كلما زدت شيأ وجدت المعنى قد صار غير الذي كان
ومن اجل ذلك صلح الجزاء بالفعل الواحد اذا اتى به مطلقا في الشرط وبعد في الجزاء
حتى في الجزاء كقولك ان احسنتم احسنتم لانفسكم وقوله عز وجل واذا اطشتم جبارين
مع العلم بان الشرط ينبغي ان يكون غير الجزاء من حيث كان الشرط سببا والجزاء مسببا
وانه محال ان يكون الشي سببا لنفسه فلولا ان المعنى في احسنتم الثانية غير المعنى
في الاول وانها في حكم فعل ثان لما ساغ ذلك كالاسوغ ان تقول ان قمت قمت وان
خرجت خرجت ومسئلة من الكلام قوله المرء يأمل خيرا ان حال دون بيان وان
سئال سئال بخلان ويجري ذلك في الفعلين قد عدد يا جميعا الاان الثاني منهما قد
تعدى الى ما تعدى الاول اليه الى ما تعدى اليه الاول ومسألة قوله ان اباك زيد اباك
لعاجة وهو اصل كبير والادلة عليه كثيرة ومن اولها ان يحفظ انك ترى الجملة قد
استحسنها الناس وعظموا شانها بالفضل فيه وبانه الذي عاص على معناه بعكرة
وانه ابو عذرة ثم لا ترى ذلك الحسن وذلك الفراسة كانا الا لاجل بناء الجملة على ما هو

سر الجملة ومسألة ذلك قوله الفرزدق

وما حملت ام امرئ في بطونها ... اعق من الجاني عليها هجاسا

فلولا ان معنى الجملة تصيير ما بناها عليها شيأ غير الذي كان وبتغيير ما انه كان محالا
ان يكون البيت بحيث تراه من الحسن والمزية وان يكون معناه حاشا ما لفرزدق
وان يفضي به السبق اليه اذ ليس في الجملة التي جاء بها ما يوجب شيأ من ذلك فاعرفه
والنكتة التي يجب ان تراعي في هذا المكان ان تعلم ان صورة المعنى الذي هو معنى الفرزدق
الآن عند اخر حرف من البيت حتى ان قطعت عنه قوله هجاسا بل الذي هو معنى الفرزدق
لم يكن الذي تعقله منه مما اراده الفرزدق بسبيل الا ترى عن عرضه بقوله ام هجاه والعهد
منه وان من عرض لامه له كان عرضها لاعظم ما يكون من الشر وكذلك حكم سائر
من الشعر فاذا انظرت الى قول النظامي

فمن يبتدئن من قوله بعين به ... مواقع ما من ذي الغلة الصادي

وجدت ذلك لا يحصل على معنى يصح ان يقال انه غرض الشاعر ومعناه الا عند قوله
ذي الغلة وتزيدك استبصارا فيما قلناه ان تنظر فيما كان من الشعر جملة لا تدعي
بعضها على بعض بالواو كقوله

النشر مسك والوجوه دنانير ... واطراف الاكف عنم

وذلك انك ترى الذي تعقله من قوله النشر مسك لا يتم بانضمام قوله والوجوه
دنانير الى شيأ غير الذي كان يراه ما بنيا على حاله وكذلك ترى ما تعقل من قوله
والوجوه دنانير لا يطرد تغيير انتظام قوله واطراف الاكف عنم الى ما قد عرفت
ما قررناه من ان من شان الجملة ان تصير معناها ما بنيا عليها شيأ غير الذي كان
وانه يتغير في انه واعلم انما كان من الشعر مثل بيت بشار

كان مثار النقع كان ذلوب الطير ربطا وبانا ... الذي ذكرها الصاحب والقسم الثاني

وقوله زبا الاعجم وانا وما ألفى لساني بمحبتنا ... لكا الجزر بما لفى في البحر بشرق

كان له مزية على مثل بيت الفرزدق مما ذكرناه اذ لا تجد في صدر بيت الفرزدق
جملة تودي معنى وان لم يكن معنى يصح ان يقال ان معنى ذلك ولا تجد في صدر هذه
البيتات ما يصح ان تجد جملة تودي معنى فضلا عن ان تودي معنى يصح ان يقال انه معنى
ولان ذاك لان قوله كان مثار النقع الى واسانفا جزء واحد واصل تعادى كواك
جملته الذي سالم تات به لم يكن فما بيت بكلام وهكذا في سبيل البيتين الاخرين من قوله

كان وقوب الطير طيبا وياسا الذي وكرها جزء وقوله العناب والحشف البالك
المر الثاني وقوله واما ما يلقى لنا ان نجعل ناجزه وقوله لكا البحر الجزء الثاني
وقوله مهما يلقى في البحر يعوق وان كان جمله مستانفه ليس لها في الظاهر تعلق
بقوله لكا البحر فانها لما كانت مبينه محال لهذا التشبيه صارت كانها متعلقة
بهذا التشبيه وجوز بعضهم ان يقول لكا البحر فانه لا يلقى فيه شيء الا غرق ع ٠٠

فصل واذا ثبت ان الحمله اذا جيء بها حصل منها ومن الذي بني عليها
معنى فالكثير من الامر يجب فيه ان ينسب الى واحد مخصوص فانه ذلك يقتضي لانها
ان يكون الخبر به نفسه معنى هو غير المخبر به والمخبر عنه فاذا علمنا استحاله ان
يكون للمعنى المخبر به نسبه الى المخبر وان يكون المستنبط والمستخرج والمستعار كما
تصورح بالفكر فليس بشك عاقل في انه محال ان يكون الجهل في قوله فما حملت لم تزد
في ضلوعها ما نسبه الى الغرزدق وان يكون معناه الذي قيل انه استنبطه واستخرجه
وعاض عليه وهكذا السبيل اذ لا يتصور ان يكون للمعنى المخبر به نسبه الى الشاعر
وان يبلغ من امره ان يصير خاصا به فاعرفه ومن الله لسبيل القاطع فيه ما بيناه في
الكنايه والاستعاره والتمثيل وشرحناه من ان من سان هذه الاجناس ان توجب
الجنس والمزيه وان للمعاني تصور من اجلها بالصور المختلفه وان العلم بها جاسا
وذكرنا ثابت في العقول وسركون في غرائز النفوس وبينا كذلك انه محال ان تكون المزايا
التي يحدث بها ما يحدث في المعنى المخبر به المثبت او المنفي لها ما استحاله ان تكون بها
المزيه التي يحدث بها قولنا هو طويل النجاد طويل قولنا هو طويل القامه في الطول والتي يحدث
في قولنا هو كثير رماد القدر طويل قولنا هو كثير القرى والضيافه في كون القرى واذا
كان ذلك محالا ثبت ان المزيه والحسن يكونان في اثبات ما يراه او يصفه به المذكور
والاخبار به عنه واذا ثبت ذلك ثبت ان الاثبات معنى لان حصول المزيه وليس
فيما ليس بمعنى محال فاعرفه ع ٠٠ هذا اخر ما اتى به الشيخ الثاني من
دلائل الاعجاز في القرآن والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
الانبياء والمرسلين والهم وصحبهم وسلم تسليما كثيرا وقد تم الكتاب بعون الملك
الوهاب بكتابه العبد الحقير محمود بن محمد بن احمد الحرستاني الحنفي عفر الله له
ولوالديه ولمشايخه والمسلمين في اوائل النصف الثاني من شهر جمادى من سنه اربع
وخمسين وستمائه ختم الله العاقبه بخير امين ع ٠٠